سلسلة الفكاهات

في

اطايب الروايات

وهو كتاب يحتوي على مئات من القصص الغرامية الادبية والتاريخية
مترجمة عن اللغة الفرنساوية من تآليف اشهر مؤلفي هذا الفن
كاسكندر دوماس الشهير وغيره

لص انكلترا

مترجم بقلم الاديب البارع سامي افندي قصيري

بادارة وتصرف نخلة قلفاط

مجلد اول ﴿١﴾

طبع في بيروت بالمطبعة الادبية سنة ١٨٨٤

مُقَدِّمَة

اني لدى الاتكال على من لا يتكل الا عليه باشرت طبع هذا المجموع بعد ان صرفت الجهد في الاستطلاع على افكار كثيرين من جهابذة هذا الزمان ومن لهم الخبرة الكافية في هذا الفن الذي لا تنكر فوائده ولا تدحض منافعه ولا يغيب عن معرفة كل لبيب فاضل ما فيه من الوسائل التهذيبية المروضة للعقول النافعة لكل من الجنسين الذكور والاناث وما اقدمت عليه الا لغرض ان اقوم بخدمة وطنية يسهل بها على ابناء العربية الشريفة مطالعة هذا الفن باساليبه الجديدة الرائقة ومعانيه الشائقة فاتعظ به النفس وتدمث الخلق فتتأتى عنه الفائدة المطلوبة لابناء العصر بحيث يكون مجموعاً جامعاً لاحسن القصص وقعاً وارقها انسجاماً واكثرها حكماً ومواعظ تجلى به عرائس ابكار مؤلفات الافرنج في حلة عربية تشف عما تحتها من المحاسنات والمعاني الاجنبية فلا تنقص شيئاً من الاصل بل ربما زادت عليه ماقي زيادته منفعة جلية وقد اعتمدنا بعونه تعالى ان لا نهمل شيئاً من موجبات التحسين في هذا المؤلف توصلاً الى جعله حاوياً شاملاً فلا تفوته حادثة جمعت بين اللذة والفايدة فيكون بحكم مدرسة اخبار يستعين به كل مطالع على درس احوال الازمنة والاعصر واقبالها وادبارها وحسناتها وسياءتها ومنافعها ومضارها وسنصدره اجزاء تباعاً الى ما شاء الله راجين ممن يقف عليه ان يشملنا بالعفو عما يجده فيه من الزلل وفينا من القصور والله حسبنا ونعم الوكيل



الزمن الاول

سنة ١٧٠٣

الارملة وولدها

في الساعة الحادية عشرة من ليلة الجمعة الواقعة في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٧٠٣ فتح في حي من احياء لوندرة المظلمة باب منزل حقير وظهر في الحال على سلم هناك رجل في الاربعين من العمر يحمل بيده سراجًا وهو مرتدٍ بثوب من الجوخ المهم متسع الجوانب ضيق المختنق ومن تحته صدرية فاقعة تبلغ لمزيد طولها الركب وسروال من القماش الاسود وفي رجليهِ حزاء متفخ مستدير خشبي الكعب يرتبط بعلاقات فضية وكان يولف تتمة ملابسهِ شعر اشقر مستعار كريه المنظر تعلوهُ قبعة مثلثة الزوايا وعلى عنقهِ منديل من الكتان السميك وعليها كلها اثار القدم والبلاء وما يعلوها من الغبار يدل على ان صاحبها من ارباب الاشغال الجسدية على ان ظواهره كانت تدل على احتشامهِ فهو صغير الجسم ممتلئهُ وهيئته تترجم عن بساطة قلبهِ وسذاجتهِ وكانت تتبعهُ امراة ذات وجه مصفر انهكتهُ المصائب وهي تختلف كثيرًا عنهُ بحقارة منظرها مرتدية بثوب اسود ممزق ملطخ بالاوساخ يستدل من اثاره البالية انهُ استعمل للقيام بفرائض الحداد على زوجها المتوفى وكان على ذراعيها طفل ملتف بشال قديم وبالرغم عن خطوط رسمتها على وجهها ايدي المصائب والمتاعب قبل اوانها كان لايزال عليهِ اثار البهاء بل كان يتوسم بهِ الحسن لولا منظر شفتيها الكريه الناشيء عن شرب المسكرات القوية ويظهر للرائي من وجهها اصفرار كالح تشمئز منهُ النفوس ولم يكن لها من العمر ما يزيد عن العشرين سنة على ان الفقر والحزن كانا قد فعلا فيها فعلاً ذريعًا فمحيا رسوم فتوتها وجردا خديها من شائق الرونق والنعومة المعهودين فيمن كان في سنها ومع ذلك لن يجرأ على مس شيء من حدة لمعان نظرها وخصب شعرها الحالك الطويل المنسدل على كتفيها وبوصولها الى داخل المنزل اجهدت نفسها على التكلم على ان السعال الناشف المنذر بالخطر كان يمنعها عن الافصاح ويكاد لشدتهِ يمزق دروفات صدرها فخاطبت بالفاظ الوداع رفيقها المتقدم ذكره وكان واقفًا تجاه الباب كمن اصيب بحيرة لا يجد سبيلاً موافقًا للافصاح عن فكر يثقل عليهِ كثيرًا مداومة الاحتفاظ عليهِ فقالت بصوت اصم صادر عن صدر مصاب استودعك الله يا سيدي ود وليباركك الرب ويجاريك عني خيرًا فقد كنت على الدوام سيدًا محسنًا لزوجي المسكين المتوفى شبارد وانت اليوم الصديق الصادق لارملتهِ وولدهِ الصغير اليتيم

فأجاب في الحال المسيو ود لالا . . . لالزوم للتكلم بذلك فاني لم افعل الا الفرض الواجب يا سيدتي جاكولين وعليه فلا استحق ولا اطلب على ذلك شكرًا فمن يحسن الى الفقير يقرض الرب وحسبي بذلك عوضًا اما من جهة المساعدة الطفيفة التي في سعة امكاني تقديمها فكان في العزم اجراؤها قبل الان لو علمت بفرجاتيه اليه من منذ . . من منذ . . . .

فاجابت الارملة بتنهد عميق وهي تنظر بتردد الى المحسن اليها . تريد من منذ اعدام زوجي المسكين يا سيدي فانك حريص على مداراة وملاطفة امرأة نصيبها العذاب فقد خلقت للاهانة والشقاء وقد ادمنت عليها على اني لست بمعتادة على قبول الاحسان ولا احسن ايضاح حقيقة ممنونيتي للمحسن فليتكلم قلبي ان استطاع كلامًا لانه طافح بالشكر والامتنان فقد كانت عيني منذ زمن طويل تسكب العبرات الغزيرة لدى ذكر عمل خير من امثال اعمالك اما الان فواأسفي قد جفت ينابيعها ونضبت مياهها فهي لا تقوى على البكاء منذ يوم البكاء والشقاء

قال المسيو ود وقد وضع سراجة على الارض ومسح اعينه بمنديله . ارجو يا سيدتي ان لا يعود عليك ما يوجب بكاءك فلا تبكين بعد الان الا دموع الفرح والسرور . ثم شعر من نفسه بالقلق فاجتهد في تسكينه وتخفيفه وعاد الى كلامه فقال اني لا اريد ان افارقك وحدك وانت عرضة لمثل هذه الاحزان وعليه فسابقى عندك قليلاً على امل ان ارى قبل ذهابي عني وجهك اثار التبسم بما يزيل عبوسة مواجسك واكدارك

وعند نهاية كلامه تقدم الى داخل المنزل بعد ان اغلق الباب ومشى والارملة تتبع خطواته نحو موقدة فيها قليل من الخشب المتقد في غرفة قذرة حقيرة قد نخر السوس اخشاب ارضها وكومت فيها مزابل الاقذار بما جعل السير فيها خطرًا لا يؤمن بجانبه الزلق والسقوط وكانت جدرانها العارية عن كل لون تمثل للناظر رسومًا عديدة من جملتها صورة مجازاة نابيشود ونوزور اما بقية الصور فمرسومة بالحبر الاحمر والفحم بما لا يفهم منها شيء وقد فتحت الايام في سقفها منافذ كثيرة فان اخشابه تهدمت بكرور الازمنة والقليل الباقي منها ذهب فريسة للرطوبة والعنكبوت وكان في احدى زواياها تحت حقير يمتد عليه فراش رث بالٍ مرفع مبقع لم يبقَ منه الا الاثر الذي لا يذكر وقد نشرت فوقه ثياب الارملة من كل عتيق ممزق وبجانبه مقعد من الخشب وضعت عليه الموجودات فمن زجاجات فارغة واوانٍ مكسرة وابريق محطم واثر مرآة الى غير ذلك مما لا يساوي فضة ولا جديدًا

وكان ملصوقًا على الحائط فوق الموقدة ورقة كتبت عليها هذه الكلمات وهي اقوال واعترافات تو ما شبارد الاخيرة وهو اللص الشهير الذي انفذ عليه القضاء في تيبرن في ٢٥ شباط سنة ١٧٠٢ ويحيط بها رسم من الخشب يمثل وصول هذا اللص الى ساحة انفاذ القضاء وبجانبها الواحد صورة الملكة حنة تعلوها صورة غليوم الثالث بانف منعكف وعيون قادحة وشعر لامع يجذب الناظر

اليه فلا يشبه الى ما نحته من الرسوم وقد علقت في الجانب الثاني منها صورة تمثل الكاليير مار جرجس او بالحري يعقوب الثالث بها يرجح الظن بان من يقطن المنزل المذكور كان يعقوبيًا (وهو اسم لحزب الستوارت في انكلترا)

ومن فوق كل هذه الرسوم تظهر للناظر احرف خطت بمسامير غرست في الحائط وهي تؤلف الكلمات الاتية (بول كروفس الاسكافي) وقد كتب من تحتها بقلم من الفحم خاتمة هذا الاسكاف المسكين الذي شنق في الغرفة حيث كان مفرطًا من شرب المسكرات واشفع ذلك كله برسم يمثله مشنوقًا ومعلقًا بجسر من الخشب وفي الغرفة شمعة صغيرة موضوعة في فم زجاجة ترسل نورها الضعيف الى طاولة وضع عليها المستر ود رغيفًا من الخبز وشقًا من اللحم المقدد وفطيرة محشوة من اللحم وزجاجة مملوءة نبيذًا

ولما استقر بالارملة ورفيقها المقام قال المستر ود وهو يفرك يديه على حرارة الموقدة طلبًا للتدفئة وقد التفت شمالاً ويمينًا يقلب النظر فيما حوله مما لا تقر به عين لقد اتخذت لك يا سيدتي اشأم المنازل منزلاً

اجابت السيدة شبارد نعم ان غرفتي حقيرة يا سيدي ولكنها على كل حال هي خير من طرقات فراشها الارض وغطاؤها السماء

فقال المستر ود . لا ريب في ذلك ثم صب خمرًا في وعاء وقدمه للارملة وهو يقول اشربي قليلاً من هذه الخمرة فهي نافعة لك مفيدة لضعفك واجلسي بجانبي نتحادث معًا بما يفرج عقدة الكرب فان النوائب اذا بلغت اقصاها قربت من حد الفرج بما يذهب باحزانك

فاجابت الارملة بينما كان المستر ود يعد لها مقعدًا للجلوس بجانبه وقد نظرت اليه نظرة الملك المرتاب وتبسمت حزنًا . ليسمع منك الرب فقد استوفيت حقي من قسمة الشقاء ولكني لا ارى في هذه الجهة من قبري وجهًا للفرج ولا سبيلاً للراحة

فصاح المستر ود بالجنون ان الامل معقود باطراف الحياة فلا تدعي لليأس من سبيل عليك ما دام لك نصيب في الوجود . ثم كشف طرف الغطاء عن وجه الطفل الضعيف ووجهه نحو ضوء الشمعة بحيث اصبح في الامكان تحقيق منظره وقال ان تمرمرك وشكواك وولك مثل هذا الطفل بل مثل هذه التعزية الكبرى جريمة لا تغتفر لانه لا يختلف بشيء عن ابيه فهو هو بعينه

فاجابت الارملة وهي ترتجف خوفًا وكآبة ان هذه المشابهة العظيمة بين الطفل ووالده هي ينبوع مصائبي ولولاها لكان سندًا ورجاء لامه المسكينة ولكنني عند ما اشاهد في وجهه صورة ابيه واتذكر باخرة ذلك المسكين الشقية مع ما كان عليه اولاً من مزايا الفضل يصيبني القنوط ويستولي علي اليأس ولطالما طلبت من الله ان يأخذه اليه وقاومت بذلك حاسة قلبي المرتبط بحبه الغيور

على حياته وما ذلك الا لعلمي بانه خير لي ولقلبي ان يموت صغيراً من ان يصير رجلاً ويقدم على شرور قضى بها والده مشنوقاً من قبله ويجر من خلفه حياة ثقيلة شقية تنتهي به الى ميتة دنية والذي يظهر ان الله سبحانه وتعالى قد استجاب طلبي هو انه يذبل ويذبل من يوم الى اخر

قال المسترود بعد ان سكت برهة ان الزيجة والمشنقة امران يتعلقان بالنصيب وثقي بان ابنك لا يكون فريستهما « وقد لفظ الكلمتين الاخيرتين بما دل على انه لا يزيد سعادة على غيره من المتزوجين »

اجابت الارملة بقلب طافح بالمصائب ان العناية وحدها عالمة بما يحضره له الاستقبال ولكن اذا صدق ما قاله لي بالامس المنجم فان كاليبروك فالشقاء ما زال لنا بالمرصاد حيث اعلن بان هذا الصغير جاك لا يموت ميتة طبيعية

فصاح المسترود بالله ومن هو هذا فان كال . . . كال . . . .

فاجابت الارملة فان كاليبروك وهو المنجم الشهير الذي تنبأ بحادثة الملك غليوم وموته قبل وقوعها بشهر ثم تنبأ فضلاً عن ذلك بعود امير اخر منف وقد كلفته هذه النبوات السجن والضرب في نيفكات ومنذ ذلك الحين اتخذ له اسماً غير اسمه فهو يدعى الان ريكارد شربرشئر على ما اظن ورفقائه في سجن نيفكات كانوا يلقبونه بنبي المشنقة حيث كان يدل على من ارتأى موته شنقاً وقد اصاب في كل ما قاله ولم يخطئه احداً وتنبأ يوماً على زوجي من بين عدة من المسجونين وانت تعلم ما كان من امره وكيف صدقت نبوته فيه

فقال المسترود وقد ظهر من هيئته ما يدل على عدم الاحتياج الى منجم ماهر لمعرفة نهاية حياة رجل كزوجها . والان ياسيدتي على مَ استند المنجم فيما قرره عن مستقبل ابنك جاك الصغير

قالت الارملة ان المنجم راى تحت اذن جاك اليمنى بقعة سوداء بهيئة نعش وهي علامة سيئة على انه راى علامة اخرى اشام منها وهي خط معتدل يحيط بخنصر يده اليسرى ويمتد متفرقاً الى ان ينتهي بعقدة محكمة الربط ولا عجب ان ظهر في هذا الصغير المسكين مثل هذه العلامات لاني حينا كنت حاملاً به في سجن نيفكات المعد للحجر على المقبوض عليهن من النساء وهو المكان الذي رات به عينا جاك النور او بالحري الاشعة الضعيفة التي كانت تقوى على اختراق ذلك المحل المظلم كنت لا اشاهد في يقظتي ونومي غير مشانق ونعوشة وكانت هذه الخيالات المريعة تتبعني حيثما اتجهت وسرت ثم لا يخفاك ايضاً ياسيدي ان الطفل ولد قبل حلول اوان ولادته بشهر في نفس اليوم الذي انفذ فيه قضاء الاعدام على والده المسكين

فصاح المسترود يالله ويا للعجب اني ما سمعت بمثل ذلك قبل الان

قالت الارملة عليك ان ترى بنفسك العلامات فتتأكد صحة النبأ

اجاب المسترود . وقد نفذت منهُ جعبة الصبر خير لي ان ارى شيطاناً مارداً من ان ارى علامات سوء تتوهمينها وحرمة الحق اني ما ظننت فيك قبل الان خفة تقادين بها الى التصديق بما يجعلك هزءا عند السامعين

قالت الارملة وهي تهمس باذنه كانها تلقي اليه سرّاً انت مخير في احسان واساءة ظنك على ان المنجم فان كاليبروك تنبأ لي عن امر ظهرت الان صحتهُ وتقررت حقيقتهُ

فقال المسترود مستفهماً وما هي نبوتهُ

قالت تنبأ بان ابني الطفل الصغير يحصل بمدة اربعة وعشرين ساعة على صديق يخلص له الود مدى الحياة

قال المسترود وهل لك ان تبديني كيف صدقت هذه النبوة والمتعارف عند الناس مخالف لما ترعمين فان من السهل خسارة الصديق والصعوبة بل كل الصعوبة في ايجاده

اجابت الارملة ظننت بانك تصل من نفسك الى حل هذا المعمى بدون حاجة الى زيادة في التصريح فان لجاك الصغير صديقين مخلصين وها انت وهذه الام المسكينة ولم يكن له بالامس الا صديق واحد غير اني لم اقص عليك تمام الخبر فان فان كاليبروك قال ايضاً ان هذا الطفل الصغير يخلص حياة صديقه الجديد وما علمت الى الان كيف يتم ذلك

قال المسترود ومن يصل عقله الى فك مثل هذا الرمز فان ما لا يخطر على خاطر ولا يسلم به عاقل ان طفلاً صغيراً لا يبلغ التسعة من الشهور يقوى على تخليص حياتي ان صح ما ترعمينهُ وكنت صديقة الحكي عنهُ ولا يبرح عن بالك اني لم اعدك بعد باخلاص الصداقة له بل هي موقوفة على ما يكون منه من حسن السيرة وطيب السريرة فاذا دام مدوحاً في سلوكه مستقيماً في عمله يمكنه ان يتكل على صداقتي والا فلا والان لي طلب اقترحهُ عليك في شانهِ ولا اعلم ان كان يصادف قبولاً عندك وغاية ما يمكني قولهُ ان ضميري يدعوني الى اقتراحه ولو تركت لي فرصة للتكلم لكنت صرحت به ورفعته الى علمك من منذ خمس دقائق

قالت الارملة وقد ظهرت عليها اثار القلق . قل ياسيدي تكلم

اجاب . مهلاً ياسيدتي فان العجلة موقعة في الخسران والمرء مواخذ بلسانهِ فلا يجب عليه الاقدام على التكلم قبل التدبر فانت تعلمين اني لم ارزق ولداً واني احب نجاح وصالح ابنك الصغير فاذا شئت وحصلت على رضاء امرأتي السيدة ود حيث لا اقدم على شيء بدون مصادقتها اخذته الى بيتي واهتممت بتربيته وعلمته صنعتي بحيث يكون نجاراً نافعاً لنفسه ولك

فاطرقت الارملة لدى سماعها ذلك براسها الى الارض وضمت ابنها الصغير الى صدرها وقد ظهرت في اعينها اثار الحزن الشديد المتوقد في احشائها

ثم عاد المسترود فقال بعد ان تاملها مليًا والان ماذا تقولين ياجاكولين وبما تجيبين الا تدرين ان السكوت من علامات الرضاء

فعدت السيدة شبارد الى التكلم على ان مزيد القلق والجزع المستوليين عليها منعاها عن الكلام

فقال المسترود بالحاح يتردد بين الجد والهزل . هل لك ان تامري لي بالغلام ياجاكولين

فاجابت وقد طفحت اعينها بالدموع . لا اقوى على فراقه لا . . لا . . لا استطاعة لي على ذلك

فقال المسترود في نفسه هذه طريقة تحرك بها منها السواكن لان الدموع مشفية للقلوب ولو اضرت الاعين ثم التفت اليها وقال بصوت عال . لاتقوين على فراقه ياجاكولين . اذًا تريدين ان تكوني عثرة في سبيل فلاحه ونجاحه فاني اعدك بان اكون له ابًا محبًا فارجعي عن عنادك وعي الكلام المهم ان كنت تذكرينه

فقالت الارملة اني اذكره على الدوام وانا مديونة لك بطلبك ومقرة بفضلك انما لا اتجاسر على قبوله

اجاب المسترود لا تتجاسرين . . . وحرمة الصدق ان في هذا الكلام لكل العجب فاني لا افهم منه مرادًا

فقالت الارملة وقد علاها اصفرار التاثر الشديد اريد بذلك اني لا اقوى على فراق ابني وسلوتي في هذا العالم فقد قضى ابي وامي وشقيقتي وزوجي وما عاد لي رجاء سوى ولدي ووحيدي

اجاب المسترود بغضب اني لا اطلب اليك الافتراق عن ابنك الا لغاية تحسين حاله واصلاح شؤونه فاعلمي ان مثل هذا الطلب لا يتيسر لك في كل آن ثم عمد الى الذهاب فاقبلت عليه الارملة تستعطف بخاطره وتمنعه عن عزمه بدموع الخضوع والانكسار وهي تقول تمهل عليّ ياسيدي الى الغد فاذا تالكت من العزم والثبات ما اقوى به على فراق ولدي دفعته اليك واتخذت عنه الصبر بديلاً

فاجاب المسترود بشراسة فليكن لك من الوقت ما يكفي لمراجعة افكارك وتاملي مليًا في الامر حيث لا شيء يدعو الى التعجيل وسرعة الاهتمام

فقالت السيدة شبارد بصوت متقطع وتنهد حار استحلفك بالله ياسيدي ان لا تكون غضوبًا عليّ فاني عالمة باني لا استحق احسانك ولكن اه لو تدري بجميع المصائب التي قاسيتها وبالنهاية الحزينة التي اصبحت فريسة لها وبما تحملته من العار لحفظ حياة هذا الطفل المسكين بلى لو كان يمكنك ان تطلع على حقيقة من هي مثلي وحيدة في هذا العالم بعيدة عن جميع محبيها مطرودة من جميع عارفيها . اه . لو كنت تعلم وليتك لا تعلم ابدًا الى اي درجة تهيج عواطف الحب بعوامل الكآبة والشقاء وكيف كان يزيد ميلي وتعلقي بولدي بتزايد الضحايا التي تحملتها حبًا به فلو علمت كل ذلك لكنت اقرب الى الشفقة عليّ منك الى لومي ومواخذتي حيث لا استطيع ان اقبل في الحال بفراق يتمزق له فؤادي

فامهلني الى الغد . . . الى الغد يا سيدي فلربما توفق لي الشجاعة المقتضية للقيام بهذه الضحية

فما انت السيدة شبارد على تتمة عبارتها الا وقد استحال غضب المستر ود الى رضاء وظهرت على وجهه اثار الغيظ الشديد من نفسه لما بدا منهُ من سوء المعاملة فتقدم اليها ومسك يدها وشد عليها مدفوعًا الى ذلك بما تحرك به من عواطف الوداد والشفقة وبعد ان بذل ما في الوسع للاعتذار عن سابق قساوته اقسم بانهُ لا يفرق فيما بعد بين الام وولدها ولا يسمح لغيره ايًا كان بذلك ثم زاد بقوله يا للبلاء انهُ لم يكن من العدل قط ان احرمك من ولدك ووحيدك بل القصد امتحان حبك استطلاعًا لحقيقته ولكني توهطت في الامر فبلغ هذا الحد عن غير تعمد ورضاء وهي خطية اعترف بها واشعر بثقلها والاعتراف عبارة عن نصف غفران وسياتي وقت يستدعي به هذا الطفل مساعدتي فثقي باني لا ابخل عليه بها بل سيجد دائمًا في اوفان ود صديقًا صادقًا ومحبًا مخلصًا

ثم القى يده على هذا الكلام اظهارًا لما يختلج في الصدر من حاسة الانعطاف فانتبه من غفوته واحدق بنظره الى المستر ود ثم حول به عنا وقد علا صوت بكائه فتداركته امهُ تقبلهُ فمد اليها ذراعيه الصغيرين كانهُ يستدعي بذلك حمايتها . فقالت الام وهي تتبسم والدموع قد ملأَت خديها . اني وان قبلت بتركه فهو لا يريد ان يتركني ياسيدي

اجاب المستر ود اني لا اشك بذلك فان الحب المتبادل بين الام وولدها لا يعادل بحب

قالت الارملة لا ريب بذلك فلو لم اكن امًا لما استطعت حياة بعد زوجي

اجاب المستر ود بصوت الشفوق الحنون اليك ياسيدتي عن تذكار يزيد في لوعتك

قالت ان طرد مثل هذه الذكرى عن تصوري ليس في امكاني فاني ما زلت للان اتذكر نظرة توما المسكين الاخيرة عندما فكت قيودهُ في سجنه الاخير في نيفكات وظلمة السجن ما زالت مخيمة على نظري والاجراس مسموعة الى الان في اذني . . . . فيالله

قال المستر ود ان كان الامر كذلك فيا للعجب كيف تستصوبين الاحتفاظ على هذه الصور المرسومة فوق الموقدة تذكارًا مولمًا لاعينك

قالت وهي تكاد لا تعي لشدة اضطرابها لدي من الاسباب القوية ما يقضي عليَّ بذلك ولكني ارجوك ان تعفني من الجواب الان ان رمت لي سلامة الجسم والعقل

اجاب المستر ود لا باس فالنا ولهذا البحث الان ان كنت لا ترغبين فيه وانما اسمحي لي ان ابدي لك هذه النصيحة وهي ان لا تعودي الى شرب المسكرات في اية حالة كنتِ نعم ان بها يطرد الم موقتًا ولكنها معجلة للموت فهي تسير بالمرء من اقصر الطرق الى قبره

قالت الارملة وقد تنبهت منها الافكار لربما تكون قد تكلمت بالصواب ياسيدي . . . . لربما

تكون قد جئت بآيات الحق الصادقة على انه لا بأس من طريق تقرب مسافة السير وتخفف من مشاق السفر فان القبر لمن كان مثلي لا يستطيع خروجاً من نقطة الحياة الشقية المظلمة ملجأ امن وراحة وسرعة الوصول اليه من موجبات السرور فلربما تكون المسكرات التي اصطلحت على معاطاتها سمّاً قاتلاً وفيها الكفاءة لاماتتي ولكني بدونها سأموت ايضاً ضحية للجوع والشقاء والبرد والافكار المخيفة المقلقة فلولا المسكرات ياسيدي لاصابني الجنون فهي تعزية الفقراء عند شدتهم ولن اعدت لهم مستقبل بكاء ونواح فاني في اعظم ضيقاتي وشدائدي عندما لا اجد مأوى الجيء اليه واقصد الابواب في طلب الرزق كنت اصادف بها راحة وانام على الطرقات كالموتى وقد انهكني التعب واستولى عليّ اليأس واسير كالمجنونة من جهة الى اخرى لا امل واسطة من الشقاء الا واقدم عليها طلباً للقوت الضروري وكنت لا اجد لي معيناً الا هذا المسكر فيخفف عليّ اوجاعي وينسيني في الحال آلامي وفقري وجراحي و يعيد اليّ افكاري وحاسياتي القديمة بما يخيل لي اني سعيدة بل واعظم سعادة من الوقت الحاضر

وما اتمت كلامها الا استولى عليها ضحك شديد مقرون بارتعاش لا ينشأ الا عن الم على حد ما قيل (والطير يرقص مذبوحاً من الالم)

فصاح المسترود يا للشقاء المحسين مثل هذا الضحك المريع سعادة

قالت الارملة وقد عادت في الحال الى سابق روعها ان هذه هي السعادة الوحيدة التي لاقيتها منذ سنين عديدة ومع ذلك فدتها قصيرة . ثم قالت بصوت ضعيف ان المسكر سمٌ قاتل ولكن ما دام المرء عرضة للفقر والمصائب فلا بد من تجرعه

قال المسترود اني ارغب في تقصير مدة الحديث والامل بالله ان لا يكون الامر كما تزعمين والان استودعك الله وقد طال امد جلوسي وآن وقت الانصراف

فامسكت الارملة بثوبه وهي تقول انتظر قليلاً فقد تذكرت امراً مهماً وهو ان زوجي اعطاني قبل وفاته مفتاحاً وكلفني بان ادفعه اليك عندما تسمح لي الفرصة برؤياك

فقال المسترود باهتمام اني اضعت مفتاحاً ثميناً منذ زمن فلا يبعد ان يكون هو فهل لك ان تفيديني عن حجم وهيئة هذا المفتاح

قالت هو صغير الحجم غريب الهيئة

فصاح المسترود هو هو بعينه

فقالت الارملة انتظر الى ان تراهُ قبل ان تبت حكماً في شانه

قال اريني وله عليّ في ذلك الفضل

تقدمت اليه الطفل وقالت تنازل الى حمله قليلاً ريثما احضر لك المفتاح المذكور من غرفة

المونة حيث اودعنا حرصاً عليه ان يفقد فيتعذر علي الوفاة بوصية زوجي ثم اخذت السراج وسارت وهي تقول اودعك ولدي ولا اظن بوجود خوف عليه

فاخذ المسترود الغلام بين ذراعيه واجابها وهو يضحك لكلامها ان كنت لا تأمنيني على ولدك فاستصحبيه معك ثم قال في نفسه وقد بعدت عنه الارملة بحيث لا تسمع كلامه يا لها من مسكينة سيئة الحظ فقد كانت غنية وسعيدة بما لا اظن انها تصل اليه في الاستقبال وانا على يقين من ذلك واعجب كل العجب لعدم اطلاعي على شيء من تاريخ حياتها فان توما شبارد كان حريصاً على سره يتجنب في الغالب التكلم عن امرأته وغاية ما اعلمه عنها انها مجملة بصفات حسنى نسموها لا يقاس على صفات زوجها فهي لم تخلق لتكون امرأة لصانع نجار كتوما وتحتمل مثل هذه البلايا والنوائب وتسقط اخيرًا في هذا المركز الصعب وكيف كان الامر فهي ذات قلب صالح سليم يتيسر به الحصول على كل شيء اذا بقيت في قيد الحيوة على ان من المشهور المعلوم ان السعال الناشف هو بشير الموت فاذا صح ذلك تكون ايام هذه المسكينة في العالم قريبة الزوال اما هذا الطفل فلا بد من نجاحه وتقدمه بالرغم عن نيرة الهولندي الحمر او بالحري المنحوس وتقدمه منوط في موقوف على اهتمامي

وما وصل المسترود الى هذا الحد من التصور الا واوقفه عن اتمام خطته امالو صياح الطفل الصغير لانه وجد ذاته بين ايادٍ غريبة لا تحسن سياسته فاخذ في البكاء والعويل وهو يبحث بيديه ورجليه ويتقلب بقوة بين ذراعي ود فعمد المسترود الى اجراء وسائل الملاطفة المصطلح عليها استجلاباً لتسكين خواطر الاطفال ولما لم يصادف اهتمامه نجاحاً سئم الصبر وسلم بنفسه الى ما اعتاد عليه من الحنق وصاح بالغلام يتهدده ويتوعده بما الجأه الى سكوت مغتصب لم يطل امده حيث بعد ان تمالك روعه عاد الى سابق صياحه وعويله فرأى المسترود من المناسب ان ينتقل به من مكانه عسى ينقطع بذلك بكاؤه فاخذ المصباح بيده وفتح الباب وخرج به الى خارج الغرفة

فندق النقود القديم

كان منزل السيدة جاكولين شبارد بولف تتاصف من البيوت القديمة الخربة قائمة على ممر قذر غير لائق لان يدعى بفندق النقود فهو يمتد على طول ساقية عميقة محاطة بعدة احواض صغيرة مهملة ضمن حديقة مارجرجس والبيوت المجاورة له مأهولة ببعض الباعة واللصوص والمشاذين وغيرهم من الادنياء الذين التجأوا اليها فرارًا من وجه الدائنين والقانون - ويحسن بنا ان نورد هنا بان هذا الصالح المعروف بفندق النقود وان كان قد تجرد وفقد من بعض امتيازات حق الاجارة بمقتضى امر صدر في اثناء حكومة غليوم الثالث كان لا يزال ايضاً عبارة عن ملجأ امين لمن يلتجأ اليه من المديونين وقد بقيت هذه الامتيازات مرعية الاجراء الى نحو نصف ايام حكومة

جورج الاول حيث انقضت عظمة الشرور الناشئة عن ذلك فصدر الامر باخلائها برمتها و بالنظر الى ما كان عليه هذا الصالح اثناء هذا الحديث من تنشيط المظالم وتامين الجرائم لجأ اليه قسم عظيم من لصوص العاصمة فتوارد عليه قطاع الطرق والقتلة والناهبون بما جعله تخيفاً مريعاً على نحو كان من منذ جيلين تقريباً مرتعاً للامراء وافاضل الناس فكان محتوياً على دار امارة شارل براندون والشيفلير ديك دي سيفولك المشهور بالعدالة والشرف والاستقامة ثم تحولت هذه الدار في ايام الملك هنري الى دائرة ضرب النقود ولكنها نقلت سهاعند خرابها الى برج لوندرا وبقي مطلوقاً على الصالح هذا الاسم وهو فندق النقود

اما منزل الارملة فكان يتل بقدميتو وتهدمو حالة الفقر والشقاء بما لا يصل الفكر الى تصوره فمن سقف به عدة ثقوب ومن موقدة متهدمة ومن جدران مشققة مستندة بدعائم من الخشب ملقاة على البيوت المجاورة ومن نوافذ مكسرة استعاضت عن الزجاج بالورق ومن ارض خشبية مغطاة بالنعال القديمة وقطع حديد منتشرة ومسامير صغيرة الى غير ذلك مما يستدل منه على صنعة موجر المحل السابق وهو بولص كروف الاسكاف الذي المعنا عنه فيما سبق من الكلام ولم تتمكن السيدة شبارد من الحصول على هذا المنزل الاعنيب وقاتو فاتة الفر مدفوعاً الى ذلك بما استولى عليه من اليأس الناشيء عن السكر وكان لمشهده تاثير شديد في النفوس وداخل الناس الخوف والجزع من هذا المنزل ولاسيما لما كان يسمع فيه ليلاً من اصوات مريعة عزيت الى الارواح النجسة فاشتهر عنه انه مسكون بالشياطين وتجنبته العباد بما يسر للسيدة شبارد السكنى فيه بدون ان يكون لها فيه معارض او مزاحم وما استقرت به زمناً الا علمت ان الاصوات المخيفة صادرة عن مداعبة جيش عديد من الجرذان

وكان يصل هذا المنزل بالطريق مدخل ضيق يؤلف من حائطين واطئين حيث كان واقفاً المستر ود مع الطفل الصغير ولما طالت غيبة السيدة شبارد سئم صبراً فراى ان يتقدم الى الطريق بعد ان توصل الى تسكين جاش الغلام ليكشف على نوافذ الطبقة العليا من المنزل فاعاقته ظلمة الليل الكثيفة على رؤيا ضوء ضعيف على غير استقرار في غرفة المونة ينتقل تارة الى الداخل واخرى الى قرب النوافذ فاحدق بنظره عبثاً لمشاهدة وجه الارملة ولكنه سمع صوت سعالها فهم الى منادامها واذا بصوت سقوط مريع فرع اذانه وما لبث بعد ذلك ان راى شاباً قد اندفع خارج الطريق وهو يعدو عدواً سريعاً والظاهر انه صادف في طريقه مانعاً لانه ما تقدم في سيره اكثر من عشر خطوات حتى انقلب راجعاً وانطلق في ممر وقوف المستر ود وهو يستغيث بصراخ لم يفهم منه شيء ولا يصدر الا عمن غاب عن الوعي والصواب وبوصوله الى قربه القى بلفافة على ذراعيه وبدون ان يلتفت الى ما اصابه من الدهشة والاندهاش اهتم بخلع ردائه

الثقيل ووضعهُ على كتفيهِ ايضاً . ثم استلَّ حسامهُ واعار اذناً صاغية كمن ينتظر قدوم قوم يطاردونهُ وكانت ظواهر هذا الرجل الفارّ موجبة للاشتباه فاخذ المستر ود بعد ان تمالك روعهُ قليلاً يتأملهُ باهتمام فاذا هو شاب في زهرة العمر لا يختلف في اعتدال قامتهِ وتناسب اعضائهِ عن بهاء منظرهِ وجمال طلعتهِ مرتدٍ بثياب بسيطة تدل على كرامة مرتديها وسمو درجتهِ في الهيئة الاجتماعية وبالرغم عن اضطرابهِ الشديد وقلقهِ المزيد كانت تلوح على وجههِ سمات الحزم والتأني والثبات



(ثم استلَّ حسامهُ واعار اذناً صاغية)

وما انتهى من تأملهِ الا سمع صوت بكاء الطفل الذي كاد يختنق بما القي عليهِ لو لم يتداركهُ المستر ود ويخلصهُ من شر هذا الشرك فالتفت الرجل الغريب وقد اعتراهُ الاستغراب وصاح استحلفك بالله ان تفيدني . أمعك طفل ؟

اجاب المستر ود وقد راى من رفيقولين المسالمة بصوت الغضوب نعم مع طفل وقد كدت تخنقه برداك الثقيل . . . . حقاً ان في الناس من لايحسن الملاحظة والانتباه

فقال الغريب في نفسه ربما تكون لهذا الطفل في نجاتي يدٌ بيضاء ثم وجه خطابه الى المستر ود وقال هل تبقى طويلاً هنا

اجاب لا اعلم

قال الغريب لا بأس فان باب المنزل مفتوح ولا حاجة للاستئذان بالدخول . ثم سمع في الحال اصوات المطاردين تقترب منه فصاح ياويلاه قد ازف الوقت ثم مد يده واستعاد اللفافة التي كان القاها اولاً على ذراعي المستر ود وهو يقول اعطني هذه اللفافة الثمينة واذا وفق لي الله النجاة احسنت مجازاتك انما صرح باسمك

اجاب النجار اسمي اوفان ود انما اسمٌ باسم فصرح لي انت باسمك ايضاً

وبينما كان الغريب يتردد في الجواب علت اصوات الوافدين وظهرت الانوار على جدران البيوت المجاورة فقال اسمي درايل انما الحذار الحذار اذا عثروا بك ان تجيبهم عن شيء فان موتك يتوقف على جوابك فالتفّ بردائي واحترس عليه واياك والكلام ثم القى بالرداء على كتفيه ورمى بالمصباح بعيداً عنه بعد ان اطفأه وفتح الباب واختفى عن الابصار وترك المستر ود والطفل في ظلمة الليل الحالك

فصاح المستر ود وهو يرتجف خوفاً فليرحمنا الرب ان الحجم والله كان مصيباً وما اتم عباراته الا سمع صوت اطلاق النار وشعر بمرور رصاصة من جنب اذنه ثم تبع ذلك صوت يقول انها اصبته وانقض رجل في الحال على المستر ود فمسك بطوقه ووجه بسيفه نحو مقتله وكان يتبعه نحو خمسة او ستة رجال يحمل بعضهم مشاعل

فصاح المستر ود قتلتني وهو يقاوم تخلصاً من عدوه الذي كان يضغط على عنقه بما عسر عليه التنفس على ان احد روساء العصبة الوافدة تقدم وبعد ان اخذ مشعلاً وقربه من وجه المستر ود قال لقد اخطأنا الغرض ياسير ساسيل فالرجل ليس بغريمنا

اجاب السير ساسيل وقد افرج عن المستر ود . نعم نعم لقد اخطأنا غير اني نظرته يخترق هذا الممر والاغرب ان رداءه على كتفي هذا الشقي

قال روفلاند لاريب ان هذا هو رداؤه بعينه ثم التفت نحو المستر ود وسأله بازدراء واحتقار عن صاحب الرداء

اجاب المستر ان الواسطة السيئة التي اتخذتموها لتقريري لاتنيلكم اربًا . لعمري ان خنق الانسان لايقود الى تكلمه واقراره واعلموا بانكم لاتحصلون على ادنى افادة مني ان لم تحصلوا على نوع ما

معاملتكم لي

قال سيرساسيل اننا نضيع الوقت سدًى مع هذا الساذج واذا طال الحديث تمكن خصمنا من النجاة فهيًّا لنجد في طلبه ولا شك عندي انه التجأ الى هذا المنزل فسيروا بنا اليه وعند ذلك علا صوت بكاء الطفل فصاح روفلاند وقد مسك برفيقه عن السير . بالله ما هذا الصوت الا تسمع يا رفيقي صوت البكاء . فاننا لم نخطي تمام الخطاء فقد وجدنا الثعيلب والثعلب لايكون عنا بعيدًا ثم جرد المسترود من الرداء الملقى على كتفيه ولدى نظره الى الطفل عمد الى الاستيلاء عليه فمانع الفار وهو يدافع متاخرًا الى ان وصل الى باب المنزل فاسند ظهره اليه واخذ يقرعه بشدة برجليه وهو يصيح باعلى صوته جاكولين جاكولين افتحي الباب حبًّا بالله ان كنت ترغبين في سلامتي وسلامة ابنك من سيف المعتدين . . عجلي عجلي ادركيني وافتحي الباب

فصاح سيرساسيل وهو يزبد غضبًا اقتله اقتله والا ادركنا البوليس

فاجاب روفلاند لاتخف ان البوليس لا يستطيعون ظهورًا في هذا الصالح الممتاز انما الخوف بل كل الخوف من قوم مطاردين

اما المسترود فعمد الى الاستغاثة غير انه منع عن ذلك بيد روفلاند الذي قبض عليه من طوقه وهو يقول له ان عدت الى الاستغاثة مرة ثانية افقدتك الحياة فخلِّ لنا عن الطفل وانا اعدك بشرفي ان لا يصيبك سوء

اجاب ود لا اسلم الطفل الا لامه

فصاح روفلاند يا لك من شقي هل وصلت بك الفحة الى حد ان تتلاعب بنا فاعطني الغلام والا . . . . .

وعند ذلك فتح الباب وتقدمت السيدة شبارد باقدام مرتجفة وقد زاد اصفرارها وظهرت عليها آثار الخوف الشديد فصاح المسترود وقد دفع اليها الطفل خذيه وبادري الى الفرار

فمدت السيدة شبارد ذراعيها وقبل ان تتمكن من اخذ الغلام كان روفلاند قد انتشله من ايدي الفار ثم همس الى السيرساسيل ان يدخل المنزل مع رفاقه فاجابوا مطيعين وتركوا من خلفهم احد حملة المشاعل اما روفلاند فاعطى الغلام الى تابعه واشار اليه ان اخفه يا دافياس فسار به دافياس المذكور الى احدى الزوايا حيث فك ربطة رقبته لاجراء الامر المعزوم عليه

قال ود وهو ينظر الى الارملة نظر التعجب والخوف يا لله كيف تتركين ابنك يختفي امامك بدون ان تبدي حراكًا او صراخًا لا ريب بانك قد فقدت الصواب

وبالحقيقة ان ظواهر الارملة كانت تدل على ضياع عقلها لان جوابها على كل ما قيل لها كان مقتصرًا على هاتين الكلمتين وهما . لم اجد المفتاح

فصاح المستر ود ما لنا ولهذا المفتاح الان يرغبون في قتل ابنك . . ابنك جاك . . فهمت أولم تفهمي بعد ياجاكولين

فاجابت السيدة شبارد لقد لطمت رأسي فعدمت رشدي

فنظر المستر ود واذا بنقط من الدم تسيل على خدي هذه الارملة المسكينة

وكان داڤياس قد اتم استعداداته فاطفأ المشعل وتهيأ للعمل

فصاح المستر ود وقد اصابته الرجفة من شدة الخوف لقد قضي الامر وياحبذا لو تكون الارملة قد فقدت العقل فلا تعود الى صوابها وتبكي على ما نالها ثم عزم على بذل منتهى جده الاخير لخلاص الطفل ولو كلفه ذلك فقد حياته فاقبل يصيح بكل قواه قفوا . قفوا . يالنجدة . يالنجدة . ادركونا . ادركونا . ثم اتبع ذلك بصيحات اخرى كانت معلومة ومصطلح عليها عند اهل ذلك الصاقع

ففي الحال سمع صوت البوق جواباً على هذا الصراخ

فعاد المستر ود الى سابق نداءه وردد قوله . قفوا . قفوا . ادركوني . ادركوني

فصاح المستر روفلاند وقد طفح بالغيظ . سر الى الموت والجحيم باشقي وضربه بسيفه على ان الضربة لم تصبه لان الظلام كان قد اخفاه عن اعين خصمه

فجدد المستر ود النداء . النجدة . النجدة . واذا بصوت يقول انتظر قليلاً ولا تخف شيئاً فاننا قادمون لنجدتك

ثم عقب ذلك صوت بوق ثان في نهاية الطريق ثم ثالث ثم رابع وكلها تدل على وقوع الشدة ووجوب النجدة فهاج الصاقع باهله يجيب النداء بسرعة ما سبقته اليها حامية من الجند مهيأة للقتال وقد ادركها العدو في ليل حالك فاشعلوا المصابيح وعلقوها في رؤوس العصي الطويلة وحملوا النبابيت وتسلحوا بما وصلت اليه ايديهم ثم اندفعوا جميعاً رجالاً ونساء الى حيث صدر الصوت وهم يوسعون المعتدين وعيداً وتهديداً

ومع ما اعتاده عليه اهل هذا الصاقع من عدم الاكتراث والاعتداد بما يقع في طرقاتهم من الاعتداء كانوا جميعاً متفقين رأياً ومتحدين عملاً في الدفاع عما خصوا به من الامتيازات ضد العدو العام الطامع الى مسها ولا سيما حينما صدر الامر الذي سبقت الاشارة اليه وقد شن رجال البوليس غارات كثيرة على اراضي هذا الصاقع غير انهم عادوا بالخزي والفشل وما توصلوا الى اجراء عمل فيه الا استعانوا على ذلك بالدسيسة والخديعة

ولزيادة الحرص من عدو مفاجيء اقيمت حراس على جميع المخارج وهم مأمورون باداء الاشارة المقتضية تنبيهاً للاهلين عند الحاجة والاقتضاء فتسد في الحال الطرقات وتقفل المعابر والبيوت والابواب والنوافذ وفضلاً عن ذلك فان الجهات المتطرفة من هذا الصاقع كانت

محصنة بما يحيطها من الجدران المرتفعة والهوتات العميقة وزد عليه وجود بعض المسالك المتشعبة المعوجة بحيث لا يستطيع من يدخلها على الخروج منها الا بمساعدة من يدلة على سواء الطريق او بورقة تعطى لة من سيد الصابح فيستعين بها على النجاة وهي مفتوحة المدخل لكل من يلتجيء اليها من المديونين فرارًا من الطالبين وخلاصة الامران عصبة الاهلين كانت على اتم الحذر والتدبر صيانة لشريه يشرعون

اما المستررود فما صرف الوقت ضياعًا بل كان على يقين من وجوب سرعة العمل لخلاص الغلام فانقطع عن الصياح ودافع بما في الوسع تخلصًا من ايدي روفلاند بما فتح لة طريق السير نحو دافياس وبوصوله اليه ضربه بشدة على راسه بما كاد يلقيه على الارض صريعًا لو لم يحل بينهما حائط بجانبه ثم انقض عليه وانتشل من بين ذراعيه الطفل وعاد به حيًّا سالمًا بعد ان جرد عنقه من منديل كان قد لفة عليه بقصد اعدامه خنقًا وعند ذلك ظهر ساسيل ورفاقه على باب المنزل وهم ينادون فرّ ونجا فقد بحثنا عليه في جميع الزوايا بدون ان نقف لة على اثر

اجاب روفلاند فلنبادر الى الاختفاء لان هذا اللئيم قد اكثر من الصياح بما اوفد علينا وفود الاشقياء فان لم نفر من امامهم وقعنا في شرك انتقامهم ثم استدعى بدافياس على حيث كان يهدد المسترود بالانتقام قائلا دعنا من هذا الساذج الان واتنا بهذه الامرأة (يعني السيدة شبارد) الى داخل المنزل فلربما نستفيد منها فائدة

فاطاع دافياس الامر عن غير رضًامنة واخذ بيد الامرأة يقودها وهي لا تقاوم الى حيث تبعه رفقاؤه واقفلوا من خلفهم الباب

وما مر على ذلك ثانية من الزمان الا نورت الطريق بما ظهر من المشاعل ثم سمعت اصوات الجموع ورنة الاسلحة بما دل على وصول الفرقة الاولى من الاهلين فتقدم المسترود الى مقابلتهم وهو يكاد يطير سرورًا بنجاة الطفل فاحدقوا به من جميع الجهات وهم يقولون اين ذهبت رجال البوليس

اجاب المسترود عمن تسالون

قالت امرأة من بين تلك الجموع وقد لبست لعلها ثياب زوجها سهوًا نسأل عن رجال الضابطة التي تطلب القبض عليك

قال اخر نسالك عن الكلاب الكلبة

قال الجمع بصوت واحد وهم يلقون باسلحتهم ومشاعلهم الى الفضاء وقد فتحت شورافواههم ضحكًا وتهقهًا . نعم عنهم نعم عنهم فقل اين هم الان

فارتجف لذلك المسترود وعلم انه بصياحه قد اثار نارًا يصعب اذا لم نقل يستحيل اخمادها

وزاد خوفه اضعافاً ما رآه في الجمع المحدق به من اشارات التهديد ونظرات الوعيد غير انه تجلد وقال لم افهم منكم شيئاً

فصاح واحد من الجمع ماذا يقول

اجابت الامرأة يقول انه لا يفهم كلامنا

فظهر من بين الجموع شاب خلنه المسترود حبشياً لشدة احمراره وقال ما لنا ولهذا الصياح فقد كاد يذهب بحياة هذا الساذج لخوفه ومن الواضح الجلي انه لا يفهم لهجة حديثنا ثم اقترب الى المسترود وبعد ان وضع يده على كتفه وجه اليه هذه العبارات

اين ذهبت رجال البوليس ايها الحيوان ولما لا تجيب هل فقدت عقلك. انك منذ قليل كنت تحسن التكلم والصياح فما بالك اصبحت ابكماً

واذا بصوت من خلف الجمع ينادي صه يا بوبلو ودعني اوجه اليه كلمة واحدة

فصاحت اصوات كثيرة نعم فليتولى جوناثان هذه المهمة فهو اقدرنا على القيام باعبائها

ثم فتح الجمع طريقاً لمرور جوناثان المحكي عنه فتقدم وهو شاب في العشرين او الاثنين والعشرين من العمر لم يكن في ظواهره ولا في ثيابه ما يستدعي التفات النظر غير ان في هيئته تنار الحديعة والمكر شيء كثير وعيناه الصغيرتان الزرقاوان متباعدتان عن بعضهما بما يقرب شابهة من الثعلب فان سحنة ومنظاره لا يختلفان عنه بشيء فهو ذو انف طويل معقوف وجبهة عريضة مسطحة تمتد على استواء الى اجفانه واسنان تتراءى للناظر بما يوهم انها توصل اذنه الواحدة بالاخرى بمزاج دموي حاد ويؤكد من راه في حالة النوم ان اعينه لا تغمض بل تبقى مفتوحة ولعل المراد بذلك راد الجاز بعني انه

ينام باحدى مقلتيه ويتقي   باخرى المنايا فهو يقظان نائم

اما قامته فتميل الى القصر واكثرها الى الاعتدال متناسقة التركيب تمتاز عن منظرها بما اودع فيها من الاقدام ولا ريب ان كل من نظر الى اهتمامه في استطلاع دقائق اعمال هولاء السائحين يحكم بدون تردد ان غاية الحقيقية في سكنى هذا الفندق انما هي الرغبة في الحصول على معلومات خصوصية عن اعمال الاهلين لا يلبث ان ينتفع بها بعد حين

ولما اصبح على مقربة من المسترود القى عليه نظراً حاداً وساله بصوت غليظ عما اذا كان الرجال اللذين لجأ والى المنزل هم من رجال البوليس

اجاب المسترود وقد داخل قلبه بعض الطمأنينة لا ياسيدي

قال تريداً انه لم يقبض عليك احد من رجال الحكومة

اجاب المسترود بثبات لا

قال. هل لك ان تفيدنا عما اوجب صياحك بما نشأ عنه هذا الاضطراب والاختباط في الصائغ

اجاب المستر ود ان حياة هذا الطفل كانت تحت خطر القتل باعتداء الرجال الذين اشرت اليهم

فصاح بوبلو بصوت الاعجاب والاحتقار وتبعه في ذلك الجمع الحاضر. لعمر الحق ان العذر كافٍ واف يدعونا الى ترك افرشتنا وبيوتنا في هذا الليل لاجل خلاص طفل وحرمة جدتي ان في ذلك تمام الاستغراب

قال جوناتان في معرض السؤال ايضاً. هل جئت تطلب التمتع بامتيازات الصائغ

اجاب ان المسئلة لا تعلق لها بالدائنين ولست بمديون

فصاح بوبلو عن بعد امالة هل له ان يرينا دراهمه ويدفع الواجب

قال جوناتان هل سمعت ما يطلب منك فان صديقي يرغب ان يعلم ان كنت مستعداً لان تفي الضريبة المتوجبة عليك باعتبار انك في جملة المديونين المستظلين بظل امتيازات هذا المحل

اجاب المستر ود بغضب اني لا ادفع ولا شلينًا واحداً ولا اسمح مطلقًا بان يوضع اسمي في عداد هذه الاسماء الدنية ولا اعلم لماذا يدفع من يقوم بالواجب دراهم فقد قلت لكم ان هذا الطفل كان على شافة خطر الخنق وقد لف المنديل على عنقه وكاد يقضي الامر عندما دعوتكم للنجدة ولعلي بانكم لا تجيبون استغاثة مصاب فيما سوى مسائل الدين والبوليس لم اصرح بما يتهدد الغلام من الخطر بل اقتصرت على طلب النجدة ليس الا

اجاب جوناتان ضاحكًا احسنت التكلم وحرية افكارك تستوجب الثناء انما كان من الواجب عليك قبل اظهار هذا التصلب والتعنف ان تهيء طريق الفرار والنجاة ولا ارى لذلك سبيلاً الا بدفع الرسم المتوجب ولا نتصور مطلقًا ان في الامكان خرق حرمة نظاماتنا بدون مجازاة المعتدي والاقتصاص منه فان حسبت نفسك في عداد المديونين ترويجًا لمصالحك فاعلم باننا لا نعدك منهم ولا ندافع عنك في جملتهم الا ترويجًا لمصالحنا ايضًا وقد كدرت راحتنا فاصبح من العدل والانصاف ان يستوفى منك الجزاء النقدي لما سببت من القلق في الصائغ واقرارك يدل على سعة ذات يدك حيث لو لم تكن غنيًا لما كنت غير مديون فادفع لنا عشرة دنانير نغنم بها شيئًا كثيراً وكان المستر ود في اثناء ذلك صامتًا باهتًا لا يبدي حراكًا ولا جوابًا. فعاد جوناتان الى اتمام الحديث بين ضجيج استحسان الجمع فقال

لربما اكون قد تجاوزت حدود سلطتي حيث رضيت منك بمثل هذا المبلغ الزهيد ولا اظن ان سيد الصائغ وزعيم القوم يتساهل معك الى هذا الحد وهو لا يلبث ان يحضر فتعلم ارادته وانما انصحك كصديق محب ان لا تحرك غضبه فربما يعود عليك بالاذية واعدك بان ابذل الجهد الجهيد

لاسهل لك اطلاق السبيل بالقيمة الزهيدة التي صرحت لك عنها

فصاح المستر ود منذهلاً . عشرة دنانير تعد قيمة زهيدة عندكم والله اني لا ابتاع فندق النقود باسره بمثل هذا المبلغ العظيم

قال بوبلو دفع اكثر من واحد قبلك ما يزيد عن هذا المبلغ تخلصاً من شر العذاب في فندق النقود

قال جوناثان . دعهُ وشأنهُ فهو حرٌ في ارادته يفعل ما يشأ انما يصعب عليَّ جداً ان اراهُ مستغفاً في تصميمي بما يعض عليهِ اصابعهُ ندامة

قال بوبلو ان كلامك يترجم عن نفس حاسياتي في هذا الصدد حيث يعز عليَّ ان اعاملهُ بالعنو والقوة غير ان تمنعهُ عن دفع الدراهم يفضي بتعريضهِ للعذاب ثم تقدم الى المستر ود وانتشل من بين ذراعيهِ الطفل وقال ان هذا العصفور الصغير هو منشأ كل هذه الغوغاء

فصاح المستر ود اسيئوا معاملتي بما تستطيعون اليهِ وصولاً انما استحلفكم بالله ان لا تمسوا الطفل باذية بل ردوهُ على امهِ فتكتسبون عليهِ اجراً

فسارع جوناثان الى السؤال منهُ عن ام الطفل وقال اجبني عن ذلك بوضوح وحاذر ان يسمعك احد غيري فان سلامتك مع هذا الصغير موقوفة على صدق وخلوص ايضاحاتك

وفي اثناء سياق الحديث بين المستر ود وجوناثان شعر بوبلو بيد صغيرة مرتجفة مست يدهُ فالتفت واذا بجانبهِ امرأة في عنفوان الشباب مغطاة الوجه والقامة انما عمات الحسن متجلية على ظواهرها وكانت هيئتها تدل على انها غريبة عن الجمع الحاضر لا وجه للصلة بينها الا بما كانت تعيره من الاهتمام المزيد الى مشهد الاعمال الحاصلة بجانبها

فما نظر اليها الا تبادرت الى افكاره السؤالات الاتية في من اين انت ومن تكون وماذا تريد وهمَّ ان يطلب منها عن ذلك ايضاحاً لو لم تبادره باشارة استدل منها على وجوب السكوت ثم قالت بصوت ضعيف مضطرب هل لك ان تاخذ هذا الكيس غنيمة باردة

اجاب بوبلو وهو يجهد النفس في تلطيف العبارة وتحسين الاشارة هل يتيسر لي معرفة ما فيهِ فلا امانع في اخذه

اجابت هو مملوء بالذهب وسازيدك عليهِ هذا الخاتم ايضاً

قال بوبلو متبسماً وماذا تطلبين لقاء هذا العطاء فاني مستعد لاتمام رغبتك فان شئت قتل امرء قتلتهُ وان شئت اطاعة عمياء ارتميت خاضعاً على اقدامك

فاجابت الامرأة وقد اثقلت عليها هذه المداعبة . اعطني هذا الطفل وحسبي بذلك عوضاً

قال بوبلو وهو يرمش بعينيهِ ويرمز بشفتيهِ اقتربي مني قليلاً ولا تخفي فاني لا افعل معك سوءًا

ولطالما اشتهر عني حسن السلوك مع السيدات . . . ادفعي اليّ الكيس عاجلاً بحيث لا يشعر بنا احد فلله درك ان ابرع اللصوص مهارة لا يقوى على دفعو بمثل هذه الخفة . و بعد ان احرز الكيس والخاتم قال اني اجهل ياسيدتي قيمة هذه الاشياء على اني موثق بشرفك وضميرك واملي ان لا تكوني قد تعمدت غشي

قالت الامراة وهي ترتجف خوفًا ان الخاتم من ماس ثمين فاعطني الغلام

اجاب بو بلو وقد دفع اليها الطفل واخذ يتامل الخاتم بمزيد الاعتناء لا ريب انه من ماس فاخر فهو يعادل في لمعانه اعينك فتكرمي عليّ باسمك ان شئت ثم التفت يمينًا و يسارًا فما وجدها اثرًا حيث كانت قد اختفت مع الطفل باسرع من البرق عن العيان

سيد فندق النقود

بينما كان الحديث معقود الاطراف بين بو بلو والامرأة كان جوناتان متروي مع المسترود ومهتمًا باستكشافو عن اصل الطفل والاسباب التي اوجبت توجيه مثل هذا العدوان ضدهما كاد يذهب بوضحية فلم يطلع منه على حقيقة ولكنه توصل اخيرًا الى معرفة بعض تفصيلات الحادث المجهول الذي مر على نظر المستر ود ووقف بعد ذلك مدة من الزمان باهتًا عرضةً للتفكر والتامل وهو يقول في نفسو ما هذا الحادث الغريب وكيف تاتي للشاب ان يستعين على الخلاص بطفل مجهول منه وينجح فيما عمل على انه لابد من سد سبيل النجاة في وجهو فلا عشت ان مكنته من الفرار من فندق النقود بدون رضائي واذني فاني لا البث ان اكتشف على مقره فيعلم طالبوه انهم لا يتوصلون الى الغاية بدون ان تجود ايديهم بدفع الدراهم الكثيرة وان ابطأ فعلى الشاب ان يشتري حياته ببذل ما عز وهان وهي خطة كيفما سارت تنقلب عليّ بالكسب المزيد ثم نادى بو بلو بصوت عالٍ واشار اليو ان اتبعني واتجه نحو المدخل غير انه استوقف بما سمع من اصوات الترحاب المنذرة بوصول سيد الفندق واتباعو

وكان سيد الفندق ويسمى بابتيست كيتلبي حسن البنية قوي التركيب مستدير البطن نهمًا في معاطاة اللحم والنبيذ حاد النظر فرح العينين جامعًا بين حسن الطبع ومزايا الغدر والخيانة ولم يكن في ملابسو شيء مما يستحق الذكر

وبصحبة شخص اخر هولاندي لا يختلف عنه كثيرًا في الهيئة بثياب توهم الناظر اليو انه من افراد المساخر لولا الرزانة والوقار المتجلي بهما ومع انه كان قريبًا من سيد الفندق كان حريصًا على السكوت وظواهره تدل على انه غريق في بحر من التامل

وكان يتبعهما عصبة من الاشقياء مسلحون بعصي حديدية وكثيرون منهم يحملون سلاسل وهم يولفون جيشًا مخصوصًا لحراسة سيد الفندق

فتقدم جوناتان الى زعيم القوم واخذ يقص عليه سياق الحديث القريب الذي اتصل به من المستر ودفاضربه عن كل ما راى في كمائه منفعلة وأكد ان الشاب الهارب تمكن من النجاة . فتبادلت لذلك الاشارة بين بابتيست سيد الفندق ورفيقه بما ينوب عن الالسنة في ايضاح الافكار وفهم منها جوناتان المقصود فصرح بصعوبة الاحوال الحاضرة وقال انه اذا عهد اليه بالاجراء يقوم بما يعود عليهم بالنفع العميم

قال الهولاندي وهو فان كالبر وك . دع جوناتان وشانه يفعل ما يشاء فهو قادر على ايقاف المطاردين وعندي انهم لو اوقعوا بطفل السيدة شبارد لوفروا عليه مشاق المشنقة التي لا يلبثان يقضى عليه بها فيصادف حظ ابيه

اجاب سيد الفندق ان طفلاً كتب له الموت شنقاً لايخشى عليه في الحال فهو في مأمن من كل خطر ولا حاجة لان نهتم به الان وجل الاهتمام هو الاستدلال على سبيل نصل به الى كسب شيء اذ يستحيل علينا ان نحضر في هذا الليل ونعود صفر الايدي وانتم تعلمون ان بابتيست اذا انخرط في عمل لايخرج منه الا والغنيمة في يده وحل هذه المسألة منوط بي متوقف على اهتمامي ثم صاح بالجمع وهو يشير بعصاه الى منزل السيدة شبارد ان تقدموا فاسرعوا في الحال وهم يقصفون ويعوون وقد علت من بينهم اصوات الابواق والطبول وغيرها الى ان وصلوا الى المحل المعين فقرع الزعيم الباب وصاح افتحوا . . . افتحوا . . . والا فنجبر على الدخول عنوة . وردد القول والقرع مرارا بدون ان يصادف جواباً فعمد الى مطرقة كسر بها الباب ودخل ومن خلفه فان كالبر وك وعدد غفير من ذلك الجمع الى حيث كان روفلاند والسير ساسيل مستعدين للقيام والسيوف مسلولة بايديهما

فصاح سيد الفندق جردوهم من السلاح انما تجنبوا اهراق الدماء

اجاب بو بلو . تعني اننا نبطش بهم فنعدمهم الحياة خنقاً لا ذبحاً

قال بابتيست وقد احدق بنظره الى روفلاند . ان لم يخطئني فكري تكون . . .

قال روفلاند . ان فكرك لم يخطئك قط يا حضرة الخواجه بابتيست فانا اصدقاءمن قديم العهد وسروري لا يوصف الان برؤياك

اجاب بابتيست اني اشكر الله الذي عرفنك قبل ان يقع بيننا امر مكدر

قال روفلاند . ارجوك ان تصرف هذه الجموع ان كان ذلك في امكانك لاني اريد ان اختلي بك لاحادثك باشياء مهمة

قال . ان لذلك واسطة واحدة لا يتم المراد بدونها

اجاب روفلاند فهمت المقصود فادفع لهم ما تراه مناسباً لارضائهم واني مستعد لا يفائك المطلوب فصاح بابتيست بالجمع قضي الامر يا اولادي وحسم الخلاف وابرم بيننا الوفاق وما من حاجة

بعد للصياح والتجمع . فتعجب السير ساسيل لذلك ومال على صديقه يسأله عما اوجب تسكين الهياج

قال روفلاند . ان الصدف عرفتني بصديق قديم وهو زعيم هذه الجموع فيمكننا ان نكاشفه في الامر ونتكل عليه فيكون لنا صاحبا امينا يعيننا على بلوغ الغاية

قال سيد الفندق وقد وجه خطابه الى بوبلو اذهب ياولدي فان حضرات الخواجات يريدون ان يبقوا منفردين بانفسهم هنا وقد دفعوا الواجب . ثم التفت الى ما حوله وقال . اين ذهب جوناتان . فاهتم بوبلو في البحث عليه ولما لم يجده . داخل القوم من ذلك العجب ولا سيما سيد الفندق حيث كان واقفا بجانبه . ولكنه اعرض عنه وعاد الى بوبلو فاستدعاه وهمس في اذنه قائلاً هل لك معرفة بالامراة التي دخلت المنزل مع الجمع

فصاح بوبلو متبرئا من معرفتها مخافة ان يظهر الامر فيجبر على تقسيم غنيمته واقسم انه لم يرها وانه لا يوجد بين الجمع من النساء الا كات الامازونية ومول المحاربة

فقال باتيست ان الامرأة التي سالتك عنها ليست في جملة هولاء بل كانت تجتنب ما استطاعت الاختلاط بين القوم والذي يظهر انها تحمل طفلاً

فقال بوبلو . ان صح ذلك فهي السيدة جاكولين شبارد

قال . اصبت انما لي مهمة احب ان اعهد اليك بها

اجاب . مر فاني مطيع لامرك

قال ان المراد بت مسالة الحساب المطلوب من الرجل الذي اقلق الحي بصراخه وان تمنع او حاول في الدفع فخذه في الحال الى آلة العذاب حيث يستوفي الجزاء . فاظهر بوبلو الخضوع والانقياد ثم ودع سيده وانصرف . وكان روفلاند والسير ساسيل ينتظران فروغ صبر نهاية هذه المحاورة . فالتفت اليهم سيد الفندق وقد خلا بهم المكان وقال اكرموا بما تريدون فاني مستعد لانفاذ اوامركم

السطح والنافذة

فلنترك الان سيد الفندق مع رفاقه منهمكين في مذاكراتهم ونسير في اثر جوناتان متتبعين خطواته فانه استغنم فرصة ازدحام الاقدام واهتمام كل بصوالحه الخاصة وانسحب الى خارج الغرفة لا يقصد بذلك فرارًا من وجه قتال كان يتوقع حصوله حيث لم يكن من الجبناء بل طلبًا لانفاذ تصور رسم في ذهنه فصعد السلم واشعل قنديله الضعيف وبينما كان يبحث باجتهاد وقف مترددًا اذ نظر السيدة شبارد تفتش في ارض الغرفة كانها اضاعت شيئًا ولما علم انها لم تشعر به تسلق الدرجات الموصلة الى غرفة المونة فعثرت رجله بمفتاح صغير فالتقطه ووضعه في جيبه وهو يقول

لاسقف بشيء ولو مهما كان حقيرًا فلربما استعنت بهذا المفتاح الصغير على فتح باب تم به سعادتي . وبينما كان مهتماً في الخروج من احدى نوافذ غرفة المونة نظر واذا قطع من القرميد منثورة على الارض فصاح وقد ظهرت على وجهه دلائل الفوز والانتصار ان الرجل المطلوب مرّ من هنا ولا بد من القبض عليه في الحال ثم غطى قنديله بردائه وبعد عناء عظيم تمكن من الصعود الى السطح وتقدم ماشيًا على القرميد يبذل في توازن خطواته مزيد العناية والرعاية وكان ظلام الليل الحالك يجبره على الاستعانة بيديه في مسيره لعلمه ان زلة واحدة كافية لان تلقي به الى الطريق فضلاً عن الثقوب الكثيرة التي كانت اقدامه على الدوام عرضة للسقوط فيها ولم يكن له في هذا السير الخطر ما يستعين به على الهداية الى سواء السبيل فكان لا يستطيع ان ينتفع بقنديله بدون ان يعرض نفسه الى خطر شديد وكان لا يجاوز نور المشاعل المضيئة من نحو جدران البيت . وبوصوله الى مقربة من عدة مداخن ملتحمة ببعضها وقف يستعين بقنديله على الظلمة الكثيفة المحدقة به فداخله الجزع وكاد يقع في القنوط عند ما رأى ان لا وجود لاثر جديد يستدل منه على مركز غريمه الجاد بطلبه وبعد ان تأمل قليلاً قال علمت مكانه ثم اخفى القنديل وعاد الى سيره فقطع المسافة التي تفصله عن المنزل المجاور وصعد على سطحه وتقدم الى سلم من الخشب بما يدل على معرفته التامة باحوال المنزل وبعد ان بلغ اعلاه مسك باليد الواحدة فردًا وفي الاخرى القنديل وانحدر الى رواق قديم فكشف الضوء في الحال الشاب الفار يحمل على ذراعيه طفلاً فصاح جوناتان وقد تذكر الاسم الذي اتصل اليوم المستر ود الحمد لله فقد وجدك خادمك بعد الجهد ياسيدي درايل

قال الشاب وقد تهيأ للدفاع . من انت

اجاب جوناتان بعد ان وضع الفرد في جيبه . صديق ياسيدي

قال . كيف يمكني ان اتحقق كلامك فاثق بصداقتك

فقال . وما الموجب لحضوري اليك الان لو لم يكن ذلك بقصد خدمتك فلا تضيع بالباطل وقتاً ثمينًا يصرف في سبيل خيرك فان حياتك وحياة طفلك في قبضة يدي فماذا تدفع لي جزاء تعابي فاخلصكما من الاعداء المطاردين

قال وهل تستطيع قبل كل شيء تخليصنا

اجاب اني بدون شك استطيع ذلك انما قل الان ماذا تدفع لي جزاء على هذه الخدمة

قال . اني لااملك الا هذا الكيس وفيه من الدراهم ما ليس بقليل فهو لك واذا نجوت ابقى مديونا لجميلك

اجاب جوناتان بصوت الازدراء والاحتقار . ما لنا ولدين الجميل فهو دين يزول بزوال الخطر ولا يقبل به الا من تجرد عن الصواب اما انا فاريد مالاً منقوماً

قال . اعطيك كل ما املكه الان

اجاب جوناتان . ان ما تعرضه عليَّ عوض قليل بالنظر الى الخطر الذي اقدمت عليه وانما لا باس فاتبع خطواتي ولا حاجة لان انبهك الى وجوب الاحتراس والتيقظ في السير فانت اعلم مني بذلك ثم اخفى القنديل وقال لا خير في ضوء يهتك السر ويكشف الستر

فقال درايل . لي كلمة اقولها لك قبل كل عمل فاني لا اعلم من انت ولا من تكون ولم ارَ وجهك ولكني سمعت من صوتك ما جعلني على ارتياب في سلامة طويتك فخذ لنفسك الحذر واعلم اني اقتلك بدون شفقة عندما يظهر لي منك اثر الخيانة

اجاب جوناتان . اني عرضت بنفسي الى الخطر لاجل خلاصك وذلك وحده كافٍ لان تحسن بي ظناً فان مطارديك يجدون عنك في اسفل هذه الدار فما الذي كان يمنعني عن احضارهم اليك لو قصدت لك سوءا

قال درايل . كفى كفى فلنسر . ثم اندفع الاثنان من حيث اتيا وبوصولهما الى منعطف الطريق اوقفهما عن مداومة السير ما سمعاه من الصيحات الخفية والاصوات المريعة فحققا النظر واذا الجمع من تحتهما محدق برجل مسن يحوه معاملة ويوسعه اهانة بين لطم المستهزئين وقهقهة الضاحكين وهو يصيح بالويل والحرب وما من سامع يشفق وقد رفعت قبعته على عصا طويلة وتمزقت ثيابه وساء حاله وانتشر شعره وهم يلقون به طوراً الى الفضاء وتارةً الى الارض وحيناً الى الساقية وكان الرجل المهان هو المستر ود حيث منع عن دفع الضريبة فسار به بوبلو والجمع يطلبون آلة العذاب ليقضي الله عليه امراً كان مفعولاً

فصاح درايل . والله اني كنت السبب في بلاء هذا الانسان

قال جوناتان . ان في الاساءة اليه منفعة له لعله يتعظ فلا يقدم على عمل الخير بعد الان . ولما لم يصادف كلامه جواباً جد في مسيره ودرايل يتبعه الى ان بلغا غرفة المونة فنزلا اليها وانحدرا منها الى مقربة من غرفة السيدة شبارد واذا الباب قد فتح بعنف وظهر على السلم عدد من الناس يحملون مشاعل وفي جملتهم روفلاند والسير ساسيل . فوقف درايل لذلك باهتاً واستل سيفه وقال لرفيقه بصوت كاد لا يسمع قد خنتني وستنال جزاء خيانتك

قال جوناتان بثبات ورزانة اسكت فاني لم ازل قادرا على خلاصك . ثم نظر واذا بالمطاردين قد انقلبوا راجعين واختفوا عن الابصار فقال هيا فاعطني يدك لان الوقت قصير والحياة عزيزة ثم دخل به الى غرفة صغيرة في اخر المنزل حيث اظهر قنديله وفتح في الحال نافذة تلقي الى الطريق وعليها شبكة من الحديد تحول دون الخروج منها فعمد جوناتان الى حل السلاسل التي تربط اعلاها بالنافذة والقاها بهدوء الى الارض فكانت سلماً امينا للنزول وقال

رفيقوسر بسلام فقد اصبحت حرًّا وفي مأمن من الخطر فاني اكتشفت على سر هذا السلم من صديق لي كان يسكن هذا المنزل واسمهُ بولس كروفيس واستعملتهُ مرارًا ولكن لم يخطر على بالي قط ان استعين بهِ يومًا على تقديم مثل هذه الخدمة العظيمة فهل تشك بعد ذلك في صدق كلامي

قال درايل اني مديون لك بفضلك فهاك كيس النقود واملي ان لا تبخل عليَّ باسمك من كانت على يده نجاتي . فاخذ جوناتان الكيس وقال لا حاجة لك في معرفة اسمي فاني لا اعلق املاً كبيرًا على علائق وروابط الولاء

قال درايل وهو يتنهد بما يجرح لهُ الفواد . ان صوتًا خفيًا في اعماق قلبي ينبهني الى اني ساعٍ الى مصاب اعظم وخطر اكبر

اجاب جوناتان . ليس على العناية شيء بعيد ولما لو كنت مكانك لما ترددت في الحكم بين خطر حاضر ذريع وخطر لم يخرج عن دائرة التصور

قال درايل . اصبت فدلني الان على اقصر الطرق المودية الى نهر التيمس

اجاب . اني لا ابخل عليك بما يمكن من الافادة حيث يصعب عليَّ تحديد الطريق من هنا تحديدًا وافيًا بالمقصود فسر على يمينك مستقيمًا الى ان تبلغ نهاية هذه الجدران فتصل الى ويتكر وستريت وهو شارع طويل ينتهي بك الى شارع كيستريت ومن ثم تسير على شمالك فتبلغ دادمان ومن هناك لا يلزمك الا قليل من الخطوات حتى تصل الى رصيف سان سافيور فتجد ثمه فلكًا يعينك على قطع النهر

قال . احسنت . وعمد الى السلم فاعانهُ جوناتان على النزول ثم قال لهُ مهلاً فان من الموافق ان تستصحب معك هذا القنديل عساك تكرم عليَّ عوضًا عنهُ باثر منك اتوصل بهِ الى التعرف بك يوم تجمعنا واياك الاقدار . ويكفيني لذلك كفوفك . فاخذ درايل القنديل ورمى لهُ بكفوفهِ الى داخل الغرفة ثم نزل بهدو وما لبث ان بلغ الارض فصاح بصوت الفرح . الحمد لله على النجاة . ثم التفت الى جوناتان وقال لهُ استودعك الله بقلب طافح بالامتنان واعين مملوءة بدموع الشكر

فقال جوناتان في نفسهِ اما الان وقد ذهب الارنب البري فلنجد في طلب كلاب الصيد واندفع لهذه الغاية من الغرفة التي كان فيها الى سلم المنزل وعند ما بلغ منتهاه صادف في الظلمة امرأة ظنها السيدة شبارد فالقت بنفسها عليهِ وتمسكت بذراعيهِ وهي تقول لهُ بصوت مضطرب ابن تركتهُ فقد سمعته يتكلم معك فلم اتجاسر على الاقتراب منهُ مخافة ان تتجه اليهِ انظار المطاردين

قال ان كنت تقصدين بذلك الشاب الهارب درايل فقد نجا بنفسهِ من النافذة . فتنهدت من صميم فوادها وصاحت فليتمجد اسم الرب على هذه النعمة

قال جوناثان . يا للعجب من تقلب النساء وشدة نسيانهم فانك تشكرين الله على نجاة رجل سعى بان عرض ابنك للقتل

اجابت وقد علاها اصفرار العجب ماذا تعني بكلامك ياسيدي

قال . اعني انك لاتجهلين ان دراپل استعان بابنك على تخليص حياته بان وضعه بدلاً من ابنه وقد نجحت حيلته فنجا بها ووقع ابنك في الشرك

فصاحت الامراة . اذاً هذا الطفل ليس بولدي

قال . لا فاني عهدت بولدك الى بوبلو وهو مع الجمع في الطريق

قالت . ولمن يكون هذا الغلام

قال . لا اعلم ولكنه على كل حال لم يرسل من السماء فهو من لحم ودم . ثم مسّ الطفل بيده فبكى واكثر من الانتحاب فما سمع السيدة شبارد من الغرفة المجاورة فركضت نحو الصوت وهي تصيح ولدي ولدي . منوا عليّ بولدي

قالت الامراة . وقد وجهت خطابها الى جاكولين شبارد أأنت امه

اجابت وقد اخذت الطفل وضمته الى صدرها . نعم امه وقد اضعته ووجدته فاشكر الله على كرمه

فصاح جوناثان وقد سمع من الحديث ما القاه في لجة الاستغراب . بالخطاء ارتكبته باعطاء قنديلي الى الغير . ثم وثب الى اسفل السلم وهو ينادي الضوء . . . الضوء . وعند ذلك صاحت الامراة وقد ظهر عليها الخوف الشديد ترى من اين يمكني الفرار فانهم لا محالة يقتلونني اذا وجدوني كما تعدوا قتل ابني وزوجي من قبلي

فسارعت اليها السيدة شبارد تستدرك ما بقي لها من القوى لتنشطها على الفرار وهي تقول . اقبلوا . . . اقبلوا . . . انجي بنفسك . . . . اصعدي الى السطح

وفي الحال ظهرت المشاعل على السلم وسمع صوت الضحك والقهقهة فاحتارت الامراة في امرها وبقيت مرتابة لا تدري ماذا تعمل على انها انتبهت بغتة وقالت تذكرت لهذه الغرفة نافذة . واندفعت بسرعة الى داخل الغرفة

قالت السيدة شبارد أن النافذة مغلقة

اجابت . لابل مفتوحة . ورمت بنفسها منها واذا بجوناثان قد وقف تجاه السيدة شبارد ونظر اليها بعين التهديد وقال اين ذهبت وكرر السوال مراراً

قالت . صعدت السلم . (تريد سلم غرفة المونة)

اجاب . وقد دفعها عنه بشدة حيث كانت تحاول منعه عن الدخول الى الغرفة التي دخلت الامراة الغريبة اليها . كذبت يا شقية فهي هنا وهم الى التقدم واذا صوت عظيم سمع من جهة النافذة

وتبع ذلك الصوت سكوت مخيف انتهى بتنهدات عميقة . وكان السير ساسيل قد دخل وقتئذ الغرفة فاخذ مشعلاً وتقدم به نحو النافذة وبعد ان وجه الضوء الى اسفل وتأمل مليًّا عاد نحو روفلاند وقد تغلب عليه الخوف والاصفرار وقال له بصوت ضعيف . قتلت اختك

اجاب روفلاند بدون ان يظهر عليه اثر للارتياع . ماذا اتت لتفعل هنا . فليسقط دمها على راسها

قال السير ساسيل بصوت المتأثر الحزين . انها لم تستطع مقاومة سوء حظها فقادها الى حتفها

اجاب وهو يجهد نفسه في اخفاء قلقه . اذهب واعتني بجثتها فاني آتٍ اليك عاقبل . واعلم ان مثل هذا الحادث يزيد في اصرارًا على عزمي فقد محي بموت اختي نصف العار الذي لحق بنا ولطخ شرفنا ولا يلبث ان يمحي كله ان شاء الله فقد اقسمت يمينًا بوجوب قتل ذلك الخائن الشقي مع ابنه . ثم التفت الى جوناتان وقال له . هل لك معرفة ياسيدي في الطريق التي سار فيها الرجل الذي نطلبه ختفيد نا عنه

قال . نعم ولكنكم لا تنالون مني فائدة ما دمتم لا تدفعون لي عوضًا . فاخرج روفلاند في الحال من جيبه كيسًا ودفعه الى جوناتان وقال تكلم الان

قال تجدونه عند رصيف سان سافيور فهو عازم على قطع النهر وقد اهديته الى الطريق البعيدة ولكنه تقدمكم

وما اتم كلامه حتى اسرع روفلاند الى النزول من النافذة وتبعه جوناتان وبقية المطاردين ولم يبقَ في الغرفة الا ثلاثة اشخاص وهم سيد الفندق وفان كاليبروك والسيدة شبارد . فاوضح سيد الفندق اهمية الحادث الواقع وقال ان المطاردين لحسن الحظ على اتم الاتحاد مع صاحبنا في الجهة الثانية من البحر (يريد حزب الستوارت) . ثم مدح من اقدام جوناتان وقال اني انبئت قبلاً بما سيصل اليه هذا الانسان

قال فان كاليبروك نعم وانما اذكر بان فان كاليبروك تنبأ ايضًا بان المشنقة لا تحرم منه نصيبًا . ثم انصرف الاثنان وبقيت السيدة شبارد وحدها فاطلقت للدموع العنان وصاحت . واحرباهُ . اني احسد المرأة الغريبة على هلاكها واشتهي المات ولكن واحسرتاه من يسهر بعدي على حياة ولدي

خبر خير

ومضت مدة والسيدة شبارد مطرقة تسكب الدموع دون ان تبدي حراكًا ولكنها تمالكت قواها اخيرًا فوضعت ابنها الصغير على الارض وجثت على ركبتيها ورفعت يديها واعينها نحو السماء وصلت الى الله قائلة « انرتني يا الهي واعلمني بعظيم خطيئتي اني احتملت كثيرًا واثامي تستحق القصاص بالموت انما تنازل ايها الاب السموي الرحوم وامهلني قليلاً . لا اطلب منك ذلك طمعًا بالحياة بل حبًّا بهذا الصغير . واذا قضت ارادتك الالهية ان يعيش وحده في هذا الوجود بدون

ام ترعاه باعينها فاسح بان لا يكون له نصيب من الشقاء الذي استحقته باثامي » و بعد ان انتهت من صلاتها وقفت على قدميها وضمت الغلام بذراعيها وهمت ان تنزل به السلم واذ فتح باب الطريق وشعرت بخطوات اقدام في المنزل وسمعت صوتاً من الاسفل يقول اين انت ايتها الارملة . فلازمت السيدة شبارد على السكوت فتكرر الصوت بما يفيد ان صاحبة يطلب الارملة لامر مهم يتعلق بها وهو جائع يرجو قبل كل شيء ما يسد به رمقة . ولما لم يصادف جواباً قال لا مانع اذا لم تحضري اليّ فانا احضر اليك وانوب عنك في اعداد الطعام لنفسي حيث لا يليق بي ان اتعبك واقبل في الحال على المائدة يتناول ما عليها بشره فلم يبق ولم يذر . وما اتم طعامه حتى لعبت براسه بنت الحانة فصاح يخاطب السيدة شبارد قائلاً . جئت اطلب يدك فتكونين لي زوجة وتستعيضين بي عن ترما شبارد . ثم وقف يتمايل بمفاعيل الخمرة يمناً وشمالاً واتجه الى السلم في طلب الارملة فارتاعت لذلك وإستولت عليها الرجفة وسارت نحو النافذة وفي العزم ان تلقي بنفسها منها فتصادف حظ الامراة الغريبة وتستريح من اهوال عيشة شقية . واذا رجل يتسلق الشعرية فاندفعت الى الوراء وكادت تقع الى الارض لو لم يستدركها بو بلو بدخوله الى الغرفة بعد ان بحث عنها خارجاً وهو يحمل في اليد الواحدة شمعة وفي الثانية زجاجة خمر . فقبض عليها وقال ضاحكاً . اسعدت بلقياك وقد كدت اقطع منه املاً

فقالت بصوت المتكسر الخائف اتركني بالله اتركني دعني في شقائي فكفى نموه الى هذا الصغير المسكين الم تسمع صياحه وعويله

اجاب بخشونة وقساوة . ليته يختنق بكائه فاني اكره الصغار ولو انيط في امرهم لامتهم جميعاً . ثم افرج عنها وقال اسكتيه والا اعدمته الحياة . فهرعت الارملة تلاطف ابنها وتبذل المجهود في تسكين جاشه اما بو بلو فوضع الشمعة على الارض وازدرد قليلاً من الخمر ثم عاد الى اتمام حديثه فقال والان لديّ خبر خطير اريد ان ارفعه اليك

اجابت وقد وجهت اليه نظرة المشك المرتاب خبر خطير لي

قال نعم الك فاحذري ان استطعت . فشعرت السيدة شبارد لذلك بخفقان في قلبها ومع انها فهمت المراد من كلامه تجاهلت عنه وقالت لا استطيع حذراً

قال ما دام الامر كذلك فلا مانع من التصريح لئلا تطول مدة الارتياب فاعلمي اني قادم لامد لك يداً واعرض عليك الاقتران مني ولي الامل الوثيق انك لا ترفضين طلبي ففي صباح غد نسير الى الهيكل لاجراء عقد الزواج . وما وصل الى هذه العبارة الا وانتفضت جاكولين رعشة . فقال ما بالك ترتعشين ان ما توهمت به لجهة الطفل هو من قبيل المزاح فصدقي وثقي باني احبه كما لو كان ولدي وسابذل العناية في تحسين تربيته بحيث يصل الى يوم يبلغ به ان شاء الله شهرة ابيه .

فصاحت . واويلاه من هذا الشقي

فاحتدم بوبلو لذلك غيظاً وانقض عليها وقبض على ذراعيها وقال وصلت بك الفحة الى حد ان تمانعي في انفاذ ارادتي

اجابت وقد كادت تغيب عن الصواب من شدة الخوف . اذهب عني اتركني وشاني

قال وقد استلقى على ظهره ضحكاً . لا اطلق لك سراحاً ولا اقول ذلك مزاحاً

اجابت . خذ لنفسك الحذر فاني لست وحدي هنا بل في النافذة اناس ثم صاحت . يا للنجدة يا للنجدة فلم يجبها الا صدى صوتها فتأكد بوبلو بعدم وجود من ينجدها . فقهقه ضحكاً وتمايل حبوراً وقال ما الفائدة من هذه المقاومة والعناد فارجعي الى عقلك واهتدي الى صوابك . فقد حملت ابنك ساعة فوفد عليَّ بسببه الخير الكثير فكيف اذا توليت تربيته واحسنت معاملته واقام عندي . ثم اخرج من جيبه كيساً وخاتماً وقال لي هذه النعم كلها (يريد الكيس والخاتم) اصبحت على اليوم والفضل بذلك لابنك وها من الامرأة التي رمت بنفسها من هذه النافذة ولو كنت وتتذر حاضراً بدلاً من جوناثان لما سارت الاحوال الى هذا المصير الوخيم

وعند ذلك سمعت حركة في الخارج فصاح وقد نظر الى النافذة بقلق ما هذه الحركة . ولكنه عاد فقال انها ناشئة عن هبوب الهواء

قالت الارملة وهي تريد تخويفه لا بل ناشئة عن جوناثان وبلد الم اقل لك ان في النافذة اناس يأتون لنجدتي

قال متعجباً . جوناثان وبلد ياتي لمعونتك وهو عدوك الالد على انك معذورة فيا ترجمينه ولو قسم لك النصيب باستماع كلمات زوجك الاخيرة لما كدت عداوته وعلمت انه هو الذي قتله ولولاه لكنت بالف راحة وسلام

فصاحت وقد اهاجتها الذكرى حتى كادت تحترق بنارها . ارجع الى الوراء كي تجربني

قال . ماذا تعنين بتجربتك

فاعادت قولها . ارجع الى الوراء

اجاب وقد اخرج من جيبه سكيناً . فهمت مقصودك . تريدين ان لك على جوناثان ثاراً وفي كلمة حق لا تصدر الا عن القلب الصادق الامين فقد قتل زوجك ولا بد من قتله جزاء لاعتدائه وخيانته وتريني مستعد الاتمام رغائبك فري فقط والامر يقضي طبقاً لارادتك . واليك الان هذا الخاتم فهو من ماس ثمين وقد جئتك به عربوناً للزيجة فانظري اليه تجدين اسم صاحبه محفوراً عليه ثم احدق بنظره في الاحرف المرسومة على فصه وقراه اليغه ترانشار

قالت . . ماذا تدعى . . . اليغه ترانشار

قال . نعم فهل تعرفينها

فاجابت وقد وضعت يدها على جبينها كانها تستجمع بذلك قوى تصوراتها . اذكر اني سمعت هذا الاسم منذ زمن مديد ولكن اين وفي اي حين لا اعلم

قال . ما لنا ولهذا فان هذا الخاتم هو لي الان فخذيه وضعيه في اصبعك . ثم مسك يدها فانتشلتها منه مرتاعة وعادت القهقرى خائفة مذعورة . فتتبع خطواتها وعمد الى القبض عليها وصاح بها ضعي الطفل هنالك



(ثم اخذ باليد الثانية السكين وعمد الى الايقاع بها)

فنادت وقد رفعت الطفل الى ما فوق راسها . ارحمني يارب ارحمني

قال . ان لم تضعيه فاجاك المصاب من حيث لا تعلمين

اجابت . ابدًا . . . ابدًا . . . فعض على السكين باسنانه وزبد الغيظ والحنق يتدفق فوق اشداقه وانقض عليها فوقع عن راسها الغطاء ونثر شعرها على اكتافها فقبض عليه باليد الواحدة والقى بها بعنف الى الارض والطفل المسكين بين ذراعيها وقد ضمته الى ثدييها بحنو خالطه خوف شديد . ثم اخذ باليد الثانية السكين وعمد الى الايقاع بها واذا ضربة شديدة فاجئته بغتة من خلفه فسقط

لساعتهِ الى الارض غائباً عن صوابهِ . فرفعت جاكولين شبارد نظرها واذا جوناتان ويلد واقفاً عند راس بوبلو وهو يتامل الخاتم بمزيد الانتباه والدقة ويردد في نفسهِ هذه العبارة . ترانشفار . اليفه ترانشفار . لقد صدقوا في ايراد هذا الاسم ولن وافقني الحظ بان عاشت اخت روفلاند بعد هذه السقطة غنمت بهذا الخاتم المال الكثير وتوصلت بهذه الارقام الى معرفة مرتكبي هذه المكيدة واسبابها

قالت السيدة شبارد وهل لم تمت هذه الامراة ياسيدي

فصاح جوناتان وقد اخفى الخاتم في الحال . يالحماقة ظنك غائبة عن الصواب

فكررت الارملة سوالها وقالت حية هي الى الان

اجاب وماذا يعنيك ذلك

قالت وهل تمكن زوجها من الفرار

فنظر اليها بعين الازدراء وقال لها ان الزوج لايخشى اعتداه من اقارب زوجتهِ وانما ان سألت عن معشوقها فهو في اليمس يقطعهُ هرباً من مطارديهِ وان ابقت عليهِ الزوبعة فلا يبقي عليهِ المطاردون وقد سرت خلفهُ ولو توقفت انا ايضاً الى فلك لتاثرتهم في طلب معرفة النهاية وانما الحمد لله على العود حيث نلت بهِ الخير الكثير

قالت . نعم ولولا مجيئك لقضي عليّ مع ابني

قال عجباً هل تهمين بكلمة الخير خلاصك مع ابنك فوالله لو لم يطع بوبلو بكلامهِ غضبي وتدعوني العوامل الخصوصية الى السير في هذه الخطة لنجيت مع ابنك بدون ان احرك ساكنا لنجدتك فاني لا انسى الى الابد اهانة زوجك لي

اجابت زوجي اهانك

قال نعم انهُ داس اقتراحاتي باحتقار مرتين فعفوت عنهُ في الاولى ولكنهُ خانني في الثانية وكان المراد وقتئذ سرقة بيت التجار ود فوعدتهُ بالمشنقة ووفيت بوعدي

قالت . لا يلبث ان يأتي يوم تنال بهِ جزاء اعمالك فيكون لك نفس الحظ الذي سببت بهِ لزوجي

قال . لا يبعد ذلك ولكني ساسعى بارسال ابنك الى المشنقة من قبلي

فصاحت متنهدة وقد جمد الدم بارداً في عروقها بما وقف لهُ جوناتان منتصباً على الاقدام وقال لابد من قتل ابنك شنقاً بنفس الحبلة التي شنق بها والدهُ وذلك يوم يبلغ اشده ويعد في جملة الرجال

فصاحت . اشفق عليّ وارحم ضعفي

قال . نعم سيجد لهُ شيطاناً مريداً فلا ينال الشفاء الا من يدي

فعاودت الصياح قائلة باعلى صوتها . اذهبي عني ايتها الافعى الجهنمية . دعني ايها القاسي وشاني ولا تقودني الى السخط واللعن

قال . العفو واصفحي مهما استطعت

فرفعت يديها وشخصتها الى السماء كانها تريد ان تسخط على عدوها ولكن الحنو الوالدي تغلب فيها على الغضب . فجثت على ركبتيها ومدت ذراعيها الى ولدها وصاحت من فؤاد منفطر ان صلوات امك الحزينة وتضرعاتها تتغلب بدون ريب على دسائس الشياطين ونوايا المنافقين

اجاب جوناثان وهو ذاهب ستبدي لك الايام من امري عجائب . وما خلت الغرفة بالسيدة شبارد الا خنقتها العبرة فسقطت على وجهها الى الارض مغشياً عليها

الزوبعة

توصل المسترود بعد عناء شديد الى الفرار من ايدي مضطهديه فاندفع الى خارج فندق النقود بعدو بما في الامكان من السرعة الى ان خارت قواه وضعفت عزيمته فوقف يطلب لنفسه راحة ويتخذ لسيره خطة واذا ببناية على مقربة منه يعلوها قبة مرتفعة فعلم في الحال انها كنيسة الخلاص وبينما كان يجول بنظره فيها دقت الساعة نصف الليل وتبع ذلك اصوات اجراس عديدة بعيدة فشعر بارتعاش في اعضائه ناشيء عما هو مستول عليه من الخوف والتحسب من الوقوع في خطر جديد وزاده قلقاً منظر السماء الغريب فكان يعلو جناح قبة الكنيسة بصيص نور مصفر باهت يدل على طلوع القمر وكانت الرياح قد ابتدأت تهب بشدة فمزقت الغيوم وبددت شمل الابخرة الكثيفة المتلبدة في الفضاء فظهر القمر بعد ان كان مختفياً عن العيان يرسل ضوءه الباهت من خلال الغيوم الكثيفة المحدقة به ولم يكن في السماء اثر لنجمة وكانت البروق تشق الفضاء بلمعان نور مشرب بالاحمرار مما يزيد في عبوسة منظر الجو المختبط فاضطرب المسترود بما راه من دلائل الزوبعة وكان التعب قد اخذ منه كل ماخذ فصرف همه الى ايجاد محل يأمن فيه غائلة البرد فيستغنم الفرصة للتامل فيما يسعه اتخاذه من الوسائل وفي الحال لاح له نور من دسكرة هنالك فاتجه نحوها ودخل اليها وطلب قدحاً من الخمر وكان صاحبها واسمه داود بش صديقاً له فترحب به وساله عن سبب اصفراره وخوفه فجلس يصطلي بقرب النار وبدا يقص عليه واقعة حاله في فندق النقود وما جرى للمع بو بلو ورفاقه ثم اعلن عن رغبته في قطع نهر التمس بما يمكن من العجلة تحسباً من ان تفاجئه الزوبعة

قال صاحب الدسكرة رايت الجو عند غروب الشمس على غير عادته فداخلني الشك في جودة الطقس وعلمت ان الزوبعة لا يؤمن شرها في هذا الليل

قال نوتي مسن كان يدخن بجانب النار من المؤكد المقرر ان الرياح لا تلبث ان تهب

عاصفة عما قليل

فانتصب ود وافقًا وقال استودعكم الله فان الوقت حرج عليَّ ابلغ الضفة الثانية من النهر قبل اندفاع الرياح

قال صاحب الدسكرة . ان كان ولا بد من الذهاب فهناك ملاح يحسن خدمتك ويتم رغائبك . ثم صاح برجل ممدد على بنك في زاوية المنزل قم يابين وهيأ لتقطع النهر فان صاحبنا ود يريد فلكًا

اجاب وقد استيقظ من رقادهِ واهتم في جمع المتشر من ثيابهِ الى اين تقصد الذهاب ياسيدي

قال . الى الجهة الاقرب من ويكستريت

قال النوتي المسن . انكا لاتستطيعان بلوغ الجهة الثانية من النهر في هذه الليلة

قال بين ولماذا

قال . لان الزوبعة على الطريق والارياح ستكون شديدة الهبوب . فاستلقى بين على ظهرهِ ضحكًا وقال . ان صح ذلك فلا يقتضي لدفع الخطر الا ان اكون على استعداد لهُ . لعمري ان ما تقولهُ من عدم الاستطاعة على قطع التيمس هو مالم ترهُ عيني ولم تسمع بهِ اذني

قال . ستراه في هذه الليلة بمرأى العين فلا تعود في حاجة لان تسمع بهِ من الغير وعلى كل فاني ناصح لك ان لاتخاطر بالعود ان سهل الله لك سبل الوصول فبلغت الضفة الثانية سالمًا

قال بين . اني مستعد لان اراهنك فادفع لك شلينين ان لم اقطع النهر واعود في ساعة من الزمان

اجاب . لامانع وقد قبلت بذلك وان اكن على يقين من ان الشلينين سيصحبانك الى قاع النهر فلا انتفع بهما

قال . لاتخف فاني اوصلك حقك حيًّا كنت او ميتًا

ثم اسرع مع المسترود في طلب الرصيف وما مضى قليل من الاوان الا بلغا درجات النهر حيث كانت القوارب مرتبطة صفوفًا فصعد بين الى قارب منها ثم اعان المسترود على النزول وجذف بهِ مبتعدًا عن البر . واذ ظهر على الرصيف رجل يحمل قنديلاً وسمع صوت ينادي فلكًا فلكًا . فاشتبه المسترود في الصوت كما لو كان قد سمعهُ قبل ذلك الحين

فصاح بين . في الفلك على مقربة منك ملاّح نائم فايقظهُ وهو يعينك على قطع النهر

فصاح الرجل ثانية . اني مضطر الى سرعة السير ومعي طفل فهل لك ان تسمح لي بمكان في فلكك فادفع لك ما تشتهي اجرةً

وعندما سمع المسترود بذكر الطفل فطن الى الرجل الهارب الذي القى عليهِ الرداء في صاحة

المقود . فقال في نفسهِ لا يبعد ان يكون هو الرجل المذكور . وسال بين ان يعود به الى الرصيف تلبية للنداء . فامتنع عن ذلك حذرًا مما يتدريه الماء والهواء من النوء الشديد وارسل مجاذيفة تشق قلب الامواج فانطلق الفلك بسرعة في عرض النهر

ولم تطل مدة قلق المستر ود على الرجل حيث ما لبث ان راى الملاح الثاني يتهيأ للاقلاع وسمع صوت المجاذيف تنذر بالابتداء بالسير . ثم تبع ذلك ظهور اناس آخرين على الرصيف

فقال بين . انظر ياسيدي الى كثرة عابري النهر في هذا الليل . فالتفت ود واذا ثلاثة اشخاص انحدروا الى فلك يندفع بهم مع التيار بما يسبق هبوب الرياح سرعة وكان احدهم يحمل مشعلاً والآخران منهمكان في تحويل انظار المجذفين الى القارب الذي تقدمها وهو على مرمى نظر منها . وحقيقة الامر ان المستر ود لم يخطئ بما توهم لان الرجل الغريب كان درايل والثلاثة الباقون مطارديه وقد جدوا من خلفهِ في الطلب

فرافق المستر ود درايل بالنظر علهُ يتصل الى كشف سر الحادث ولكن اعينهُ لم تعنهُ على معرفة شيء فراى القارب بما فيهِ عبارة عن غمامة سوداء معرضة لصدمات الامواج . اما بين فراى غير ذلك حيث اتصل الى معرفة الحقيقة وعلم ان هذه المطاردة لا يطول امدها لان مسافة البعد بين القاربين كانت تطوى تحت مجاذيف المطاردين وبقي يتبع باهتمام حركاتها وسيرها وهو يجهد القوى في التجذيف ليحافظ على مركزهِ فلا يتاخر عنهما

وكانت الليلة مخيفة بما ظهر فيها من طلائع الزوبعة فلم يقدم على قطع النهر غير هذه القوارب الثلاثة ولم يكن الظلام كثيفًا الى حد عدم التمييز بين الاشباح . وكانت الرياح العاصفة قد سكنت بغتة فنشأ عنها سكون عميق سمع في اثنائهِ صوت اطلاق الرصاص فحول المستر ود نظره الى جهة صدوره فراى على ضوء مشعل المطاردين ما غار لهُ فؤاده جزعًا فان القاربين كانا قد قربا من بعضهما بما لم يعد بعدهُ للنجاة سبيل حيث اصابت الرصاصة ملاح قارب درايل فتعطلت المجاذيف عن السير بالقارب الى الجهة المطلوبة فقاده التيار الى نحو قارب الاعداء ولم يعد الهرب في الامكان . فتهيا درايل للدفاع ووقف منتصبًا على قدميهِ والسيف مسلول في يدهِ . وكان المطاردون ايضًا يستعدون للايقاع بفريستهم . وعند ذلك التصق القاربان ببعضهما فهمد المطاردون الى ربطهما بالحبال . ونظر ود فاذا اثنان في جملتهما رودولف وفلاند انقضا على درايل في قاربهِ . فاشتبك بينهم القتال العنيف . ولم يكن الا كلمح البصر حتى سمعت ضجة شديدة تبعها صوت يدل على سقوط رجل في الماء

فصاح ود وقد دبت بهِ الحمية غافلاً عما هنالك من الاخطار . بالله يا بين عرج بنا الى جهة هذه القوارب فقد سقط رجل الى النهر ومن الجبن الذميم ان نتاخر عن نجدتهِ

فقال بين وقد وجه بالحال قاربه نحو ساحة العراك . ان نجدتنا له لا تفيده شيئًا فقد مضى عليها الوقت وقضي الامر المقصود ثم مخر القارب مسرعًا في السير فوصلا بعد ثوانٍ قليلة الى مقربة من المتقاتلين حيث كان القتال محتدمًا بين اثنين وهما روفلاند ودرايل وكان الثاني قد تغلب على دافياس معاون خصمه ورمى به الى الماء في الحال فمات خنقًا بالنظر الى قوة التيار المندفع بشدة في النهر . وكان الملاحون يشتغلون في مقاومة جريان الماء والمحافظة على رباط القاربين لئلا تقوى الامواج على فصلها . اما بين فاندفع بقوة مجاذيفه الى بلوغ الحد المطلوب وقبل ان يتمكن من ملاصقة القاربين كان القتال قد بلغ النهاية . فان درايل تقوى بعد عراك قليل على روفلاند وكاد يحرز عليه نصرًا وكان الاثنان ممسكين عن استعمال اسلحتهما والقارب يخور تحت اقدامهما ويكاد يغور بهما الى اعماق النهر وشعر روفلاند من خصمه بالقوة ومن نفسه بالضعف فصاح يستنجد بحامل المشعل فلباه في الحال بان سحب خنجرًا وطعن به درايل فهوى



بان سحب خنجرًا وطعن به درايل

لساعدتو الى اعماق النهر ولكنهٔ عاد بعد هنيهة فظهر على وجه الماء وقد اشرف لجرحه على خطر الموت واخذ يعارك الامواج في طلب القارب الذي سقط منه مدفوعًا الى ذلك بما هاج في صدره من شعائر الياس ولما لم يقو على الوصول اليه صاح . واولداه وفلزة كبداه

فاجاب روفلاند وهو يتسم فرحًا بعصا ه . لقد احسنت ان ذكرتني بابنك الشقي وقد نسيتهُ وما كان في الخاطر ان اورق بيكا . ثم تناول الغلام بيده وقذف به نحو والده المسكين فوقع على مقربة منهٔ بحيث تمكن من مداركته قبل ان تقوى المياه على خفقه واذ ذاك مد لهٔ قارب المستر ود مجذافًا ليستعين به على الصعود

فصاح درايل وقد رفع الطفل باليد الواحدة الى ما فوق راسهِ واستند بالثانية الى المجذاف ساعد قبل كل شيء هذا الطفل الصغير ونجه . فتناول ود الغلام وقال للاب اعطني اسب يدك ايضًا

اجاب . وقد انحلت عرى قواه فانحدر مع الامواج بعيدًا عن القارب . لم يعد ذلك في الامكان فقد نجا ابني وكفى فاصبحت مديونًا لكما بالجميل استودعكما الله . ثم علتهُ المياه فاختفى عن العيان

وكان روفلاند في اثناء ذلك قد انتبه لوجود حركة بالقرب منهُ فقبض على المشعل وحول نوره الى محل الاشتباه فشاهد ما كان من امر درايل والمسترود . وصاح مدهلاً . في جوارنا قارب . نجا الطفل . حلوا الحبال واسرعوا في الحال . اسرعوا الى مجاذيفكم . . . . اسرعوا . . . اسرعوا

وما صدر الامر الا بادر الملاحون الى الانفاذ فتركوا قارب درايل عرضة للتيار واندفعوا من خلف المسترود يطلبون لحاقه ولكنهم اخفقوا سعيًا بما جد من الحوادث الكثيرة المخيفة ما لم يكن في الحسبان . فان الملك في كل هذه المدة كان صامتًا ولكنهُ تغير بغتةً عندما اتجه روفلاند نحو المؤخرة واصدر الامر بالمطاردة فسمعت اصوات الرعود القاصفة بما يعادل طلقات كثيرة من المدافع الضخمة . ثم عصفت الرياح الشديدة بما القى في قلوب الجميع خوفًا عظيمًا فكانت تحمل المياه فتدفعها بعيدًا امواجًا مزبدة ولم تكن هذه الزوبعة كغيرها ما سبق لهٔ مثيل في لوندرا بل كانت تهدم وتقتلع كلما تصادفهُ في طريقها فتساقطت الابراج وتطايرت الاجراس واقتلعت الاشجار وكثير من المراكب تحطمت واندفعت ترتطم بالصخور فتكسرت اربًا وتناثرت قطعًا . فلم يرَ وقتئذٍ الا الظلام الكثيف والخراب العظيم والخوف المريع والاختباط الجسيم فكانما العالم سائر الى منتهاه

وبينما كانت لوندرا تئن تحت اثقال وطئة هذه الزوبعة المريعة بين الخراب والدثار واليأس والانشار كان المسترود المسكين ينتظر بصبر وتسليم وفود المنية وكان الغرق يتهدد قاربهٔ

الصخور في كل لحظة وقد صادمت طليعة الزوبعة موخرتة واندفعت المياه بعنف على مقدمتو وتلاعبت به الامواج فكانت تعلو به آونة وتنحدر اخرى وقد ترك وشانة تحت رحمتو تعالى لايجد للخلاص من دونه سبيلاً

وكان المستر ود منذ بدأت الزوبعة ملقى في قاع القارب لا يعي على شيء وقد ضم الى صدره الطفل اليتيم فشعر واذا يد قبضت بشدة على ذراعه ثم سمع همساً في اذنه وكان الهامس بين وقد فعل ذلك ليتمكن من اسماعه فلا يذهب الكلام ضياعاً في الهواء . فقال - لقد قضي علينا ياسيدي ولم تعد النجاة في الامكان فالقارب عما قليل يشرف على الجسر ويصدم القناطر فيتحطم اذا لم تبتلعة المياه قبل وصوله .

اجاب . الرب من علو مجده ينظر الينا ويساعدنا فقد اخطأ نا ياولدي حيث لم نسمع للشيخ النوتي نصحاً

قال بين اذا وفقك الله وكنت اطول مني عمراً ونجوت بنفسك فارجوك ان تدفع له اجرة القارب فاكون بذلك قد وفيته حقة وانجزت وعدي

اجاب وقد علت اصوات شديدة مخيفة . بالله ماذا الذي اسمعهُ

قال . هي اصوات العواصف فكن ثابتاً صبوراً

فصاح ود وقد اندفعت على راسه موجة قوية امتلأ بها القارب ماء . يا الهي تحنن علينا نحن الخطاة ونجنا من هذا العذاب

وبلغت الزوبعة منتهى شدتها وحدتها وتزايدت الرياح بما قطع الكلام بين الاثنين فظهر على المستر ود خوار قوي وجمدت حركاتة فلم يقوَ الا بعد العناء والجهد على رفع راسه وقد صاح بين مردداً قوله . . . الجسر . . . الجسر

جسر لوندرا القديم

كان لنهر لوندرا في ذلك الحين جسر واحد يمتاز بعظيم بنائه عما أنشىء بعد ثذ فيها من الجسور العديدة فهو عبارة عن شارع يمتد على النهر وقد اقيمت على جانبيه المنازل والمخازن فلا تنقطع منه اقدام المارة بل تراهُ على الدوام مزدحماً بوفود الناس بما يعادل اعظم الشوارع الانكليزية وكانت المنازل ممتدة على طوله وهي قديمة العهد معقودة البناء اما الجسر فمحمول على ١٩ قنطرة تسندها دعائم كبيرة تاخذ بافكار الناظر ومن تحت الدعائم ارصفة تمتد الى مسافة في عرض النهر صوناً للبناء من التيار فلا يقوى على صدعهِ

وكان بين قد نظر الجسر قريباً منه وشعر بحقيقة الخطر المحدق به فصاح بالمستر ود . انتبه من غفلتك . فنظر واذا انوار بيوت الجسر قد ظهرت تخترق دقائق الظلام الكثيف . ثم

ما لبث ان انحنت وصدم القارب بعنف احد الارصفة فانتصب ود واقفاً كما لو كان قد دفع بقوة الى ذلك واذا ببين يصيح به ثب الى البريا ميدي . فاطاع الامر في الحال وقد زاد الخوف في قوته وشدد من عزيمته لوثب والطفل بين ذراعيه الى ما فوق سطح الرصيف سالماً . واما بين فلم يصادف حظ رفيقه من السلامة حيث ما عزم على الاقتداء به الا ودفع قاربه بقارب رونالد وقد ضل بالتيار كثيره فاختلت بذلك قدمه وبعد ان بلغ بوثبته حافة الرصيف رجع بقوة جسمه مدحوراً الى الوراء وسقط بقوة الى النهر فعاود الكرة وتوصل بعد عناء شديد الى التمسك بحجر على ان قوة اندفاع المياه تغلبت عليه وتمكنت منه فارسل صوتاً عنيفاً واختفى في عباب الماء . وسمع المستر ود الصوت ولكنه لم يكن على استعداد لنجدته فان الخطر الشديد فضلاً عن انهاك القوى كان لايزال محدقاً به . وللافصاح عن حقيقة مركزه وما سيأتي به عليه لانرى بداً من التكلم ولو قليلاً عن بناء وهيئة هذه الارصفة فنقول

تقدم الكلام معنا ان كل دعمة كانت موقاة من صدمات الزوابع برصيف يمتد على طول معلوم متوازن يختلف بالعرض باختلاف حجم الدعائم بما يولف حصناً حصيناً لدفع هجمات الامواج وكانت تحمل هذه الارصفة اسس متينة قويت على الثبات امام تصادم المياه اجيالاً عديدة . وكان الرصيف الذي صعد عليه المستر ود لايزيد عن سبعة اقدام في الطول وستة في العرض مغطى بالاوحال تعلوه على الدوام الامواج المتلاطمة بما جعل ارضه زلقة لاتستقر عليها الاقدام . فعمد ود عليه فراراً من العواصف ولكنه عرّض نفسه بذلك الى خطر اعظم وهو اختباط الامواج المتواصلة بما لا يومن بجانبه خطر التهور في النهر وشعر انه يتحدر بالتدريج الى طرف الرصيف فانتصب على قدميه خائفاً مذعوراً وبعد التفكر والتامل عزم على ان يتسلق الدعمة بامل ان يصل الى احدى نوافذ الجسر ولكنه عدل عن رايه اخيراً لاستحالة السير في ذلك الطريق وخطر له ان يمرّ من تحت قنطرة الجسر على حافة الدعمة التي لايتجاوز عرضها القدم طمعاً منه في بلوغ رصيف الجسر الشرقي بما يقيه شر التعرض لهياج الزوابع . ولاعتقاده ان الموت اصبح امراً محتوماً غير بعيد عنه اذا دام محافظاً على مركزه لا يتحول عنه راى من المناسب ان يختار اخف الخطرين فحمل الطفل باليد الواحدة وتقدم يزحف على ركبتيه ويستعين باليد الثانية على التمسك بالحائط والاتكاء عليه حفظاً للتوازن بين كفتي ميزان الجسم . وما وصل الى تحت القنطرة الا اوقفه منظر ازباد المياه بما يشبه انفجار بركان متاجج بالنار فكاد يحجم عن العمل ولكنه سيق اخيراً اليه حرصاً على الحياة العزيزة ملتزماً ان يداوم هذا السير الخطر مسافة سبعين قدماً . فبعد اجهاد النفس والقوى تمكن من قطع نصف الطريق واذ عارضه حجر كبير حال دون المامول فجرى الدم بارداً في عروقه وتكلل جبينه بعرق اليأس وقطع الرجاء لان الرجوع كان مستحيلاً وتخطي الحجر يلقي به

الى الهاوية والهلاك . ثم حانت منه التفاتة الى المياه المزبدة تحت اقدامه فاعترته دوخة لم يقوَ بجانبها على الوقوف فاتكأ بتوته على الحجر فسقط يهوى من نحوه الى النهر فتجدد في قلبه الامل والعزم وعاد الى مداومة التقدم . و بعد معاناة البلاء ومعاركة الشقاء تيسر له بلوغ النقطة المقصودة حيث هرع كالمجنون يطلب الطفل ولما لم يجد له اثرًا مسكته الرعدة وتوارد الدم متراكضًا الى قلبه وتراءى له الوجود مملوًا بعواصف النكبات والاهوال فنادى بالويل والحرب والقى بنفسه على ارض الرصيف لا يعي لشدة هول جسيه ولكنه ما لبث ان تمالك روعه فتذكر انه وضع الغلام في حفرة عندما صادف الحجر في طريقه فعمد الى العود في طلب خلاصه ولو مهما كلفه ذلك من المشاق والاخطار ولم يتردد في عزمه فانكفأ من حيث اتى فوجد الغلام في مكانه فحمله على ذراعه واقلب راجعًا الى الرصيف لا يشعر باتعابه لما لحق به من الفرح بوجود الغلام و بوصوله الى الجهة الثانية من الجسر اطمأن حيث لم يعد للزوبعة والرياح عليه من سبيل . فتقدم الى ما بعد الرصيف واذا شبح بجانبه فعلم انه لم يكن وحده هناك ولكن الظلمة منعته من تمييز هيئة جاره الجديد فاقترب اليه ووضع يده على كتفه تنبيهًا له بوجوده فارتعش الغريب لذلك وتكلم بما لم يفهم منه شيء لاشتداد الزوبعة وهياج الانواء التي لم تدع وجهًا لتجديد الكلام بينهما فاخذ المسترود في التفكر كالماضي في طريقة للخلاص ورفع نظره الى ما فوق راسه فوجد على مسافة غير بعيدة منه نورًا ينبعث من نافذة احد البيوت القائمة على الجسر فطار لذلك فرحًا . وتناول في الحال حجرًا استخلصه من شقوق البناء ورمى به النافذة فاصاب لوحًا من الزجاج فسقط كسرًا . ولما سمع اصحاب المنزل صوت الزجاج وعلموا محل صدور الحجر ادركوا سر المسألة وعلموا ان هنالك غريقًا يستغيث بهم من افواه الامواج ففتحت النافذة ودلي منها سلم من الحبال في اسفله مصباح

فمسك المسترود بيد جاره يريد استلفات نظره الى طريق السلام وتقدم الاثنان سوية الى نحو السلم بحيث كشفهما نور المصباح فتهتك الستر وانزاح حجاب الظلام عن وجه الغريب فظهر من تحته روفلاند وقد احدق بنظره الى الغلام وصاح بصوت شديد . أ ابن الشقي في قيد الحياة . ان وجوده كافٍ لاخفاق مسعاي بعد ان تمكنت من اعدام والديه ومعاذ الله ان اخرج من هذه المعمعة خاسرًا

ثم قبض على المسترود وتمكن بالرغم عن بسالة الدفاع من ان يقوده الى حافة الرصيف واذا بصوت اندفاع شديد يعادل صوت الصاعقة ينذر ان الزوبعة قد اقتلعت رفراف السطح من فوقها فهوى ساقطًا على طول دعمة الرصيف بما ذهب بالمسترود عن الوجود . وعندما انتبه من غيبوبته وجد ذاته وحده والطفل بجانبه مجمجًا سالمًا فضمه الى صدره وخاطبه قائلاً . وان فقدت والديك ايها الصغير المسكين فلا تفقدني ابًا شفوقًا ولكن اسمك منذ الان « تمس درايل »

تذكاراً لهذه الليلة المخيفة ثم هرع الى السلم فتسلقة صاعداً الى النافذة . وما رست قدماه في ارض المنزل الا سقط الى الارض لشدة ما نابه من التعب والمخاوف . ولما عاد الى صوابه وجد ان اهل المنزل كانوا قد احسنوا الاعتناء به وبالطفل فاضجعوها على افرشة دافئة واهتموا في تنشيف ثيابهما وشعرود عند منتصف النهار من نفسه بالاستطاعة على السير الى منزله فودع اصحاب البيت وانطلق يعدو بالطفل وهو يزاحم الناس في سبيله الى ان وصل الى نهاية شارع فلات ستريت واذا رجل انقض عليه وامسك بالطفل وهو يدعي انه ابنه وقد اختلس منه . وكان المعتدي في جملة المطاردين لدرايل في النهر فلم تخف هيئته على المسترود فصاح يبرىء نفسه مما رمي به وكاد يذهب صياحه واحتجاجه عبثاً لو لم تبادر فرقة من البوليس الى تبديد شمل المعتدين بما اطلق سراح المسترود فاخذ ينهش الارض ركضاً الى ان بلغ منزله فسلم الطفل الى امراته والقى بنفسه على المقعد طلباً للراحة لا يستطيع لمزيد الوصب كلاماً .



الزمن الثاني

سنة ١٧١٥

الصانع الكسلان

مضى على ما مر معنا في سياق الحديث ١٣ سنة حيث كنا بالامس نحتمي لواء الملكة حنة واليوم نستظل بظل حكومة الملك جورج الاول . . . .

ففي ذات يوم من شهر حزيران عاد المسترود التجار من اشغال له في الخارج الى منزله على حين كان لا ينتظر مجيئة وبوصوله عمد الى الاستطلاع على حال دكانه وتعجب بما صادف من السكوت كان لا اثر هنالك لحي فاقترب من الباب وصغى ليتحقق خبر صانعه ولما طال امد الانتظار عبثًا فتح الباب بغتة وانسل الى داخله وقد عزم عزمًا ثابتًا على الاقتصاص منه اذا وجد في اعماله للقصاص محلاً . وكان هذا الدكان كغيره من امثاله لا يعدم شيئًا من الالات والمواد اللازمة لمعاطاة صناعة التجارة كمناشير ومطارق وازاميل ومقاطع وغير ذلك وهي مرتبة صفوفًا على طول الجدار بما يشبه السلاح في الثكن العسكرية . وكانت المسامير المكسرة والبراغي المحطمة والاقفال المعطلة ملوثة بالغراء والدهانات الكثيرة الالوان وملصوقًا على الحائط عدة من رسوم واوراق مطبوع عليها الاغاني العمومية والنوادر مع صورة امر صادر من البرلمان يمنع استعمال المسكرات القوية وكانت النشارة تفرش ارض الدكان وفي المنتصف طاولة على احد اطرافها ملزمة كبيرة وعلى الطرف الثاني قليل من المرعر مع كسرة من الخبز وقطعة من الجبن ورزمة من الكرتون . وقد اسند الى جدار الباب الواح كثيرة من الخشب . فاختبا المسترود وراءها بحيث يرى ولا يرى فنظر الصانع جالسًا على كرسي بقرب الطاولة وبيده سكين صغيرة يشتغل بها بحفر اسمه على جسر من الخشب وقد ادار ظهره الى جهة الباب

وبينما كان المسترود يترقب من خلف الحجاب اعماله صدم بالصدفة لوحًا من الخشب فسقط وسمع للصوت فانتبه الغلام الى محل الصوت . وكان في هيئته ما يدل على ذكائه وحدة تصوره ولم يكن له من العمر ما يزيد وفتئذٍ على ١٢ سنة ضعيف البنية صغير الاعضاء حاد النظر تشف نظرته عما نمتها من الخوف والقحة وما لبث ان نهقه ضحكًا على قلقه وارتيابه وعاد الى عمله وهو ينشد غناء ما لوقًا ومشهورًا عند مسجوني نيفكات وغيره من سجون العاصمة . ثم صاح يخاطب نفسه قائلاً ان هذا الجسر يذكرني بعلو مشنقة تبرين وما ادراني ان كانت الظروف لا تؤدني اليها ذات يوم ولا باس من ذلك بشرط ان اكون مشهورًا معروفًا . فحبل صغير لا يقعدني عن تتبع خطوات بايو والباسل ديفال وغيرهما من مشاهير اللصوص ما دمت اشعر من نفسي بميل الى

منهم ثم انتصب واقفاً ودقق النظر في الاسم الذي حفره على جسر الخشب وقرأ «جاك شبارد» وقد ظهرت عليه علامات السرور بنجاح عمله فقفل السكين ووضعها في جيبه وعاد الى حديثه فقال مالي والمسترود فلا بد من تركه والانصباب على السرقة فاكون لصاً شهيراً

وما انتهى من كلامه الا ظهر له المسترود من خلف الالواح وصاح به بنا القى في قلبه الرعب. ثم قبض على اذنه واوسعه ضرباً وقال الحذار من ان تعود الى مثل هذه الافكار الرديئة. فهل ما زلت معتقداً ان تنتظم في سلك اللصوص الاشرار

اجاب جاك نعم لا بد من ذلك ما زلت مصراً على معاملتي بهذه القساوة. فاضطرب ود من جوابه وكف عن ضربه وهو يقول. جاك.... جاك.... ان عنادك وشرك يقودانك قريباً الى المشنقة

اجاب ان المشنقة احب اليَّ من ان اتزيا بزي النساء

فقال ماذا تعني بكلامك ايها الشقي. هل تقصد به التلميح الى كوني انقاد الى امرأتي بطاعة عمياء

قال. كيف كان امرك مع امراتك فلا يعنيني انما الصحيح انك لست بولي نفسك ولا اريد ان اضرب واهان على لا شيء

اجاب وهل لا تحسب تقاعدك عن الشغل وقولك للاغاني المعيبة شيئاً أوَلا تعلم ان اقل هذه الجرائم ضرراً موجب لسجنك ولكن رحمتي وحنوي يمنعاني من ان ارفع امرك الى القاضي فاقتصر على تاديبك بيدي وانا....

فقاطعه جاك وقال افعل ما بدا لك انما انصحك ان لا ترفع فيما بعد عليَّ يداً. ثم ادخل يده الى جيبه تفقداً لسكينه. فلاحظ ود منه سوء النية فاستحسن ان يضرب عن تهديده ويقبل على ملاطفته

فقال اين تعلمت هذه الاغنية التي سمعتك تنشدها الان

اجاب بدون ادنى تردد. في ليون نوار على بعد بضع خطوات من هنا

قال. وهل بلغ منك الغرور ان تذهب الى مثل هذه الحانة الدنية. ثم فكر قليلاً وقال هل صاحبها جوتن هو الذي تلاها عليك

قال. لا بل رجل من المترددين اليها يدعى بوبلو

قال ود. نعم الصانع والاصحاب والمحل وهل علمت يا ولدي بان الرجل الذي تتكلم عنه هو لص شقي وكان في جملة المحبوسين ولم يتخلص من المشنقة الا بالاقرار عن رفاقه طبقاً لارادة جوناتان وبلد

قال جاك. وهل سبقت لك معرفة بجوناتان وبلد يا سيدي

اجاب . اذكر اني نظرته منذ سنين عديدة ولا يبعد ان يكون قد تغير الان ولكني على يقين من معرفته

قال . هو قصير القامة لا يزيد عليك طولاً بلحية حمراء وراس لايختلف كثيرًا عن راس الثعلب . اليس كذلك

اجاب لقد احسنت في تمثيله ولكني لا ارى داعيًا لهذه السوالات . فاضطرب الغلام وارتبك في حد يثه

فعمد ود الى تشجيعه على الاقرار بقوله صرح ولا تخف وان كنت قد اخطأت فالك الا ان تعترف بخطائك فتنال عنه صفحًا

اجاب وقد ملئت عيناه بالدموع . اني لا استحق منك الصفح واخشى ان اكون قد اسات التصرف . ثم اخرج من جيبه مفتاحًا وقال . هل تعرف هذا المفتاح ياسيدي قبل الان

قال . اين وجدته

اجاب . اعطانيه رجل كان يتعاطى المدام مع بو بلو في ليون نوار وهو على ما اظن جوناتان و يلد

قال . وكيف اتصل اليه

اجاب جاك . لا علم لي بذلك ولكنه وعد بان يدفع لي دينارين اذا وافقته على طلبه وجربته على اقفالك

فاخذ ود المفتاح من جاك وبعد ان تامله قليلاً صاح يا للعجب انه لي وقد سرق مني وكان ابوك السارق ولكنه كاشف امك قبل موته برده فاضاعته اذا لم نقل ان جوناتان و يلد اختلسه منها

قال . هذا هو الاصح وانما ارجوك ان تبقي معي هذا المفتاح الى الغد فقط واذا لم القِ جوناتان ويلد في وهدة يستحيل عليه الخروج منها لا يكون اسمي جاك شبارد

قال ود . فهمت مرادك ولكني لا احب التلاعب والنفاق فكن ياولدي مستقيماً صادقًا حتى مع نفس اللصوص الادنياء وبذلك تحرز الصفات الكريمة فان غاية ما ارغب فيه جلب هذا الشقي جوناتان ويلد امام القاضي ولكني لا استطيع ان اصادق على الطريقة التي تود ان تتخذها لبلوغ الغاية اما انت فقد نجوت من خطر عظيم لاني على ثقة من ان جوناتان و يلد كان معتمدًا على استخدامك في هذه الخطة الشنيعة وبعد اتمامها يوشي بك كعادته واملي ان يكون ذلك امثولة لاتبرح من بالك فتفيدك في الاستقبال . فكن ياولدي حكيماً في مصادقة الغير وقد جاء في المثل ان المرء يعرف باصدقائه فاياك اذًا والمعاشرات الرديئة وعش اديبًا فان فيك من الزكاء والنباهة ما يوءهلك لان تكون نجارًا معلمًا ولكنك مجرد عن اجل الصفات واشدها لزومًا للنجاح

فلا ينفع المرء الا بها وهي الاجتهاد ولاحاجة لافادتك عن اطوارك فانك لا تحب الشغل ولا تقدم على العمل والبطالة مجلبة للفقر والفاقة والشقاء فاذا لم تدارك امرك بما يصلح منك هذا الخلل عشت ذليلاً مهاناً مرذولاً وقد وعدت اباك بان أكون لك أباً ولا اخل بالمحافظة على ما سبق من وعدي ولكنك اذا استخفيت بكلامي واحتقرت مشورتي تحرم من عنايتي واهتمامي بل لا يبعد ان اتخلى عنك ايضاً فاختر لنفسك خطة تسير بها

قال بحرارة . اني لا اخالف لك امراً واعدك واعداً صادقاً بالطاعة والانقياد

اجاب . ستاتينا الايام بصادق الاخبار وتكشف عما يسكن في الضمائر فارفع هذا الكرتون من امامي ولا تدعني اراه فيما بعد والقِ بهذا العرعر من النافذة وقل لي لماذا لم تتعدَ الى الان بعمل صندوق السفر للسيدة ترافور فانها معتمدة على الرحيل غداً ومن الواجب ان يرسل اليها هذا النهار

قال جاك وقد مسك باليد الواحدة لوحاً وبالثانية منشاراً واخذ بالعمل . لا تدع للحاجة عليك سبيلاً ياسيدي ففي ساعتين يكون الصندوق حاضراً مكملاً ان شاء الله

قال ياجاك اودان تتخذ تيمس درايل لك قدوة في حسن السلوك

اجاب . لابدع في قولك فهو حبيبك العزيز منذ القدم

قال . اخطأت ياجاك في ظنك حيث لم اميز بينكما الى الان بشيء وثق باني لا ارتكب مثل هذا التشيع ما لم تجبرني عليه باعمالك

اجاب . اني لا اعلم الا شيئاً واحداً وهو انك تخصصني على الدوام باصعب الاعمال خلافاً لغيري وليس في ذلك ما يوجب شكواي لاني مستعد لان اجود بالحياة في سبيل مرضاة تيمس درايل

فاجاب تيمس وكان قد دخل بغتة الى الدكان موجهاً كلامه نحو جاك . ان في قلب تيمس نحوك من حسن الاستعداد ما في قلبك يااخي . ثم قال الى المستر ود ان كان جاك قد اساء اليك في شيء فاصفح له ولا تواخذه على اساءته ودع بعدك من الان نعدم العود الى ما يوجب كدرك . الم اقل صدقاً ياجاك

قال جاك بلى

قال تيمس وقد اخذ بيده مطرقة هل تسمح لي بمساعدتك

اجاب ود . لا . . لا . . لا تفعل فقد اخذ على نفسه اتمام العمل في ست ساعات وسترى قريباً ان كان صادقاً

قال تيمس . يصعب عليه كثيراً ان يفي بوعده بدون مساعد فدعني اعاونه ولو قليلاً

قال . لا . لا اسمح بذلك مطلقاً فان اجباره على العمل الان يكون له عظة في الاستقبال

فلا يعود الى التهاون والكسل وقد اضاع الوقت عبثًا فيلزمه التعويض عما فات اما انت فلا ريب عندي انك قد اتممت عملك

ثم نظر اليه ولم يزد على ذلك جوابًا . فامسك تيمس عن الكلام مخافة ان تتكدر شعائر رفيقه بما يكون من جوابه . انما لم يتقاعد جاك عن الافادة فقال . ان تيمس درايل اتم عمله منذ الصباح فلو سمعت له وانقدت الى مشورته لكان صندوق السفر الان خالصًا

فعمد تيمس الى تبرئته من الكسل ببذل مجهوده واهتمامه . فصاح ود . اه ما اسلم قلبك واطيب سريرتك فسياتي يوم تتاربه بكرامة اخلاقك

وكان النجار فرحًا بما يراه فيه من طيب النفس وحسن الطوية ولم يكن وجه للشبه بينه وبين شبارد فان هيئته تترجم عما تحجبها من الاستقامة والشهامة فهو طويل القامة قوي دموي جميل الوجه صغير الفم حسن الترتيب بخلاف جاك فانه يمثل الشقاوة والدناءة قصير هزول مصفر كبير الفم متطاول الراس

وبينما كان الحديث متواصلاً بين المستر ود وتيمس درايل عمد جاك الى سلم من الخشب ملقى على الجدار ليتناول عن الرف الة كان في احتياج اليها ولما بلغ نهاية السلم وثب باحدى رجليه الى ثقب في الحائط ومال بكليته الى الالة المطلوبة فمس في طريقه خشبة كبيرة فمالت عليه فاسندها باليد الواحدة والقى بالثانية على الرف بما خل بموازنته فسقط وسقطت تهوي من فوقه ولو لم يسارع تيمس الى استلقائه بذراعيه لقضي عليه وصادف وقوع جاك على طرف الخشبة الاسفل بما زاد في ثقلها فصاح درايل قم يا جاك فقد كاد ذراعي ينكسر فانتصب في الحال وعاد الى عمله كان لم يكن هنالك شيء جديد . فقال له تيمس اخبرني هل اصابك ضرٌ

اجاب . لا والحمد لله

وكان المستر ود باهتًا مصفرًا وقد مسكته الرجفة لما شاهد من الخطر المحدق بالولدين فاندفع بعد ذلك يونب جاك شارد على عمله ويكثر من توبيخه فصعب ذلك على تيمس وقال لا يحسن ان يعامل جاك بهذه المعاملة فيكفيه في الحال خوفه واضطرابه

اجاب ود . لا باس فقد عفوت عنه اكرامًا لخاطرك . ولكن يظهر انك مجروح في ذراعك

قال . هو جرح خفيف لا يعتد به

فصاح سر في الحال الى والدتك السيدة ود فتهتم لك به واما انت يا جاك فداوم العمل واياك والطيش

قال تيمس . الا يحسن بنا ان نصحب جاكًا معنا فهو متالم ايضًا وقد اصابه من الانزعاج شيء كثير

اجاب . لا فليبق هنا علة يعتبر فلا يعود الى هذا الطيش
فاقترب جاك من تيمس وقال له بصوت ضعيف اني لاانسى كرمك لانك متفضل عليّ بجميلك
اجاب . ان ما فعلته خدمة تتبادل بين الاخوان فقد كان نصيبي منها اليوم ولا يبعد ان يكون نصيبك منها غدًا
قال ساهم ان شا الله في وفاء خدمتك باسرع ما في الامكان
اجاب . ان شئت ان اكون مديونًا لك فاتم بوعدك بحيث تنتهي من عملك في ست ساعات
قال وهو يتبسم ضحكًا اني اقسم لك على ذلك . ثم اخذ باهتمام في العمل وخرج المستر ود وتيمس درايل يطلبان السيدة ود

تيمس درايل

بعد ان ضمدت السيدة ود جرح تيمس وفتلحق الاعتناء بان دهنته بمرهم من عملها واحسنت معالجته بادرت الى زوجها تسالة عن سبب هذا الجرح . ولدى علمها بخبر جاك شبارد وما كان منه في هذا الصدد ازبدت غضبًا واكثرت من التنديد بالمستر ود بما فاق حد الاعتدال وعمدت مرارًا الى الذهاب الى الدكان للانتقام من جاك ولكن تيمس تمكن بعد التعب من ان يوقفها عن عزمها فعادت الى تعنيف زوجها وقد صاحت بوبلء صوتها قائلة . لقد تنبات لك اكثر من مرة بما سيصير اليه هذا البيت منذ دخول هذه الافعى القتالة اليه ولكنك لم تسمع لي ولم ترعوِ عن غرورك فانت مستاثر في رايك لا تعتد بمشورتي ونصائحي
اجاب وهو يبذل العناية في تسكين غضبها . عفوًا يا حبيبتي فان المرء عرضة للخطاء ولا يبعد ان يؤخذ عليك بكلامك
على ان لين زوجها زادها خشونة واصرارًا فاقبلت نحوه وعيناها تقدحان شرارًا وقد رفعت يدها تهديدًا وقالت بصوت يخنقة الغضب . الم اقل لك بوجوب التخلص من هذا الشقي بارساله الى بيت الشغل ولكنك لا تفعل الا ارادتك . وما كفاك ان جلبته الى بيتك بل ما زلت تحمل الى والدته القوت والنقود والخمر وتدعي عمل الخير والاحسان وانت لا تحسن بذلك الا الى نفسك . على ان الزوج المستقيم هو الذي يترك عمل الخير لاهتمام امراته ولا سيما ما يتعلق منه بالنساء . اما انا فلا احسن الى من كانت خائنة ناكرة للجميل كالسيدة شبارد بل اختار لذلك من الناس من هو اولى بالخير واحق بالشفقة منها
قال المستر ود . اني لم انفرد بالاحسان الى السيدة شبارد بدون مشورتك الا فرارًا من استماع مثل هذه التهم الباطلة والشكوك الفاسدة والذي اظنه اني اعمل خيرًا لاشرًا . . . .
فقاطعت كلامه وقالت اني اعرفها ومطلعة على خفاياها فلا حاجة لان تعرفني بها ولم انسَ

بعد حوادث هذه الشقية ولا ريب انك مغرور في تربية ولدها اذا لم نقل ولدك

قال كفى فقد اسأت بي ظنك واقسم لك بشرفي وناموسي اني بريءٌ من تهمتك

قالت اني بالاختصار لا احتمل هذا الصغير واما امة فلا اريد ان اراها مطلقًا

قال ـ ان جل ما ارغب فيه ان لا تمكنك الظروف من رؤياها

فصاحت مزبدة لااعلم كيف سوغ لك ضميرك ان تجعل بيتي ملجاء مفتوح الابواب لاولاد الزناء

فاحمر في الحال وجه تيمس درايل خجلاً وتاثرًا . ثم التفت الى ابنة صغيرة جميلة من عمره بجانبه وقال ارجوك ياوبني ان تساعديني في كي اكمام القميص حيث علمت يقينًا اني لست في بيتي .

قالت السيدة ود اجلس مكانك ياعزيزي فاني لم اقصدك في شيء . ما قلته هي مسالة لا تعنيك ولا تتعلق بك ولا بوجه من الوجوه ومعاذ الله ان يكون مثل المستر ود ابًا لابن كريم مثلك . فرفع المستر عينيه نحو السماء وقد انهكة اليأس . والقت امرأته بنفسها على كرسي هناك وهي تتنفس الصعداء . وصاحت . ود . . . ود . . . . انظر الى ابة حالة قد قدتني باعمالك مع انك عالم اني بانتظار وفود الخواجه كيبون فخير لي ان افقد الحياة من ان يحضر فيجدني على غير هدًى كما ترى وثق بانة لايصفح لك عن هذا الذنب بل ستصادف عليه تعنيفًا شديدًا

قال . اياك وهذا الكلام ياحبيبتي فان الخواجه كيبون عاقل رزين فلا يتقاعد عن الانتصار لي لعلمه برأيي وانا لا انكر عليه الاكونه بعقوبيًا

قالت . هي مسالة افكار واغراض فلا يحق لك ان تواخذهُ عليها ولكل امرء ما نوى ثم نظرت اليه بلطف وقالت فلطول كنتفًا عما مرّ بنا من المشاجرة اما عدني وعدًا ثابتًا بعدم العود الى التردد على جاكولين شبارد دفعًا لما يلحق بي من الغيرة . فلم يتقاعد ود عن تلبيتها حبًا بالسلم . وهنا يجب ان تذكر شيئًا عن السيدات اللواتي يتغلبن على ازواجهن الى حد لا يقتصر على تقييد ارادتهم بل بتطرق الى الاخلال في اذواقهم . والاعجب انهُ لا يترتب على ذلك اثر في نفوسهم لما اودع في هذا الجنس اللطيف من قوة التغلب والفوز فكلمة واحدة منهنّ مقرونة بالتبسم المزوج باللطف كافية لان تمحو جميع ما يصدر عنهنّ من الاساءة وتسكن ما اثرن من عواطف الغيظ والغضب وكان المستر ود في جملة الناس خاضعًا لهذه القاعدة الطبيعية . فما نظرت امرأتة اليه نظرت الرضاء الاخيرة الا نسي ما كان واقعًا بينهما من الخصام . فقبل يدها بخضوع يترجم عن عواطف حبه وانقياده . ولئلا يوخذ على الرجل بطاعته العمياء الى امرأته وجدنا من المناسب ان نأتي على ذكر الاسباب التي حملة على ذلك فنقول

ان من الاسباب الاولية الخليقة بالذكر في هذا الصدد تقدم التجار في العمر عن امرأة فانها لا تبلغ الاربعين من السنين وهو سن تنفذ فيه النساء في الغالب سلطانهنّ المطلق على الرجال ولكنها فضلاً عن ذلك لا تخلو من ظواهر الجمال حيث كانت في صغرها بديعة في محاسنها ومع ان الدهر اذبل كثيرًا من زهور رونقها فلا تزال تعد في جملة ارباب اللطف ولم يكن المستر ود يراها اقل جمالاً وبهاء واعتدالاً من ايام صباها . وكانت قد تهيأت لملاقاة الخواجه كيبون فلبست افخر ما عندها من الملابس والحلى وتزينت باحسن زينة فمن ثوب ابيض مخرج طويل ومن حذاء من الجلد الاحمر بكعب مرتفع ومن دبوس من ماس في صدرها وعقد ثمين يحدق بعنقها وزوج من الكفوف وردي اللون موضوع على طاولة بجانبها

وكان تيمس درايل وو يتفر يدود وهي ابنة السيدة ودعلى مقربة منها يتعاونان في كي الثياب وقد دار بينهما الحديث الآتي

قالت الصبية . اني حانقة على جاك شبارد حيث كان السبب في ايصال الاذية اليك ولولاه لما اصابك هذا الجرح

اجاب تيمس درايل . انت اسلم طويةمن ان تحنقي على احد من الناس ولاسيما جاك شبارد فاني احبه كثيرًا وقد قلت لك ان جرحي خفيف لا يستحق الاهتمام ولا ذنب فيه على جاك . فبالله لا تعودي الى اذكاري بشيء من ذلك

قالت . ان حبك الشديد لجاك لمن العجائب حيث لا وجه للشبه بينكما وهو يختلف عنك في كل شيء

اجاب . ان اختلافه عني هو السبب الوحيد الذي يزيدني تمسكًا في حبه ولو كان مثلي لما كنت حريصًا على موالاته الى هذا الحد ومع ذلك فجاك طيب القلب حسن السلوك وليس كما تزعمين

قالت . لا يبعد ان اكون مخطئة فيما توهمت وقد صدقتك واعتقدت بكلامك واعتمدت منذ الآن على ان لا ابخس جاك حقه

قال . وازيدك على ذلك ايضًا انه يحبك حبًا شديدًا فهو مغرم بك

اجابت وقد احمر وجهها خجلاً . مغرم بي

قال . نعم مغرم وهو يعد نفسه بالاقتران منك يومًا

قالت . تيمس انتبه لكلامك

قال . لا اظن في كلامي ما يكدر خاطرك

اجابت . لا . وانما ان شئت ان لا ابغض جاك الى الابد فلا تعد الى مفاتحتي بهذا الحديث

قال . لا بأس فلنضرب عنه صفحًا واعلمي باني قد عزمت على مفارقتك . فنظرت اليه كانها تراجعه في كلامه وقالت لا . . . لا . . . لا اصدق مطلقًا انك تعتمد لكلام امي اهمية فتقصد

لاجله مبارحتنا واؤكد لك ان امي نفسها قد نسته

قال. ولكني لم انسه ولن انسه وقد اعتمدت ان لا ابقى بعد ضيفاً ثقيلاً عليكم . وكان تيمس يتكلم بصوت حزين ثابت فجرت لكلماته الاخيرة الدموع على خدي الصبية وقد نظرت اليه بعين الحبيب الموبخ وقالت له . ان كان كلامك ياتيمس على سبيل الجد فلا ريب انك فقدت عقلك وان قصدت بذلك المزاح فقد قسوت عليَّ كثيراً بمزاحك . فاني اقسم لك بكل عزيز عندي ان امي ما نوت لك شرّاً فهي تحبك . نعم تحبك . واعدك وعداً صادقاً انها لا تعود فيما بعد الى ذكر كلمة تمس حاستك . فعمد تيمس الى الجواب ولكن شدة الاضطراب المستولي عليه منعته من التكلم . فصاحت ويتغريد بلهجة الفرح هيا يااخي فقد انقشعت والحمد لله غيوم كدرك وهواجسك

قال . انك تتوهين محالاً فان عزمي قد تقرر وغداً ابارح هذا البيت

اجابت بصوت المنكسر الملتمس . ارجوك ان لا تقدم على شيء قبل ان تستشير ابي . عدني بذلك ياتيمس

قال . اني اطيع امرك وازيدك عليه اني لا اسير من هنا الا باذنه

قالت . الان اطمأن خاطري نوعاً

قال . لا بل ثقي ان اباك لا يمانع في سفري . فوقفت صامتة لا تبدي جواباً ولكنها تبسمت اخيراً بما يدل على ارتيابها في صدق القول . فقال تيمس واذا صادق على قولي . . . . فقاطعت كلامه وقالت لا يصادق مطلقاً

اجاب . ولو فرض انه صادق وتركني اضرب في الارض وشأني فهل تعدينني بان تحفظي لجاك شبارد نفس الميل والحب اللذين حفظتيهما لي الى الان

قالت . لا لايمكن حيث ليس في وسعي ان احب انساناً كما احبتك

قال . ما عدا ابوك على ظني . فكادت ويتغريد تجيب حتى ولا ابي ايضاً ولكنها تنبهت اخيراً للامر فاحجمت عن الجواب وقد تجدد احمرار وجهها . فقالت . ارجوك ان لا تعد فتفاتحني بامر جاك شبارد . وكان حديثهما متبادلاً بصوت ضعيف لم يسمعه احد غيرهما الا ان كلمات ويتغريد الاخيرة استجلبت التفات والدتها فصاحت بها ماذا تقولين عن جاك شبارد

اجابت . ان تيمساً كان يخاطبني في شأنه

قالت السيدة ود وقد التفتت نحو زوجها . . . تيمس . . . تيمس . . ان في هذا الاسم برهان جلي على سوء ذوقك يا حضرة المستر فهو اسم لنهر وما سمعت من قبلك احداً اطلقه على البشر اما درايل فهو اسم لرجل ان صدق كلامك وكان ما قصصته عليَّ من قصة النهر والزوبعة صحيحاً

اجاب. انك سريعة النسيان ياعزيزتي

اجابت لا بل اني شديدة التذكر وقد اعطيت والحمد لله ذاكرة فادحة وما زلت اذكر بان جميع الناس ذهبت فريسة المياه في تلك الليلة ما عدا هذا الطفل

قال. انك مخطئة فيما تقولين

قالت. صحيح وخطائي عظيم حيث اتهمت في تربية . . .

فصاحت ويتغريد . كفى ياوالدتي

فقال تيمس بصوت ثابت ساكن وقد نظر الى الصبية بما جرح له فوادها . ما الفائدة من اهتمامك وقد عزمت قطعياً ان اودعك غداً ان شاء الله فالتفت المسترود وقال لامرأته يشاغلها الظاهر انه برح عن بالك ان الخواجه كيبون قادم لزيارتنا

فقالت . لقد اصاب فكرك غاية الاصابة فاذهب والبس افخر ما عندك من الثياب . ثم التفتت الى ويتغريد فوجدت دموعها سائلة على خديها فامرتها ان اذهبي واغسلي اعينك وامسحي دموعك . اما تيمس فليبقَ هنا . واذ ذاك طرق الباب فتراكضت الى المرآة اصلح الخلل من نظام ثيابها تهيأ لملاقاة الخواجه كيبون

اليعقوبي

كان غيليوم كيبون من تجار الجوخ الاغنياء في لوندرا وكان ابوه من الضباط الملتهبين بحرارة الدين الكاثوليكي وقد قاتل في نصرة يعقوب الثاني ففقد مخذيه وحياته في معركة بواين وترك لابنه ارثاً اكاليل انتصاره وتذكار ارتباطه بعائلة ستوارت الكاثوليكية . ولم يكن لكيبون من العمر ما يزيد عن ٣٥ سنة وهو جميل المنظر حسن الطلعة لين الاعضاء سريع الحركة خفيفها وكان قد توصل بمزاياه الممتازة مع قوة ميله الى الانخراط في سلك اعضاء الجمعية المعينة لدس المفاسد السياسية بما عاد عليه بالخسرات والمصاعب . وكانت الدسائس اليعقوبية قد تفاقم خطبها وتعاظم شرها فبلغت حداً مخيفاً كاد ينذر بابتداء ثورة الستوارتيين فانه منذ صعود جورج الاول على تخت الملك اجمعوا قواهم ولموا شعثهم وجددوا الكرة السياسية بشدة وعنف انتصاراً لحزبهم وتوصلاً الى نفوذ كلمتهم . لان جلوس عائلة الملوك الساقطة بعد وفاة الملكة حنة على تخت الملك بثَّ في اشياع يعقوب الثالث الاقدام والعزم فعمدوا الى اشعال نار الثورة العامة في جميع اراضي بريطانيا العظمى لا يهملون عملاً يعين على الغاية فبذروا الشقاق والحقد والاضطراب في كل ناحية صادفت دسائسهم اليها سبيلاً واتخذوا لهم رسلاً وانصاراً في كل مكان فعقدوا المؤامرات في جميع الولايات التي تقطنها العائلات الكاثوليكية القديمة وهم يدفعون الناس الى خلع نير السلطة الحاضرة والانتصار الى الملك الكاثوليكي الساقط وقد فرقت المؤن والاسلحة

في الدخائر مهيئًا للقتال بما كاد ينيل الحزب فوزًا لو لم يتأخر يعقوب الثالث عن استلام قيادة احزابه زمنًا طويلاً فانه اقدم على العمل بعد فوات الفرصة واظهر شجاعة تحمد في واقعة مالبلاكي ولكنها لم تأت بالثمرة المطلوبة . وتردد عاقلته عن القطع بالعمل عاد عليها بالخراب والفشل فلم تاخذ بناصر احزابها الا وقد مضى الوقت ضياعًا وعند الاجراء نقصتها الهمة فما اقدمت الا واحجمت شان المتقلب المتزعزع الذي لا يستقر على راي

وفي اثناء سياق هذه الرواية كان الحزب اليعقوبي ممتلئًا بالثقة طافحًا بالامل متكلاً على معاضدة فرنسا ولويس الرابع عشر بهم كما سبق القول في ايجاد الاشياع والانصار في كل جهة وصوب وهو يعد الناس بالرتب والباشوات والمقامات العالية ويصدر لهم بذلك الفرمانات والاوراق ممضاة من الامير المترشح للملك وكان الخواجه او بالحري القبطان كيبون وهو من جملة روساء الحزب الستوارتي كما مر معنا . وجهت اليه ارادة موذنة بتنصيبه قبطانًا على فرقة من البيادة أنيط به تجنيدها وتنظيمها وسوقها الى القتال فصار لهذه الغاية الى لانكشير بحجة بعض الاشغال التجارية ومنها الى منشستر حيث صادف حظًّا من النجاح . ولدى عوده الى لوندرا سمع بوجود رجلين يطلبان الانضام الى فرقته برتبة ضابط فلم تصادف الافادة المتقدمة لديه في شانهما تمام الركون والثقة ولكنه كان عالمًا بما تقتضيه مأموريته من وجوب السرعة في الانجاز والثبات في الاجراء فعزم على ان لا يرفض طلبًا وعمد الى تنقد الامر بنفسه فسار الى صائغ النقود حيث قدم له صاحبنا القديم بابتيست كيليي (زعيم اللصوص) الرجلين المحكي عنهما وشكر له من امانتهما ما جعله على ثقة منهما حيث كانت قد سبقت له المعرفة به والمعاملة معه فاقسم كل من الرجلين المرشحين للخدمة يمين الامانة للملك يعقوب الثالث ثم اتبعا ذلك باقسام كثيرة غيره وشربا اقداح عديدة من الخمرة بسر الملك الكاثوليكي

وعند ذلك استاذن القبطان كيبون من صاحبيه الجديدين بالانصراف معلنًا لهما مزيد اسفه لفراقهما وانه مجبر على ذلك بما وعد من وجوب زيارة امراة بديعة الجمال تدعى السيدة ود فنظر الاثنان الى بعضهما يقضيان الخابر بالنظر وكانا قد تمكنا من قلب القبطان لما ابدياه معه من حسن التودد والتقرب ثم عرضا عليه ان يستصحبهما معه في زيارته . فلم يجد سبيلا للاعتذار منهما وكان قد فتن بما شاهد فيهما من الميل اليه والارتباط بحزبه فاجابهما الى طلبهما وتوجه الثلاثة معًا نحو شارع ويكستريت يطلبون منزل المستر ود وقد طاب لهم السرور والانشراح

القبطان كيبون ورفيقاه

ما انمت السيدة ود ترجمها حتى ظهر الخواجه كيبون في باب القاعه بصحبة رجلان لم تسبق لها معرفة بهما فقدمها اليها تحت اسم جيريمي جاكسن وسليمان شيث وقال انهما وكيلان لمحل تجاري

عظيم في مستر فلم تعر كلامة انتباهاً لما استولى عليها من الكدر الشديد بحضورها حيث كانت باتنظار حبيبها وحده فلا يكدر صفاء كاس اللقاء رقيب . فتغاضت عن الترحيب بهما على انهما لم يكترثا بما صادفا من برود المواجهة بل اقتديا برفيقهما وجلس كل منهم على كرسي . ومما يستلفت النظر في هيئة الرجلين تدلي شعرهما المستعار الكثيف على جبهتهما وارتفاع ربطتي رقبتيهما الى ما فوق ذقنيهما وانتشار لحية سوداء في وجه كل منهما فلم يرق منظرهما لدى السيدة ود لان احدهما وهو المستر شميت كان ازرق اللون قبيح الهيئة واما الثاني فكان يشفع بمنظر وجهه المخيف انتظام اسنانه وكانت البستهما ومزاياهما متشابهة فلا يفرق بينهما في اللباس واللهجة والصوت والضحك والاغرب انهما كانا يمثلان بعضهما في كل عمل فلا يقدم الواحد منهما على حركة الا جاءه الثاني بمثلها . فوجه جاكس نظره يدقق في ما حوله وشميت من جنبه يعمل عمله فتاملا السيدة ود من قمة راسها الى اطراف ارجلها ثم التفتا الى القبطان كيبون وارسلا اليه نظراً يتضمن فكراً مقصوداً وفي الحال استلقى الثلاثة ضحكاً على ظهورهم فلم تستطع السيدة صبرا على مشاهدة ثلاثة يضحكون استخفافاً بها فاحدقت باعينها الى القبطان كانها توبخه على عمله فما كان منهم الا ان زادوا في الضحك والقهقه بدون موجب ظاهر يدعو اليه او يحمل عليه وعند ذلك دخل زوجها مزيناً بأثوابه الجديدة وبدون ان يتكلف الى مشقة التعرف بضيوفه او الاطلاع على اسباب الضحك الحاصل سلم عليهم بالايدي وجلس على كرسي بجانبهم واندفع يضحك كواحد منهم . وكان الغيظ الشديد قد بلغ حده من السيدة ود فلم يعد في وسعها ان تحتمل طويلاً اثقال هذه الاهانة الموجهة اليها فصدرت كلامها الى زوجها وضيوفها وقالت يظهر من هيئة هذا الضحك انكم جميعاً مصابون بداء الجنون

اجاب جاكس . صدقت ياسيدتي فقد جننا بجمالك

قال شميت وقد وضع يده على قلبه . واصبحنا اسراء دلالك

فجدد القبطان وزوجها الضحك بما اثار غضبها فاقبلت توبخ زوجها بقولها ان واجباتك تقضي عليك بوجوب رعاية ارادتي فلاحظ ظروف الاحوال ولا تعد الى هذا الجنون الفاضح اما الخواجه كيبون فهو حرٌ لان يفعل ما يراه حسناً ولو باهانة البشر فلا يليق ان توافقه على غرضه وتكدر شعائري . فتضاعفت لذلك قهقهة جاكس وشميت غير ان كيبون تدارك الامر فقال بلطف انا بغاية الكدر حيث لمّ تصادف اعمالنا وقعاً حسناً في اعينك ولربما تكونين قد رايت في صديقيَّ جاكس وشميت غرابة ولكنهما . . . .

قالت لا بل كل شيء فيهما غريب او بالحري كل الغرابة فيهما

قال جاكس . ان صديقنا الخواجه كيبون كان في قصده ان يعلم سيادتك باننا اناس

لا يفوتنا شيء من الاحترام الواجب لجنس اللطيف

قال شميت . وحرمة الشرف . . . . . مطلقاً . . . . ابداً . . . .

فاقترب المستر ودمن امرأته وقال اظن ان ضيوفنا لا يرفضون ان يتناولوا شيئاً من المرطبات

قالت صدقت ونهضت لاعطاء الاوامر بهذا الشان . وبوصولها الى مقربة من الخواجه كيبون انحنت بكليتها عليه وقالت وهي تهمس باذنه يا ردي الفؤاد كيف اطاعك قلبك ان تاتيني مصحوباً بمثل هولاء الرجال على حين انتظر الاجتماع بك وحدك بعد فراق شهر من الزمان

قال لو استطعت اتمام رغبتك لما تاخرت اما انت فقد احتفيت بضيفيك الجديدين وما قدرتها قدرها

قالت لقد اشغلت افكاري من نحوها فمن يكونان

قال وقد اتخذ هيئة جدية في حديثه . هما وكيلان سريان مرسلان من فرنسا نصرة لحزب . . . . فهمت ام ازيدك ايضاحاً

قالت لا بل فهمت هما من اصحاب المقامات الرفيعة

فاشار بالايجاب

قالت شرفاء محترمون

قال نعم

قالت اني رايت في هيئتها منذ حضورها شيئاً خارقاً للعادة كاد ينهيني الى ذلك . . . فالفتنة اذاً قد تقررت والكنا ليرمارجرجس على اهبة الحلول في بريطانيا بخمسين الف جندي فرنسوي والملك المختلس الحاضر سيصادف فشلاً وبالاً فتتاح لك الاماني وتنال المامول . . . فقاطعها القبطان في الكلام وقد وضع باصبعه على فمه طالباً سكوتها . وقال ان كل شيء والحمد لله سائر على قدم النجاح انما امسكي ولو قليلاً من جماح نفسك لان في الحضور من يناظرنا (اشار بذلك الى تيمس درايل) على انها لم تعر هذه الملاحظة اهمية كبرى بل قالت بالله كيف صدر مني هذا الجنون فاساءت الى اناس شرفاء

قال . عفاك فاخر يكفر عما مضى انما دونك والرزانة . . . الرزانة يا عزيزتي

اجابت كن مطمئن الخاطر فاني مصدر الرزانة ومثال التعقل ولكنك تستحق اللوم حيث لم تعلمني من قبل بشرف سيادتها لنهيء لها طعاماً لائقاً بها اما الان وقد جئت بدون انذار فليس ما نقدمه غير وزين . ثم نادت بابنتها وبشفريد ان اتبعني واقبلت على ضيفيها تستاذنها بالذهاب وهي لا تهمل شيئاً من مقتضيات الاحترام والاكرام . فقال جاكسن . ارجوك ان لا تواخذينا باعمالنا يا سيدتي . قال شميث املنا ان لا تقع منك ذلك على الاطلاق فذهبت وهي تتعجب وتمدح من

بشاشة وتنازل ضيفيها الشريفين الفرنسويين

الطيور الكواسر

عزمت السيدة ود ان تستدرك ما فرط منها من سوء الرعاية بحق ضيفيها بان اسرعت في اعداد واتقان الطعام فزادت على الوزنين المهيئين الى الخواجا كيبون شيئاً من اللحم والبيض والفطير والسمك وبينما كانت موجهة اهتمامها الى تنظيم المائدة انحدر درايل الى القبو الاسفل وصعد يحمل زجاجات كثيرة من المشروبات . وفي الحال جلست السيدة ود على المائدة فاقتدى بها الحضور . فقطع زوجها الوزنين على حين كان كيبون يقسم الفطير وتيمس درايل يفتح زجاجات النبيذ . وكان كيبون نهماً في الاكل انما لم يعد يشيء با لنظر الى رفيقه شميت الذي فعل في المائدة افعال الابطال قائد التهم في اقل من ثانية نصف الوزة والحق بها كثيراً من الفطير ثم اندفع على النبيذ يشرب منه وهو لا يعرف ارتواء وقد نظر اليوجاكسن نظر الموبخ على شراهته وسوء تدبيره واذ ذاك دقت الساعة الثانية عشرة فدخل جاك شبارد متأبطاً بصندوق السفر

فقال تيمس وقد نظر الى المستر ود . ارايت كيف اقام جاك بوعده واتى بالبرهان على صدقه

قال جاك يخاطب ودّاً . لمن ترغب ان احمل هذا الصندوق ياسيدي

فصاح ود بشراسة سبقت فقلت لك الى بيت السير رو فلاند حيث تدفعه الى السيدة ترافور

اجاب جاك امرك يامولاي وهمّ الى المسير فاوقفه الشيطان وقدم له قدحاً من النبيذ وقال خذ لنفسك قليلاً من الراحة قبل ذهابك . ثم التفت الى رفيقيه وقال ان السير روفلاند من الامناء المخلصين لنا (يريد انه من حزب الستوارت) وهو من اعظم واشرف عيال لانكلترا اما شقيقته السيدة ترافور فهي من اجمل النساء والطفهن . ثم عاد الى جاك وقدم له قدحاً ثانياً وقال فلنشرب بسر الملك يعقوب الاول وسقوط اعدائه

فصاح المستر ود على الفور قائلاً قف ياجاك عن الشرب فهذه خيانة عظيمة لااسلم بحدوثها في بيتي

قال كيبون . اننا نحتفل في هذا النهار بتذكار ولادة الملك

قال ود . هو تذكار ولادة ملك لااعرفه ولا اعترف به فاني لااعترض احداً في افكاره السياسية وانما اريد ايضاً ان تبقى افكاري محترمة وموقرة فلا تداس بحضوري

فتداخلت السيدة ود بين الاثنين وقالت لقد اكثرتما من اللجاجة دون موجب فلنرى الان ان كان جاك يخالف ارادتي . ثم امرته بان يشرب الكاس

فصاح ود اياك وافعل

فرفع شبارد الكأس على شفتيه وقال اني اشرب بحياة الملك يعقوب الاول وهلاك اعدائه فضجت القاعة بالضحك ونادى ود ستودي عن هذا الصبيان حسنًا ياخائن

قال تيمس . اسأت ياجاك في عملك على اني اشرب انا الان بسر الملك جورج الاول ولاطالة في حياته وملكه وهلاك اعدائه الباوبين ومؤازريهم

فقال ود وعيناه مملوءة بالدموع . احسنت . . . ياولدي احسنت . . . فهمس تيمس في اذن جاكسن وقال وهو يشير الى جاك اليس هذا الذي وعدنا بالمساعدة فانتهره جاكسن وقال اصمت وقلل من شرب الخمرة فانك في حاجة الى الصواب . وكان جاكسن في كل هذه المدة موجهًا التفاته نحو جاك يرمقه شذرًا بما اولاه الاحتقار والرعب فاقترب من المستر ود وقال له هل لك ان تسمح لي بكلمتين سريتين



اخرج خارجا يا شقي

اجاب بخشونة . حتى ولا بحرف واحد فاذهب في حال سبيلك . فنادى جاك تيمسًا وقال له اتبعني . فلم يلتفت اليه ولما لم يصادف نجاحًا عند الاثنين انحدر نحو السيدة ود يطلب مواجهتها فصاحت به وقد انتصبت واقفة بعيدة عن المائدة وضربته ضربًا اليمًا . اخرج خارجًا ياشقي . فخرج جاك كئيبًا حزينًا وهو يقول في سره فليلعني الرب ان عدت بعد الان توبت خيرًا او سرت مستقيمًا

قال ود . ان هذا الغلام (شبارد)يحتمل اصلاحه وقد تأكدت ذلك في بكرة هذا النهار
اجاب جاكسن وقد حول بكل افكاره اليه ليعلم المراد من كلامه .وماذا فعل
قال تيمس .ارجوك يا ابي ان لا تستغيب جاكا بكلام يخل باهليته . فاغتاظ جاكسن لهذه المقاطعة وقال لو كنت اباك لعلمتك بان لا تتطفل بالكلام دون ان تكلف اليه . فعزم تيمس على اجابته ولكنه عدل عن ذلك بانظر من اشارة المنع الموجهة اليه من ابيه وبدا بملء زجاجات المدام
فقال جاكسن لود بصوت المتهكم . ان ابنك (تيمس) من اصحاب العقول الفائقة
اجاب . انه ليس بابن حقيقي لي بل تبنيته منذ وجدته واسمه تيمس درايل
قالت السيدة ود ان زوجي قد اطلق عليه هذا الاسم الغريب حيث التقطه من النهر المدعو باسمه
فقهقه تيمس ضحكًا وقد رفع الى فيه كاسًا طافحًا بالمدام فقال جاكسن عليه وقال كفاك سكرًا فانك لا تلبث ان تفضحنا ثم اخذ كيسون كاسًا وقال سرًّا الى السيدة ود اني اشرب بصحة الكنا ليرمارجرجس
اجابت .اشرب بصحة وهناء
قال .اني ساخاطب الكنا لير بشانك
اجابت بفرح عظيم .هل تنجز بوعدك .فاكد لها انه لا يخرج عن المجاز والحال وضع يده بيدها من تحت المائدة وشد عليها بلطف دلالةً على صدقه واخلاصه .وكانت الخمرة قد فعلت في راس تيمس فطفق ينشد الاغنية العشقية يا استلفت اليه الانظار . فاحمرت السيدة خجلاً لما تضمنته عباراتها من اساليب الخلاعة .اما جاكسن فاعطى تيمس ظهرًا وخاطب المستر ود بقوله اي متى وجدت هذا الغلام الذي تبنيته
اجاب منذ ٢٢ سنة في الليلة السادسة والعشرين من تشرين الثاني
قال جاكسن أتعني ليلة الزوبعة
اجاب نعم في نفس تلك الليلة
قال جاكسن اني متشوق عظيم الى الوقوف على تفاصيل هذه الحادثة فهل لك ان تقصها عليَّ . فاجاب بالقبول وطفق يسرد وقائعها وقد مر بيانها منفصلاً ومع ما كانت عليه هذه الحادثة من اهمية محزنة مؤثرة لم تقابل من سامعيها الا باصوات الضحك والاستهزاء ولا سيما عند ذكر خبر آلة العذاب في صانع النقود وما صادف من المصاعب حيث لم يتمالك تيمس ثم اخفاء سروره فالقى بنفسه على كرسيه وهو يضحك شديدًا
فقال ود وقد ظهرت عليه لوائح الغضب .اني لا افهم المعنى المراد بضحككا

فانتهره جاكسن برفقة وقال ان تصرفك مجرد عن كل حكمة واني آسف لما جرى مما كان سببًا في كدر صاحب المنزل

قال ود . يظهر لي يا خواجه جاكسن ان الظروف قد جمعتني بك قبل الان واسلوب ضحكك يذكرني بهذا الاجتماع . فاتخذ جاكسن هيئة جدية وقال . من ياسيدي

قال اوبل ان لا تنكدر من كلامي انما قلت لك ان صوتك وهيئتك وضحكك جميعها تمثل لي رجلاً من الاشقياء الذين اساءوا معاملتي في صالح النقود

قال ومن هو هذا الرجل

قال هو رجل اكتسب شهرة ملطخة بالعار في البوليس السري الذي انخرط في سلكه وقد كان شريكًا للصوص

قال . وما اسمه

اجاب اسمه جوناثان ويلد

فصاح جاكسن وقد انتصب واقفًا على قدميه . اني لا استطيع صبرًا على مثل هذه التهم ان تنسبها الى رجل كجوناثان ويلد مشهور بالاستقامة وحسن الاعمال . ثم نهض شميث ايضًا وقال . اني لا اسمح بان يهان جوناثان ويلد بحضوري فهو الذراع الايمن للهيئة الاجتماعية وبدونه لا تقوى على عمل

قال ود . . من . . . نحن . . .

اجاب لا اعني اناسًا خصوصيين بل اريد جميع اصحاب الشرف والناموس

قال نيمس وقد استلقى على قفاهُ ضحكًا . ان تشبيه الخواجه جاكسن برجل يعتبرهُ ويحترمهُ احترامًا عظيمًا لا يعد مخلاً بمقامهِ او محطًا من قدره

اجاب . جاكسن وهو يرمقهُ شذرًا . لا بل بالعكس اني افتخر بوجود وجه للمماثلة بيننا وانما الذي يكدرني هو ما قيل من ان شهرة جوناثان ويلد التي اكتسبها بشرف الاستقامة هي ملطخة بالعار

قال شميث ان مثل هذا القول لا نغض عنهُ طرفًا ولا نصبر عليهِ

اجاب المستر بلطف حيث ظهرت صداقتكما المخلصة لجوناثان ويلد فاني اسف لما صدر مني بحقهِ واعتبرهُ مستقيمًا كواحد منكما

قال جاكسن وقد مدَّ لهُ يدًا . اننا نكتفي منك بهذا الاعتراف ونحن نأسف ايضًا لما ظهر علينا من الغيظ انما اسمح لي ان ازيدك علمًا بانك مغشوش فيما توهمتهُ لجهة صديقنا جوناثان ويلد حيث لم يكن قط شريكًا للصوص

قال شميث . ابدًا مطلقًا وحرمة شرفي

قال ود . ان تاكيداتكما كافية لاقناعي بصدق اقوالكما . وكان القبطان مشتغلاً بمداعبة السيدة ود فلم يتنبه الى هذه المناضلة الا اخيراً فقال .

اني اجهل علاقتك مع هذا الرجل يا جاكسن

اجاب . اني اعرفه منذ وجودي في قيد الحياة .

قال يمكنك اذاً ان تفيدنا عما اذا كان في نيته ان ينفذ توعداته قريباً

اجاب . واي توعدات تريد

قال . توعداته بشنق لص يدعى على ما اظن بوبلو ار او بوبلو . وهو من الامناء المخلصين له

اجاب شميت . ان الخبر مختلق لان جوناتان ويلد لا يرتكب مثل هذه الدناءة

قال كيبون يظهر من كلامك انك لا تحسن معرفته كما تدعي . لان جوناتان ويلد لا يستبعد عنه شيء من المنكرات فهو اهل لكل عمل دني وقد توصل الى شنق كثيرين من رفاقه وشركائه بالوشاية عند ما اصبح لا يستفيد من رفقتهم او بالحري لا يؤمن جانبهم ولديه عدد عديد من شهود الزور يستخدمهم لهذه الغاية عند الحاجة اليهم . اما من خصوص صاحبه بوبلو يا حضرة الخواجه شميت فاني على يقين من انه سيشنق بعد الجلسات القادمة وهو خبر مقرر ثابت لا وجه للشبهة فيه

قال شميت . ولكن بوبلو قادر ايضاً ان يقابله بالمثل فيكشف عن مخبآته ويفشي باسراره

اجاب . وما فائدته من ذلك وجوناتان معدود الخاطر عزيز الجانب في المجالس

قال جاكسن . لقد اتيت بالحق ونطقت بالصدق

فعاد كيبون الى اتمام حديثه فقال . على ان لبوبلو سبيل واحد للنجاة وهو انفاذ توعداته ايضاً

فصاح جاكسن . وهل سبق لبوبلو ان توعد جوناتان بشيء

اجاب . نعم فقد اكد لي ان بوبلو استخدم سكينة ضد جوناتان ويلد في مشاجرة حصلت بينهما وقد عقد النية منذ ذاك الحين على مقابلته بالخنجر لاول اشارة يستدل منها على خيانته ثم التفت نحو شميت وقال لا يستبعد عليك ان تكذبني في هذه المسألة ايضاً

اجاب . لا بل بالعكس فاني على يقين من صحتها

قال جاكسن . سانقل الخبر بتمامه الى جوناتان ويلد ليكون على حذر من اعدائه اجاب شميت وانا لا اتقاعد ايضاً عن اخبار بوبلو بما اضمر ضده ليكون على بصيرة في امره

اجاب كيبون . لا تكلفا نفسيكما هذه المشقة فان كلاً من اللصين مستحق لما يتهدده من العدوان فقد كان جوناتان من الحزب اليعقوبي فخنث بيمينه وباع نفسه وشرفه من اعدائه بقليل من المال وانخرط في سلك البوليس متوغلاً في اعمال العدوات السرية الدنيئة وقد عهد اليه باجراء عدة

توقيفات مهمة خطيرة ولكنا علمنا بخطاياه فاحبطنا جميع مساعيه وخلاصة الامر انه لو كان في جو ... ولد منتش البوليس السري ثوبه ما ينسب اليوم من المهارة والاقدام لما تأخرعن مفاجئتنا في صالح النقود . . . . . الم اقل حقًا يا جاكسن

اجاب . بل كل الحق يا سيدي

فقال كبون ضاحكًا . انه سعيد بيننا من يزيد عليه مهارة وحذقًا فاني نصبت له فخًا لا يستطيع منه نجاة

قال جاكسن . الحذار من ان تقع في فخك فتكون ساعيًا الى حتفك بظلفك

قال ثيت . لوكنت مكانك لما غرشت بجوناثان ويلد لانه عدوٌ شديد البأس مهاب الجانب

اجاب كبيون . ولا سيما لانه صديقك العزيز ثم تناول كاسًا من الخمر وقال اني اشرب بسر نجاح مشروعنا . فصاح الاثنان يرددان كلماته الاخيرة وقد نظر كلٌ منهما الى الاخر يذكره بمشروع انطوت عليه بينهما الضمائر . ثم التفت جاكسن نحو المسترود وقال هل من الممكن افادتي عما اذا كنت قد اقمت بالبحث المقتضي توصلاً الى ازاحة الستار عن الحادث الغامض الذي قصصته علينا

قال . لا لاني كنت في بادىء الامر تعبًا فاجلت البحث الى وقت اخر واتهيت اخيرًا بالاضراب عن هذه المسألة كانها لم تكن ولطالما لمت نفسي على هذا الاهمال ولكني عالم بان البحث والتفتيش لا يجديانني نفعًا لان الجانين هلكوا عن اخرهم

قال جاكسن . وهل انت على ثقة من صحة علمك

اجاب . على اتم الثقة وقد نظرت قاريهم يرطم الجسر وكان زعيم الجانين بقربي على الرصيف فدفع بصدمة الزورق الى النهر

قال جاكسن . ولو فرض ان خصمك نجا وهو مثلك في قيد الحياة فماذا تفعل

اجاب . كلما في وسعي فعله لجلبه الى المحاكمة

قال تيمس . وهل تعرف ياخواجه جاكسن شيئًا عن نجاة هذا الرجل . فتبسم ونظر اليه بهيئة تدل على معرفته اشياء كثيرة لا يريد ان يوضحها وقال اني لم اكلفكما الا الى الجواب على سؤال بسيط

قال ود . اه لو كنت على يقين من نجاته

اجاب جاكسن . اعلم اذًا وثق بان خصمك حيٌ مثلك يتمتع برغد العيش وطيب الهناء وخير لك ان يقتنع بموت هذا الغلام (تيمس) فصاح تيمس وما اسمه

قال جاكسن . انك صغير السن فضولي الكلام وعندما تبلغ مبلغ الرجال تعلم وتقتنع ان

مثل هذه الاسرار لا تنثر في الهواء ضياعاً وابوك اعلم منك بذلك

اجاب ود . اني اجود بنصف ما ملكت يدي توصلاً الى شنق هذا الجاني وتقرير حقوق ولدي

قال جاكسن مزدريًا . واي حقوق تعني فانه يستفاد من حديثك ان هذا الغلام من ابناء الخفاء ولا يخفاك ان مثل هولاء اللقطاء لا يحق لهم المطالبة باسم او ارث والقتل الذي شاهدته نتيجة انتقام موجه من اقارب الامراة نحو مغريها على الفحشاء فالاصوب اذاً ان تبقي هذا السر في حوز النسيان حيث لا نفع لك من افشائه ومع ذلك فاذا راق لديك الاقتصاص ممن اهتم لمسه بيده فلا احجم عن اداء الافادات المقتضية بشرط ان لا يذهب تعبي سدًى

قال ود لا ادري كيف يمكنك ان تمدنا بافاداتك عن هذه الحادثة بدون ان تكون في جملة من شاهدها واشترك بها .

اجاب . اني لم اشاهد قط وقوع الحادث ولكني اعرف اناساً من الذين اشتركوا في ارتكاب الجناية وعندي البراهين الصادقة على صحة هذا الاشتراك

قال . هل تستطيع ان تعين واحداً منهم

فصاح تيمس . انا استطيع ذلك

اجاب جاكسن . عندك ابنك وهو يدعي علم الغيب فالك ولي

قال ود . ان لهذه الحادثة اهمية كبرى عندي فان كنت بالحقيقة يا جاكسن مطلعاً على شيء منها ارجوك ان لا تبخل عليّ بالتصريح

اجاب . في الغد ان شاء الله نتكلم في هذا الصدد انما اسمح لي الان ببضع دقائق اصرفها معك على انفراد بمواجهة خصوصية

قال اني طوع امرك . وانزوى الاثنان في زاوية القاعة . فاخرج جاكسن من جيبه جزداناً للورق وقلماً من الرصاص فبراه بسكين وضعها بجانبه على المائدة واندفق يسأل النجار ويكتب افاداته وفي اثناء ذلك تقدم تيمس الى المائدة يتامل السكين ولدى تلاوة الاسم المحفور على قبضتها رجع الى الوراء مرتاعاً وهو يحدق نظراً مرتاباً في جاكسن وكان قد اتم كتابة فقدمها الى ود وقال هاك مطاليبي ادفعها اليك وظهر غد ان شاء الله نعود الى الاجتماع

فصاح المستر ود بصوت الآمر وقد حمل بيده عصا المشيخة وكانت معلقة في قرنة الغرفة قف مكانك . ثم امر تيمساً بان يغلق الباب . وقال اطلب اليك يا جاكسن ان توضح كلامك وتلميحاتك السرية الغامضة والا اوقفتك لاني شيخ هذه الناحية . فضحك جاكسن من كلامه سخفاً محتقراً . ثم صاح بشميت وكان نائماً على كرسي وفي يده زجاجة . ثم فقد آن الاوان

اجاب وهو يفرك بعينيه لاي عمل

قال وقد اخرج من جيبه فردين محشوين بالرصاص . للقبض على من جئنا لاجراء توقيفه

اجاب لبيك . ثم انتصب واقفًا وشاهرًا بيده سلاحًا مشابهًا لسلاح رفيقه

فصاح ود . بالله ربكما على مَ عولتما

قال جاكسن . كن مطمئنًا فاننا جئنا لنقوم بواجباتنا فتوقف جاميًا . ثم التفت نحو كيبون وقال له تفضل يا حضرة القبطان الى السير برفقتنا

اجاب القبطان . المرجو منك يا خواجا جاكسن ان تجلس ايضًا حيث ليس في النية ان اذهب الآن

قال . ان الوقت لا يساعد على اتمام نيتك . ثم اخرج من جيبه مذكرة احضار وقدمها اليه ولدى نظ● انتصب واقفًا وصاح . مذكرة احضار . . . .

قال نعم مذكرة احضار امضاها كاتم اسرار المملكة فانك متهم بخيانة عظيمة

اجاب ومن و شي بي

قال الذين تصير الملك الشرك فاننا منذ زمن طويل نجد في طلبك الى ان وجدناك الان .

فصاح واويلاه . اني ذهبت فريسة للخيانة

قال لا تضع الوقت عبثًا واشكر تساهلنا معك الى هذا الحد فقد كان في وسعنا ان نوقفك وانت في صالح النقود ونحرمك من هذه الزيارة وانما امهلناك لنتحقق صحة كلامك عن جمال السيدة ود

فصاحت السيدة ود . يا لكما من شقيين هل تجسران على اهانتي ايضًا . الا فانظر يا خواجه كيبون الى اعمال رفيقيك الشريفين الفرنسويين

اجاب كيبون . دعيني في مصيبتي ،

فتقدم شبست لانفاذ الاوامر فبادرة كيبون في الحال بضربة القاهُ بها الى الارض واستولى على احد فرديه ووجهه نحو راس جاكسن وصاح به اخرج خارجًا والا القيتك صريعًا

قال جاكسن يخاطب المستر ودبرزانة وثبات . انك شيخ الناحية ومعدود في جملة رعايا الملك جورج الامناء فاطلب مساعدتك لايقاف هذا الرجل الخائن ومن الان انت مسئول لديَّ عن شخصه

فصاحت السيدة ود بزوجها اياك والطاعة فانك مسئول لديَّ ايضًا عن كل عمل تبديه

فوقف النجار المسكين باهتًا مضطربًا لا يعلم الى اي الامرين يطيع وابهامًا لف ولكنه التفت اخيرًا نحو كيبون وقال انك تصيرني مديونًا لك بالجميل اذا سلمت لها عن طيبة خاطر حبًا بالسلام

اجاب كيبون ابدًا مطلقًا . واذا لم يخرج هذا الشقي من هنا القيته قتيلاً تحت قدميك

قال جاكسن وقد وجه كلامه الى النجاران دمي يسقط على راسك

اجاب ود . ارني مذكرة الاحضار فلربما تكون مختلة فلا يعمل بها

قال تيمس . فليسأل هذا الرجل عن اسمهِ ووظيفتهِ

فصاح النجار . حسن رايك . ثم وجه خطابهُ الى جاكسن وقال هل تسمح لي بمعرفة اسمك ووظيفتك لان اسم جاكسن مستعار ولا اصل لهُ من الحقيقة

اجاب ان ذلك لا يعنيك

قال تيمس لا بل يعنينا كثيرًا وإن كنت لا ترغب في ان تصرح باسمك فاني اصرح بهِ بالنيابة عنك فانت «جوناتان ويلد»

اجاب صدقت ولا حاجة للنكران انا هو جوناتان ويلد .

فصاح كيبون ما دمت انت جوناتان ويلد فخذها رصاصة تسير بك الى الابدية واطلق الفرد فاخطأت الرصاصة مرماها ولم يصب جوناتان بضرر فتبسم بما يشف عن الغيظ وقال لقد جاء دوري في ارسالك الى الابدية ولكني سأسير بك اولاً الى سجن نيفكات ثم انقض عليهِ وضغط على عنقهِ والقى بهِ الى الارض وصاح برفيقهِ ادركني يا بو بلو بالقيود فاني لا اقوى طويلاً على مسكهِ

فصاحت السيدة ود . ادركونا . . ادركونا . . . القتلة . . القتلة

فقبض تيمس على فرد بوبلو وكان على الارض ووجههُ نحو جوناتان ويلد وقال هل تامرين ان اقضي على هذا الجاني

قالت نعم اقتلهُ

فهم الى العمل لو لم يدركهُ المستر ود فاخذ منهُ الفرد والتفت الى جوناتان وقال اني آمرك بترك اسيرك

اجاب بعد ان تمكن بمساعدة بو بلو من ادخال القيود في ايدي كيبون سأتركهُ عند ما يامرني ويلبول ناظر الضابطة وليس الان

قال . فهل تحمل نتائج تصرفك

اجاب . بدون ريب

فصاح . وهو يهز بيدهِ عصاه المشيخة فاست و وبلو موقوفان اذًا بدعوى ارتكاب سرقة . . فهل في وسعكما ان تخالفا سلطتي

اجاب جوناتان احسنت التدبير ولكنهُ لا يجديك نفعًا

فصاح النجار أتخ يا تيمس النافذة ونادي النجدة . . النجدة

قال جوناتان قف قليلاً واسمع لي بكلمة واحدة

اجاب لا لا ولا بجرف واحد الا امام القاضي

قال صرح على الاقل بدعواك طبنا واعلمنا هل في بهمة

اجاب كثيرة الاهمية . . ثم اظهر المفتاح الذي اخذهُ صباحًا من جاك شبارد وقال هل تعرف هذا المفتاح وهل تذكر الى من اعطيتهُ ولاي سبب

فاطرق جوناثان براسهِ الى الارض وقد علاهُ الاصفرار الشديد فقال ود خلِّ سبيل اسيرك اذًا والا دعوت الضابطة!

فاقترب جوناثان من النجار وقال بصوت منخفض ان السر المحدق بولادة الغلام الذي تبيتهُ معلوم مني حق العلم واعرف ايضًا اسم قاتل ابيهِ فاذا لم تمانع في اجراء مقاصدي اقشيت لك السرين واطلعتك على الحقيقتين والا فاكون لك عدوًّا الدَّ مدى الحيوة ولا يفوتك ان كلمة واحدة مني كافية لاعدام الغلام وقطع حبل الرجاء

فصاح تيمس بدون ان يعلم او يسمع شيئًا من كلام جوناثان لا تصدقايا ابي ودعنيا ناديهِ الشحنة

قال جوناثان . كيف رايت

فصاحت السيدة ود وقد فتحت النافذة ان لم تامرهُ بالمناداة فعلت انا

اجاب النجار رايت ان تطلق سراح كنيبون

فامر جوناثان بفك قيوده ثم مر بجانب المستر ود وقال قد اطلعتك على افكاري وقبل ليلة غد ان شاء الله يلحق تيمس بوالدهِ اي امينهُ ثم خرج من القاعة

فاقتدى بهِ بلو وقبل خروجهِ دفع الى المستر ود رزمة من الورق وقال هاك تحارير تدلك على طهارة ذيل الافعى التي وضعتها في حضنك ايها الشيخ الجاهل

فقرأ النجار عنوان التحارير وصاح ما هذا المصاب الجديد يا الهي فان الخط خط السيدة ود والعنوان باسم كنيبون

اجابت السيدة ود كذب . . كذب . . فالخط ليس بخطي ثم ارسلت الى كنيبون نظرًا عنيفًا كانها تطلب منهُ حسابًا عن خيانتهِ

فقال لها بصوت يكاد لا يسمع ان اللص سرق هذه الاوراق من جيبي ولم اشعر بهِ . . فما العمل

اجابت هتكت ستري . ثم اتجهت نحو زوجها وقالت اعطني هذه التحارير يا حبيبي فانها مزورة

فحول بوجههِ عنها وسقط على كرسي هناك ونادى يا تيمس انني با لعوبات لقد خارت قوتي وضعفت عزيمتي ولا اعلم كيف تراءى لي ان اتاهل بامراة جميلة

الدرجة الاولى من السلم

لم يرق لدى تيمس درايل مشهد العتاب الحاصل بين المستر ود وامرأته فانسل الى خارج القاعة يطلب غرفة كان يمضي فيها مع جاك شبارد اوقات الفراغ والمازحة فوجد الباب مفتوحاً وويتغريد ود جالسة على طاولة ترسم على ورقة صغيرة فلم تشعر بقدومه وبقيت مكبة على العمل وكانت هذه الغرفة كملعب للغلامين مجردة عن كل نظام فمن ثياب منثورة في جهة ومن امتعة منتشرة في اخرى وقد جمع فيها تيمس اسلحة مختلفة الاشكال وبضع الات للهندسة وقليل من الكتب الحربية اما مكتبة جاك شبارد فتولف من بضعة تواريخ لمشاهير اللصوص ونسخ عديدة من الاغنية الحماسية وكثير من مثل الرسوم الملصقة على جدران دكان النجارة

فبقي تيمس مدة يسترق النظر اليها من الخارج فاذا بها قد رميت بقلم الرسم من يدها بغتة وصاحت لا . . لا وجه للشبه بينهما فهو اجمل منها بكثير وهمت الى محو ما رسمت لو لم يعاجلها تيمس بالدخول الى الغرفة وبعد الى انتشال الورقة من يدها

فصاحت وقد علاها احمرار الخجل وهي تمانع في تسليمها . . في الورقة سر . . سر عزيز ولكنها لم تثبت طويلاً في الدفاع فان تيمساً تغلب عليها واختطف منها الورقة وقال قد ملكت سرك

قالت استحلفك بالله ان لا تنظر الى ما فيها . ولكن انذارها جاء بعد اوانه لان تيمساً كان قد سبق فشاهد في الورقة صورته فتكدرت لذلك وقالت اسأت في عملك

اجاب نعم اسأت وخطيئي لا تقبل الصفح

قالت وقد مدت اليه يدها ولكني لا اؤاخذك بخطيئتك بل اصفح لك من صميم القلب

اجاب ولما تعمدت اخفاء هذه الصورة عني

قالت لانها لا تشابهك

اجاب ان شابهتني او لا فانا راض عنها واملي ان تسمحي لي بها فتكون لي منك تذكاراً جميلاً

اجابت وقد راعها ما شاهدته من تقلب احواله ولما هذا التذكار يا اخي

اجاب ليذكرني بك اثناء فراقنا الطويل فيكون عندي عزيزاً مكرماً واحتفظ لك عليه الى الابد فان هذه الليلة يا ويتغريد هي الاخيرة من ليالي اجتماعنا وفي الغد انزح من بيت ابيك

فنظرت اليه كانها ترتاب في قصده وقالت وهل صرحت بعزمك الى ابي

اجاب لا وانما ساطلعه على مرادي قبل المنام ان شاء الله

فصاحت وهي تصفق بكفيها فرحاً كن على يقين بان ابي لا يسمح بسفرك

فتنفس تيمس الصعداء وقال اه كم كنت سعيداً لو كان المستر ود ابي

قالت ياحبذا ذلك فتكون اختًا حقيقيًا لي ثم تأملت فيه وارادت التكلم فخنقتها العبرة

قال .ما بالك

اجابت .لا اعلم وانما اخشى ان تكون من نسل قوم شرفاء

فذكرته هذه العبارة بافادات حوناثان وبلد عين ولادتو فتنهد وقال ما لنا وللاحلام فاعطني الان هذه الصورة تذكارًا لحبك

اجابت .وقد جردت عنقها من ذخيرة كانت معلقة فيه خذ هذه الذخيرة ففيها قليل من شعري فلربما تذكرك احيانًا باختك الصغيرة الحزينة اما هذه الصورة فدعها لي منك تعذية على فراقك ثم جمدت قليلاً وقالت لديّ امور كثيرة اريد ان اقولها لك ولكنك طردتها بكلمتها عن افكاري فما عدت اذكر شيئًا

وما اتمت حديثها الا طفحت اعينها بالدموع فاسندت رأسها على صدر تيمس وكان قلقًا مثلها لا يعي على شيء لشدة هواجسه حيث كان متيقنًا بانه يفارق ولربما الى الابد فتاة يحبها كاخته فاحتضنها بذراعيه واطرق براسه خائضًا في ظلمة الوهم فلم ينتبه الا على صوت صفير طويل وكان الفاعل جاك شبارد وقد دخل الى الغرفة بدون ان يشعر بواحد وهو ينظر اليهما باستخفاف واستهزاء ويهز برأسه ضاحكًا ومرددًا قوله . نظرنا وعلمنا

قال تيمس بغضب .جاك

فلم يبال بانتهاره وداوم الضحك والتهكم

فصاح تيمس ..ماذا جئت لتفعل هنا

اجاب .ما جئت لافعل شيئًا والغرفة لا تختص بك دون سواك فهي لي ولك على اني لا ارغب في تكدير سروركما واذا تنازلت ويتغريد الى معانقتي كما عانقتك الان رحلت عنكما وتركت لكما الجوّ خاليًا

فارسلت الفتاة الى جاك نظرة الاحتقار توّبخه على كلامه وخرجت في الحال

فضرب لخروجها السكوت اطنابه برهة تكلم في نهايتها جاك فقال اني اجود يا تيمس بيدي اليمنى وهي ضحية ليست بقليلة على من كان مثلي نجارًا في سبيل الحصول على نصف ما تحفظ لك ويتغريد من المحبة والوداد

اجاب .انك لا تنال منها قصدًا ما دمت لا تحسن سلوكك معها او بالحري مصرًا على اساءة معاملتها

قال وحرمة حبي لها لم يكن في النية ان اسيء اليها او اكدرها ولكنه يصعب عليّ ان ارى من يحبها قلبي بين ذراعي غيري

وكانت ورقة الرسم قد سقطت من ويغفريد في أرض الغرفة لمزيد اضطرابها فنظرها جاك وصاح وهو يتاملها . ويغفريد رسمت هذه الصورة

قال نعم فهل هي مشابهة لي

اجاب متبرماً كل المشابهة ثم حقق نظره وقال ان هذه الصورة قد اخذت عن صورة من الميناء التي في جيبي

قال ومن اين لك مثل هذه الصورة وهل لك معرفة بصاحبها

قال لا . . انما لا يبعد ان تكون صورة ابيك

فصاح تيس . ابي . .

قال نعم لا يبعد ذلك ثم اخرج من جيبه صورة مجمرة بماس ثمين ودفعها الى رفيقه وهي تمثل شاباً يشابه تيساً وتدل ثيابه على رفعة مقامه وعلو مكانته

فصاح اصبت ياجاك فهذا لا محالة ابي

قال نعم ابوك لان وجه الشبه عظيم بينكما

قال ومن اين اتيت بها

اجاب من عند السيدة ترافور

قال اومل ان لا تكون قد سرقتها

اجاب لا فاني لم اسرقها ولكني اختلستها

قال عليك ان تردها في الحال الى صاحبتها

فصاح جاك مضطرباً على م عزمت . . . على حياتي

قال . معاذ الله ان افعل ذلك وانما اريد ان تعيد الصورة الى ذويها

اجاب اعدها انت اما انا فحسبي خسارتها وكفى

قال لا باس وعمد الى الذهاب فوقف جاك في طريقه وصاح قف مكانك . هل تريد ان تذهب بي الى السجن

اجاب لا بل بالعكس اريد ان احافظ على شرفك وحياتك

فصاح بحريح ان الشرف والحياة يحفظان ما دام السر مكتوماً فاعطني الصورة . . والا . . فاحذر لنفسك

قال تيس بسكون لا يخفاك على ظني يا جاك اني اشد منك عزيمة

اجاب نعم اذا اقتصرت المشاجرة بيننا على الايدي لكني احمل سكيناً

قال انك لا تجسر على استعماله .

فصعب جاك للحال سكينة وقال ان شئت ان تتأكد جسارتي فما لك الا ان تخطو خطوة واحدة من مكانك

اجاب تيمس بدون ان يرتاع أكلامو ما ظننت بك مثل هذه القحة واعلم ان تهديداتك لا تمنعني عن الخروج اذا اردت ذلك اما الان فارجوك ان تفتح لي طريقاً

قال لا . . ابداً . . . . انك لاتخرج من هنا مطلقاً

فتقدم تيمس بقدم ثابت وقبض على عنق جاك فصاح بغضب اتركني . . اتركني . . والا ارسلت سكيني الى قلبك على ان تيمساً لم يبال بالوعيد بل جدد العزيمة للتخلص من شر خصمو فاشتبك بينهما العراك وكاد يجلي عن جريان الدماء لولم تسمع وبتغريد الصياح من الخارج وتسارع الى الغرفة ولدى نظرها السكين في يد جاك صاحت بالله ياجاك لاتفعل . . لا تمس تيمساً بشر . . اقتلني ياعزيزي بدلاً منه ثم القت بنفسها بين الخصمين فرمى جاك بسكينو الى الارض وابتعد عن خصمو بضع خطوات مزبداً مفكراً

فقالت الفتاة ما سبب هذه المشاجرة ياعزيزي تيمس

اجاب جاك . . است

قال تيمس لا تصدقي وفيما بعد سانبئك بالنبإ الصحيح انما اتركينا الان قليلاً فان لي كلاماً اقوله الى جاك . . فاذهبي ولا تخشي فالخصام انتهى

فنظرت الفتاة الى جاك كانها تستكشف نواياه وقالت اصحيح ذلك

قال نعم نعم فليفعل بي ما يشاء وليقتلني ايضاً ان حسن لديه ليرضيك

فذهبت وبتغريد اجابة لطلبهما وهي ليست على يقين تام من صفاء قلوبهما وعند ذلك اقترب تيمس من شبارد وقال وقد مسك بيده يضغط عليها تودداً اما لناولما مضى فقد قلت لك وما زلت اردد القول باني لا اخونك مطلقاً فثق بكلامي انما غاية مرادي ان نذهب الى السيدة ترافورس وبه عسى تفيدنا شيئاً عن صاحب هذه الصورة

اجاب لا باس فالفكر حسن وانا لا امانع فيه بل اسير معك الى السيدة ترافور انما يقتضي ان نهتم في مواجهتها وحدها بحيث لا يكون احد بجانبها وخصوصاً السير روفلاند ترانشفار لان هيئته تدل على شره وقساوته ولولاه لما استطعت اختلاس هذه الصورة فانه كان منتصباً بجانبها يهددها ويتوعدها وهي ملقاة بحكم الصرعة لشدة مرضها تعاني آلام العذاب وبينما كنت ارتب لها الامتعة في صندوق السفر غافلة والقت هذه الصورة فيو وفي الحال اختلستها ووضعتها في جيبي ولكني عدت فندمت على فعلي لما شعرت به قلبي من عاطفة الميل نحو هذه المسكينة فهي تشبه امي بعينيها الكبيرتين السوداوين

قال تيمس ان هذه المشابهة وحدها كانت كافية لان تحولك عن عزمك فلا ترتكب مثل هذه الجريمة

اجاب جاك لم يكن في الخاطر قط ان اقدم على مثل هذه الجناية او غيرها لو لم تضربني السيدة ود في هذا الصباح بدون ذنب واذا حكم عليّ فيما بعد بالشنق جزاء لشروري فهذه السيدة وحدها في المطالبة بدمي

قال تيمس اطرد عنك ياجاك هذه الافكار الردية فاني موقن بسلامة قلبك فلا تعود الى عمل الشر

اجاب نعم وانما بعد الانتقام لنفسي ثم غير لهجة صوته وقال اياك ان تمكن السير روفلاند من رؤياك اذا شئت ان لا تسبب لي ولذويك كدرًا مزيدًا

قال لاتخف . وانطلق الاثنان الى خارج الغرفة يطلبان السلم حيث سمعا من ثمة صوت المستر ود وامرأته وهما يكلمان الخواجه كنيسون بلهجة الوداد بما دل على حسم المشكل وكان الخواجه المذكور قد وقف يستأذنهما بالرحيل فقال اني في غاية الاسف والكدر لما حصل بيننا من الشقاق ياصاحبي

اجاب المستر ود معترفًا بخطاه وقال لا تعد بالله الى فتح باب العتاب فاني على تمام الارتضاء والاقتناع من ايضاحاتك

قالت السيدة ود اننا بانتظارك غدًا والامل ان تأتنا بدون رفيق اجاب ضاحكًا ان شاء الله انما احترسا على تيمس درابل لان تهديدات جوناتان ويلد لايستخف بها ولربما لايؤجل عدوانه الى الغد فاسهروا عليه والحذار من ان تسمحوا بخروجه من البيت قبل رجوعي

فهمس جاك في اذن رفيقه قائلاً . . سمعت . .

اجاب نعم سمعت فهيا الان الوقت ثمين

قال المستر ود سر تحت حماية الله ياخواجه كنيسون ولا تخف فاني لااغض طرفًا عن تيمس وسالاحظه بالابنيل جوناتان اربًا

وتبادلت اذ ذاك التحيات بين الاثنين ثم فتح الخواجه كنيسون الباب وخرج من المنزل فدار الحديث بين الزوج وزوجته فتنهدت الامرأة وقد اخذت بيد زوجها وتقدمت واياه الى المشي وقالت اه من الرجال . . الرجال . . الرجال كيف يسيئون الظن في الحال

اجاب عفواً ياحبيبتي فانك لاتنكرين بان الظواهر كانت موجبة للشك ولكن حيث اقنعت الان بانك لم تكتبي هذه التحارير واكد الخواجه كنيسون بانه لم يحصل عليها منك اصبح من الجهل والغرور ان لا اصدقك فلما عزم على الذهاب لمشاهدة تيمس فاوقفته عن عزمه وقالت ان تيمسًا في

ما من من كل شرّ فهيا معي الى القاعة لاني لا اصبر في هذا المساء على فراقك

و بعد هنيهة سمع صوت اقفال باب القاعة على الزوجين فصاح جاك قد ازف الوقت فسر بنا يا تيمس واذا بيد مسكت تيمسًا من ذراعه وكانت صاحبة اليد و يتفريدود وقالت له الى اين ذاهب

اجاب الى حيث لا اغيب طويلاً

قالت . لا . . لا . . لا تذهب من هنا فان خطرًا عظيمًا يهددك في الخارج وقد سمعت الخواجه كيبون يخاطب ابي في صددك

فصاح جاك بفروغ صبر . بالله دعيه في حاله فان المستر ود لا يلبث ان يدركنا اذا عاملنا في السير

قالت و يتفريد تخاطب تيمسًا اذا حاولت الذهاب دعوته في الحال لا يفافك ثم التفتت الى جاك وقالت لماذا تغري اخي على مثل هذه الاعمال المكدرة . . فبالله عليك يا تيمس لا تسمع له بل ابقَ هنا ولا تسيء الى بخروجك . . فلو لم تقصدا بذهابكما شرًا لما سرتما بدون علم ابي

فصاح جاك وهو يضرب الارض برجليه ها هو قد حضر فدقيقة واحدة كافية لان تعرقل مساعينا

قال تيمس وقد ابعد عنه الفتاة بلطف . لا تبكي الا ان اخرج يا و يتفريد

فصاحت لا . بربك لا تفعل يا عزيزي . ولكن اقوالها والتماساتها ذهبت عبثًا لانهما كانا قد تركا المنزل واختفيا عن الابصار فبقيت الفتاة المسكينة على السلم صامتة باهتة عرضةً للتنهدات العنيفة وكان ود قد فتح باب القاعة وخرج ليطمئن على الاولاد فنظر ابنته على هذه الحالة مخنوقة بالعبرات فصاح مرتاعًا

ما بالك واين اخوك تيمس .

فلم تقوَ على الجواب واشارت الى الباب تريد انه خرج من هنا

. قال وجاك

اجابت اخيرًا بصوت صادر عن قلب متمزق بالمصاب . توجه الاثنان معًا فاضطرب المستر ود لذلك وصاح فليسامحني الرب على خطيتي فلو لم اقد من قرني الى امرأتي لما فاجئتنا هذه الليلة الدهماء

اخ واخت

في نفس هذا المساء كان السير روفلاند واخته السيدة ترافور مجتمعين معًا في قصر لها شائق مشيد منذ زمن الملكة ايزابلا في احسن احياء لوندرا وكانت الاخت مرتدية باثواب الحداد الطويلة وهي بين راقدة ومستيقظة ممددة على كرسي طويل وقد اسندت راسها الى وسادات

صفورة وجميع ظواهرها تنذر بكونها عرضة للالام الشديدة وكان من الصعب التوصل الى معرفة حقيقة سنها حيث كانت جامعة بين اثار الصبوة وعوارض الكبر الناشئة عن الاوجاع والمصائب فمن وجه مصفر ذابل ملطخ بالدم ومن عينين كبيرتين سوداوين فاقدتين حدتهما ولمعانهما ومن اعضاء ضعيفة عطلتها الامراض ومن شعر قليل موخط بالشيب وفي وجهها مع ما نابه من اثار هذه النوائب بقية ظاهرة لجمال باهر قليل الوجود والمثال وكان الشبه بين الاخ واخته عظيماً جداً في العينين والتركيب والاعضاء وما لايختلفان الا في سمات الهيئة ففي احوال السير روفلاند ما يدل على انمصاب بردء الماخوليا الشديدة الناشئة عن تبكيت الضمير وتعاظم الذنوب وكان واقفاً بجانب اخته وقد تحول نظره اليها وقال . فاذاً قطعت بوجوب السفر غداً الى لانكشير

اجابته بصوت ضعيف ثابت نعم اعتمدت على المسير وما من وسيلة لتغيير عزمي وسنفصل على المبلغ المطلوب ولكن . . . .

فصاح ولكن . . ماذا . . .

اجابت لا حاجة للايضاح فانك تعلم يقيناً باني تنازلت عن هذا المبلغ للملك يعقوب وليس لك اي للانتصار الى عمل عظيم مقدس لا لاكمال مقاصد شريرة دنيئة

فعض السير روفلاند على شفتيه منعاً لما ربما يصدر عنه لغيظه من الكلام المسيء وقال بسكون مفتعل وعلى مَ اعتمدت في شان الوصية هل ما زلت مصرة على عدم كتابتها

اجابت روفلاند . . روفلاند . . انك تتعب نفسك في المحال للحصول على رضاي عنك ومصادقتي على مطاليبك بالتهديد والتخويف واعلم اني لا اسير بخلاف الهامات ضميري فقد كتبت وصيتي وهي في مأمن من اعدائي

قال وفي اي سبيل كتبتها

اجابت في سبيل صالح وخير ابني

قال ليس لك ابناء

اجابت متنهدة بلى كان لي واحد ولربما هو حيٌ ايضاً

فصاح روفلاند بغضب اه لو كنت عالماً بذلك ولكنه عاد فسكن هياجه وقال ما هذا الجنون يا ايته ان ابنك قضى في نفس الساعة التي قضى بها والده فانتصبت الاخت اذ ذاك بجهد العناء وارسلت الى اخيها نظرة مرعبة وصاحت من قضى عليهما

قال ذاك الذي انتقم لشرف العائلة وهو اخوك

فصاحت وعيناها تقدحان شراراً وقد اتقدت جبهتها بنار مضطرمة السعير . اخي . . اخي ثم رفعت يديها المرتجفتين نحو السماء وقالت اني اتخذ الديان العادل شاهداً على اني كنت امرأة

شرعية لتلك الضحية العزيزة

قال روفلاند كذب . . كذب

اجابت وقد سقطت بضعف على كرسيها بل حق حق واقسم بالله العظيم على صحة كلامي

قال وما اسمه . . صرحي باسمه فاصدقك



فاستلّ سيفه وصاح اسمه . . اسمه . صرحي باسمه

اجابت انك لا تطلع على هذا السر المصون الا بعد موتي وانما افرح لانك لا تنتظر طويلاً فيا عادلي يا روفلاند في هذه الحيوة الدنيا الا بضعة ايام معدودة وانما دامت معاملتي بهذه القساوة تكون سبباً في تعجيل اجلي كما كنت سبباً في اعدام ابني وزوجي فلنفترق يا اخي بسلام ما

دامت أوقات اجماعنا قصيرة وعما قريب ساهديك وداعاً اخيرًا
قال وهو على غير هدى لشدة غيظه لربما يكون كلامك صحيحًا انما اريد ان اعرف قبل فراقنا اسم هذا الزوج الكاذب . . . اريد معرفته . . فهمت او لا
اجابت بثبات ان جميع عذابات الارض لاتقوى على اخراج هذا السر من صدري ,
قال وما الموجب لاخفائه
اجابت قسم صدر مني لزوجي
فبقي جامدًا ينظر اليها برهة بدون ان يبدي حراكًا ثم اخذ يمشي في القاعة بعجلة المفكر المضطرب و بعد ان حاذها عدة مرات وقف بغتة امام اخته وقال
ما الذي يحملك يا اليفه على الظن بحياة ابنك
قالت حلمت انى اراه قبل موتي
اجابه متبسمًا بتمرمر . الا فاعلمي ان املك باطل كحلمك وما لم يعد ابنك فيجدد حياته من اعماق نهر التيمس حيث دفن مع ابيه الشقي لا يمكنك ان تريه مطلقًا في هذا العالم
فاجابت وهي تفرك يديها اسا . فلتغضن عليك السماء ياروفلاند لان قلبك مجرد عن كل حنية نحو اختك
قال وسابقى كذلك الى ان احصل على اسم هذا الشقي ثم ضرب برجليه الى الارض وصاح صرخى باسمه
قالت . روفلاند . . انك تقتلني بعملك
فاستل سيفه وصاح اسمه . . اسمه . . صرحي باسمه
فارسلت السيدة ترافور صوتًا خفيفًا وغابت عن الوجود وعند رجوعها الى الصواب لم تجد بجانبها الا امرأتين لان السير روفلاند كان قد ترك القاعة وذهب فطلبت في الحال مركبتها للسفر
فقال خادم كان واقفًا بقرب الباب . وفي أية ساعة تريد مولاتي الرحيل
اجابت عند ما تهيأ الخيل
قال هل لمولاتي اوامر اخرى فاقضيها برموش العين
اجابت لا . انما خذ هذا الصندوق فضعه بيدك في المركبة ثم ارسلت نظرًا عامًا الى جهات القاعة الاربع وسألت اين روفلاند
قال دخل الى المكتبة ومنعنا من ادخال الناس عليه وفي الدار رجل غريب الهيئة يطلب مكالمته و يرفض الانصراف بدون مواجهته
اجابت مالنا وله لايهمنا . . فاذهب « ياهوبسن » ولا تضيع الوقت سدى

فاخذ الرجل الصندوق وانحنى احتراماً لسيدته وخرج

فتقدمت امرأة كانت بقربها تعينها على النهوض وقالت ان سيدتي حاملة كثيراً بما لا يمكنها من السفر فليس لها من القوة ما يعينها على السير الى منشستر

اجابت لاباس «يانوريس» فاحب لدي ان اموت على الطريق من ان اعاني عذاباً من امثال هذا المشهد الذي مرّ على اعيني

قالت نوريس وويلاه اني عندما سمعت صوتك ظننت وقوع مصاب جديد فالسير روفلاند والحق يقال رجل مخيف ونظرة واحدة منه كافية لان تجمد دمي في عروقي

اجابت السيدة ترافور ان السير روفلاند اخي

قالت ان اخوته لك لاتكون له حجة اساءة معاملتك فلو كان السير ساسيل حياً لما سمح بوقوع مثل هذا العدوان ضدك

فارسلت السيدة ترافور لذلك تنهداً عميقاً

فعادت نوريس الى حديثها وقالت انه منذ يوم زواجك بالسير ساسيل وانت مريضة تعانين الالام والذي سبب انحراف صحتك ما اصابك من السقوط في ليلة الزوبعة العظيمة

فصاحت وقد استولت الرعشة على جميع اعضائها . نوريس . . . . . .

اجابت الامرأة مرتاعة لمنظر سيدتها اني . . ماذا الذي قلته . . . ثم همت في طلب شيء من المشروب لتسكين هياجها وكانت قد تمالكت روعها فقالت لا تعطي شيئاً انما لاتعودي الى اذكاري بحوادث سابقة مريعة واذهبي الان لتعجيل معدات السفر وما مضى على امرها عشر دقائق الا نقلت الى المركبة وكانت تنتظرها عند اسفل السلم فسارت بها نحو منيشستر تعدو عدواً سريعاً

رجل أو شيطان

وكان السير روفلاند يمشي ذهاباً واياباً في غرفته وهو عرضة لفاعيل الهياج الشديد لا يعلم كيف اعتمدت اخته على السفر وهي في حالة المرض القتال بدون مشورته وكان يعز عليه من جهة ان يمانع عنوة في اتمام عزمها ويصعب عليه من جهة اخرى ان يعترف بخطأه فيطلب مسامحتها ويحولها بلطف عن سفر خطر على حياتها وبينما كان يفكر في ذلك سمع صوت سير العجلات فانتبه للحال وقرع الجرس بحدة وعجلة فوقف الخادم امامه فقال له ياشاركام هيء الخيل

فبقي شاركام متردداً لايجيب بشيء

فصاح روفلاند الم تسمع . . اريد ان الحق بعجلة السيدة ترافور فاسرع

اجاب ان السيدة ترافور ستصرف هذا الليل في سين اليان وقد اخبرتني بذلك (نوريس)

وفي الدار رجل يطلب مواجهتكم وعلى ظني ان عظمتكم لا تكدرون من مقابلتو
فنظر السير روفلاند الى الخادم وكان مؤتمن سره في الدسائس السياسية نظراً معنوياً وقال
هل هو مرسل من قبل وليم
قال . لا يا سيدي
قال . فاذا من قبل المستر كيسناتون لان مراسلة السير جون باكنكيتون وصلتني امس
اجاب لا ياحضرة السير فان هذا الرجل قد رفض ان يصرح بماموريتو ولكني على ثقة
من اهميتها
وكان شاركام قد اخذ لترويح هذه المواجهة من الرجل الحكى عنه دينارين فعدل اهمية
المامورية باهمية الدراهم التي قبضها وبذل المجهود في استئصال الموانع التي تحول دون اتمامها
فتامل روفلاند برهة وقال لا باس فليدخل حيث لا يبعد ان يكون مرسلاً من قبل الكونت
«سماره» ثم عاد فانتهر الخادم وقال الحذار من ان يوخرك ذلك عن تهيئة الخيل اذ لا بد من
بلوغ سين اليان في هذا المساء ثم جلس على كرسي طلباً للراحة لانه كان تعباً مضطرباً وسار
الخادم لانفاذ الاوامر وما لبث ان عاد مصحوباً بالرجل المذكور وهو شاب دني المظهر قبيح الهيئة
مرتدٍ بثوب الركوب وفي رجليو جزمة وعلى جانبو سكين فانحنى امام السير روفلاند باحترام
وقال . . . خادم سيادتك . . .
اجاب عابساً وماذا يريد مني
فاحدق الرجل بنظره الى شاركام بما يفيد ان حضوره يثقل عليو فاشار السير روفلاند اليه
ان اذهب فذهب
ولما خلا بهما المقام جلس الرجل على كرسي وقال . يظهر انك لم تعرفني فاستاء السير من
هذه القحة ونهض في الحال واقفاً
فقال الرجل . لا تكلف الخاطر بالوقوف ياسيدي السير فاني لا احب التكليفات ولا اقوم
بها لمن اكون على يقين من حسن استقبالو لي فاني اعرفك وتعرفني
اجاب روفلاند . لا اذكر شيئاً مما تدعيو انما صرح لي بتاريخ ومحل مواجهتنا الاخيرة فلربما
انتبه واتذكر
قال اما التاريخ ففي ٢٦ تشرين الثاني سنة ٢٠٧٠ واما المحل ففي فندق النقود
فارتجف روفلاند لذلك كأنه اصيب بضربة قتالة ولكنه عاد فتمالك روعه وقال اخطأت
ياخواجه حيث كنت وقتئذٍ في املاكي في لنكشير
فضحك الرجل لكلامو وقال بعد سكوت ليس بقصير لا باس ياحضرة السير حيث يصعب

عليّ ان أكذبك ولا الومك على ما اظهرت من عدم الركون اليّ قبل ان تعرفني .. فلا تقر بشيء ولا تصدق شيئاً ولا تعطي اشياء بدون ان تحصل على شيء تلك خطتي التي سرت عليها منذ وجودي الى الان فما جئت اليك لاكون معلماً لاعترافك بل لاخدمك

قال روفلاند معجباً . والنهاية

اجاب لاتلبث ان تطلع عليها فانك ترفض ان تعيرني ثقتك وهو حسب مجيد لا يسعني الا ان امدحك عليه ولكنه لايجديك نفعاً لاني مطلع على تاريخك واعمالك وافكارك فلا يخفاني منها شيء

فصاح روفلاند باحتقار الا فاثبت ما تدعيه والا فتكون كاذباً محتالاً

اجاب بسكون تام ان شئت البراهين الراهنة على صحة كلامي فها كها . انك ابن شرعي للسير مونتاكوت ترانشفار من هاستون هاو بقرب منشستر وقد رزق ابوك فضلاً عنك بنتين ففقدت الواحدة منها واسمها قسطنطينة باهمال خادمها ولم يقف لها منذ ذلك الحين على اثر اما الثانية واسمها اليغه فمازالت الى الان فيما بينكم وهي المعروفة بالسيدة ترافور وقد اتيت لك على ذكر هذه الايضاحات لتكون على يقين من صدق افاداتي

قال روفلاند متهكماً ان كانت تقاريرك كلها على هذا النمط فالاحرى بك ان تقف عند هذا الحد لان ايضاحاتك باخواته معلومة من جميع الناس

اجاب لايعد ذلك اننا لدي غيرها مما لايعلمه الا النذر القليل منهم فاذا سمح سيدي السير قصصتها عليه

فصاح . . قل

قال كان ابوك السير مونتاكوت من الخدام المخلصين للملك يعقوب الثاني ولكنه تحول عنه بعد سقوطه فاعطى الستوارت ظهراً وانكر عليهم حق التملك على بريطانيا ونسب البعض هذا الانحراف الى توبيخ عنيف وجهه اليه من هذا الحزب في محفل عام والمشهور المعروف انه خدم الحزب البروتستانتي الى اخر دقيقة من حياته باخلاص وثبات

قال روفلاند لاانكر عليك الى الان صحة الخبر على انه مشهور متواتر

اجاب دعني اكمل . . فانك لم تكن من مذهب ابيك لجهة الحزب اليعقوبي بل داومت الجد في خدمة الستوارتيين واتحدت معهم وعملت على تقليص ظل اعدائهم بما لم يرق في اعين ابيك السير مونتاكوت فعمد اولاً الى التوبيخ ثم الى التهديد ولما لم يصادف نجاحاً اتخذ احتياطات اخرى جديدة قاطعة

فتنفس السير روفلاند الصعداء وقال ما هذه الاحتياطات

قال كانت مصاريفك الى ذلك الحين لا تقف على حد معلوم وابوك لا يانعك في اسرافك بالنظر الى عظم ثروته ولكنهُ شاهد اخيرًا بان اموالهُ تصرف لخير حزب مضاد فامسك عن امدادك بها وعين قيمة محدودة تدفع لك سنويًا سدًا لمطالبك فلم تتعظ بهذا الانذار بل بقيت مصرًا على عزمك بما الجأ اباك اخيرًا الى حرمانك من ثروته فكتب وصيتهُ ووهب جميع امواله واملاكهِ الى ابنتهِ اليفه وكانت وقتئذٍ مخطوبة من ابن عمها السير ساسيل

فضاقت لذلك انفاس روفلاند وخفق قلبهُ وارتعشت اعضاؤه وصاح كمل

قال وعندما بلغتك ارادة ابيك فعلت ما يليق فعلهُ بالرجل الحكيم في مثل هذه الظروف فصرفت الهمة توصلاً الى اختلاق هذه المساعي وتمكنت بمهارة غريبة من قطع علاقة الزواج بين اختك والسير ساسيل مع المحافظة على صداقته فاطمأن لذلك منك البال وهدأ الروع وظننت انك في مأمن من طوارق الدهر فانصببت بكليتك مع ابن عمك على الدسائس السياسية لا تعير اختك اليفه اهتمامًا وكان ذلك في نحو سنة ١٧٠٢ فخصصت الى لوندرا على حين كنت تصرف الزمان في خدمة احزابك في لنكشير وبعد شخوصها بامد غير بعيد وصلك تحرير من تابع لك موتمن على سرك يدعى دافياس ومآله ان اختك اقترنت سرًا في لوندرا من رجل لا يعرف عن احواله شيء وقد وضعت منهُ طفلاً بما صرم حبال الامل فراعك هذا الخبر وفكرت في خطة لم تتقاعد عن اجرائها حيث اقنعت السير ساسيل بان اختك اليفه ذهبت فريسة لاغراء رجل علقاها على الفحشاء وكان لا يزال مشغلاً بحبها فاغتر بكلامك وسار معك الى لوندرا متقدًا غضوبًا وفي يوم وصولكما قادكما دافياس الى منزلها ولما لم يوذن لكم بالدخول دستم الدار عنوة فقابلكم زوجها المعروف بدرايل والسيف في يده وافقكم بقوة الصدام عن التوغل الى داخل المسكن ولكنهُ تأثر اخيرًا لصراخ امرأته وتوسلاتها اليه بوجوب الفرار مع ابنها الصغير فحمل الطفل وفر به من وجه اعدائه بطريق الجنينة فسرت مع اتباعك تجدون في طلبه الى ان وصلتم الى فندق النقود حيث احتجب عنكم بخفيه عن ابصاركم تشعب الطرقات وصعوبة المسالك وظلمة الليل وكانت اختك المسكينة قد سارت في آثاركم فرأت زوجها منهزمًا يخترق بيتًا مجاورًا فلم تستطع مكالمتهُ مخافة ان تحول اليه الانظار اما هو فتوصل بمساعدة رجل خبير باحوال طرقات الفندق ومعابره الى النجاة من مطارديه وبينما كانت اليفه هائمة على وجهها في طلب زوجها سقطت من مكان مرتفع فوصلت الى الارض صريعة لا تعي على شيء فحملها السير ساسيل الى بيتها وهو يظنها مائتة ولكنها فاقت اخيرًا وعاشت بعد هذه السقطة تجر حياة مثقلة بالاوجاع والامراض الى هذا اليوم وكان روفلاند قد التقى بالرجل الذي سهل لدرايل طريق الهرب فاهداه واعانهُ على ملاحقته فجد في مطاردته بصحبة دافياس ورجل اخر الى نهر التيمس حيث نزل درايل في فلك

فتيمة المطاردون في فلك اخر وكان الخيل حالكًا ينذر باخطار الزوبعة العظيمة فلم يعبأ السير روفلاند بهذه المخاوف ولم ترعه الزوابع بل انقض على زوج اخته والقاه مع ابنه في عباب النهر

فصاح روفلاند ولوائح الخوف والقلق ظاهرة في وجهه اوحديثك

قال لم يبق منه الا القليل فان السير روفلاند اي حضرتكم عندما شاهد هلاك اصحابه في النهر على مرأى منه ايقن بان هذا السر سيبقى مدفونًا مع من دفن في اعماق النسيان وكان كذلك مدة اثنتي عشرة سنة لم يظهر فيها ما يكدر طمأنينته وفي اثناء ذلك توفي السير موتاكيت متخلفًا عن اسمه لابنه روفلاند وعن ثروتها بنته البنه التي ارتضت اخيرًا بان تأهل بالسير ساسيل وكان قد اوقع لابن عمه على شروط غير عادية في اتمام هذا العقد فتوفي قبل الجازه والسيدة تراغور الان في حالة من المرض لا تعينها على التأهل وهي بدون ولد على ما يقال ولا يلبث السير روفلاند ان يرث من بعدها ثروة العائلة باسرها

فصاح روفلاند وعيناه تقدحان شرارًا . شيطان انت ام انسان

فتبسم الرجل وقال بالغت كثيرًا في مدح اطلاعي ياحضرة السير

قال ان كنت انسانًا فصرح لي عمن اتصلت اليك هذه المعلومات

اجاب اني ارفض الجواب على هذا السؤال ولكني مستعد لخدمتك

فصاح روفلاند ومن تكون

قال لو سألتني منذ البداية عن اسمي لوفرت عليَّ مشاق الحديث وعلى نفسك بعض القلق والخوف . . فاني «جوناتان ويلد» مفتش البوليس السري فوضع روفلاند يده على حسامه وقال بتهكم وثبات كان من الواجب على رجل شهير في الزكاء من امثال الجناب ياخواجه جوناتان ويلد ان يعلم بان من الخطر العظيم الاكتشاف على اسرار الغير

اجاب اني اعلم ذلك حق العلم انما ليس في المسألة ما يدعو للتعصب لوجهين اولها لما لك من الصالح في عدم الاساءة اليَّ وثانيها لاني على استعداد تام لجميع الطوارىء فلا اطارد الغير بدون تهيئة السلاح اللازم لقتالهم فرجالي على بعد خطوات قليلة من هنا وقد سلمت احدهم الاوراق المتعلقة بمسألتكم فاذا لم اعد اليهم في مدة معلومة رفعت الى محل الايجاب فيجري المقتضى في شأنها

قال روفلاند هل برح عن بالك انك في قبضة يدي وان رجالك لايجدون اليك سبيلاً

اجاب ولكني قادر ان ادافع عن نفسي فاني احسن اطلاق الرصاص واستعمال السيف واذا اقتضى الامر اثبت لك صحة قولي بالعمل واعلم اني لم اجعل بتعريض حياتي الى اعظم الاخطار طمعًا بالربح

قال وماذا تؤمل ربحًا من هذه المسألة

اجاب الان بلغنا نقطة العمل فهاك شروطي . ودفع اليه ورقة مكتوبة فقراها وبقي صامتاً لا يبدي بنت شفة ولكنه تكلم اخيراً فقال ان الف ليرا استرلينية ثمن باهظ لصيانة سر مشكوك في كتمانه على حين ان في الوسع ان تحصل على سكوت اكيد ابدي بثمن بخس . . وانت تعلم

اجاب جوناتان ويلد وقد نظر اليه شذراً ان مثل هذا السكوت يشتري بهدر دمائك فاني قادر بنفخة واحدة على ابادتك ومحو آثارك فانت الان تحت مطلق سلطاني لان عمدة البوليس السرية طلبت ايقافك والمستر ويلبول ناظر الضابطة اصدر بحقك مذكرة احضار عهد اليّ بانفاذها

فاستل روفلاند للحال سيفه وصاح مذكرة احضار

اجاب اشفق على حياتك يا حضرة السير لان يعقوب الثالث ما زال في احتياج اليها وليس القصد من حضوري الان ايقافك بل المراد خدمتك بما يعود عليك بالخير العظيم وقد عرضت عليك لقاء اتعابي شروطاً زهيدة حيث لي في المسالة صوالح خصوصية تدعوني الى التساهل فان الف ليرا استرلينية لا تحسب شيئاً في جنب ثروة عظيمة تكنزها بها لنفسك

قال روفلاند لم افهم شيئاً من مرادك

اجاب بلى فهمت كل شيء فاني اريد ان اخلصك من ابن اختك

قال وهل هو حي ايضاً

اجاب نعم حي وسيحيى زمناً طويلاً ويكون سبباً في فقرك وشقائك اذا لم تبادر الى قطع حبل اجله من الان

فمال السير روفلاند على كرسي هناك يستند عليه ووضع يده على جبهته المكللة بالعرق البارد وصاح بصوت مختنق اذاً كنت في يقظة لا في حلم عندما شاهدته على رصيف الجسر فهو حي ايضاً . . نعم حي . يا الهي

قال جوناتان ويلد والان

اجاب لا اقدر . لا . لا . لا اجسر مطلقاً ان اعتدي على حياته

فضحك جوناتان وقال خلِّ لي عنه فاكفيك شره في زمن قريب

اجاب لا . . لا . لا . اقوى على ارتكاب الشر فقد اجريت دماء كثيرة

قال انك تسيء لنفسك بترددك وتعترف بخطائك بما يدعوني الى انفاذ مذكرة الاحضار

فصاح روفلاند ابتعد عني ثم عاد فقال واين هو الغلام

اجاب عند من خلص حياته وهو النجار اوفان ود

قال تريد ود القاطن في حي ويكستريت

اجاب هو بعينه

قال قد ارسل الينا هذا النهار منذ امد غلاماً فلا يبعد ان يكون هو ابن اخي

اجاب لا . . فان الذي جاءكم هو صانع الجهار

وعند ذلك دخل شاركام الى القاعة وقال . في الدار غلام من قبل المسترود يطلب مواجهة السيدة ترافور

قال روفلاند وهل سبق مجيئه الى هنا

اجاب لا فهو حسن الخلق جميل الطلعة لم اره قبل الان في منزل السير

فصاح جوناتان ان الله قد بعثه الينا . . فهل تقبل ياحضرة السير شروطي

اجاب اقبل

قال كفى والثقة عليّ

فالتفت روفلاند بالخادم وقال هل اعلمته بسفر السيدة التي جاء يطلبها

اجاب لا حيث ظننت ان حضرة السير لا يستكره مواجهته قبل اياب

قال جوناتان وهل جاء وحده

اجاب لا بل يصحبه صانع الجهار الذي ساعد السيدة ترافور في نقل مجوهراتها الى صندوق المند

فصاح جوناتان . . مجوهرات . . فهمتُ . . فهمت . . فهل تذكر ياحضرة السير ان اختك نقصها شيء من مجوهراتها بعد ذهاب هذا الصانع

اجاب لا اعلم ولكني اذكر شيئاً ثم لغط في الحديث فلم يفهم كلامه

قال جوناتان ان هذا المعتوه لم يقدم الاّ ليرد شيئاً اختلسه رفيقه وساقبض عليه انما ارجوك ياحضرة السير ان لا تعارضني في اعمالي ثم وجه نظره الى الخادم وقال ما اسمك

اجاب شاركام

قال اذهب وأتنا بهذا الغلام واياك وذكر شيء في شان السيدة ترافور فقد سرق مولاك وهو يتهم هذا الصغير الشقي بهذه الجناية فيجب القبض على رفيقه وعندما تتمكن منه صفر ثلاث صفرات متواليات فياتيك في الحال اثنان فتعهد بالمجرم الى احدهما ذي اللحية الحمراء وتامر الثاني بان يسرع في استحضار مركبة يطلبها لحسابي

اجاب لحساب من ياسيدي

قال لحساب جوناتان ويلد

فاعترى الخادم رجفة الاندهال وصاح انت جوناتان ويلد

اجاب نعم انا هو فلا تخف اسرع في انفاذ اوامري

فانحنى الخادم امامه احتراماً وخرج

عاقبة السرقة

قال السير روفلاند يخاطب جوناتان وبلد بعد ان ذهب الخادم على مَ عولت في العمل

اجاب على مساعدة الظروف حيث يستحيل ان لا يظهر من استنطاقو ما استعين بو على القائو في الشرك وعلى كل فاني آخذ على نفسي ارسال هذا الشقي الى السجن

قال روفلاند وهل هذا هو جل ما اعتمدت على اجرائو

اجاب كلا وإنما اذا توصلنا الى سجنو هان علينا العسير فيكون في قبضة يدنا لان السجان مخلص في ودي ومن السهل عليّ انتشاله من سجنو في اية ساعة اردت فاعلم باحضرة السير حيث لا اريد ان اخفي عنك شيئاً اني اتخذت لي منذ زمن مركباً صغيراً هولاندياً لتسهيل نقل الجوهرات وغيرها مما اكتسبة بتجارتي وهو اليوم هنا في التيمس ولا يلبث ان يتمم شحنة في هذا النهار ويقلع قاصداً اوتردام وربانة فان كاليروك مطيع لي خاضع لارادتي وقد اعتمدت ان اصحبة بابن اختك حتى اذا بلغ عرض البحر التى بو اليه فينام فيو مطمئناً ويستعيض عن النهر بالبحر فيصفو لك الجوّ من بعده

فصاح روفلاند وقد تذكر ليلة المطاردة المخيفة في نهر التيمس وما اسفاه على صباته فان ذلك المشهد المريع ما زال للان منتصباً امام اعيني فاني ارى الامواج فاتحة الافواه لابتلاعه

قال جوناتان اطرد ياسيدي هذه التصورات عن افكارك واجلس مستقيماً وسكن روعك لان الوقت قصير ثم قدم لة ورقة وقال تنازل الى امضائها بالقول فاني لااطلب منك شيئاً قبل اتمام العمل

فاخذ السير روفلاند قلماً وعزم على امضائها ولكنة امتنع بغتة عن الاجراء وقال لايمكني ان امضي مثل هذه الورقة فاكون قاتلاً لابن اختي بيدي

فصاح جوناتان وقد ظهرت فيو اثار الغيظ الشديد كفى تهزأ بي فاوقع عليها بالحال والا تركتك وشأنك

قال ان ذلك هو جل ما اشتهيه فاذهب في حال سبيلك

اجاب لاباس فاني ذاهب كما تشتهي انما لااذهب وحدي يا حضرة السير .

واذ ذاك دخل شاركام الخادم يسحب من خلفو تيمساً مقاداً من عنقو وقال هاك ياسيدي احد اللصين فاصفر روفلاند لمشاهدتو وبقي جامداً صامتاً بما يقرب شبهاً من الموتى فمال عليو جوناتان وقال لة سراً هل تمضي الورقة

فتردد اولاً ولكنة قبض اخيراً على القلم واوقع عليها بيد مرتجفة

فقال تيمس بثبات يخاطب الحاضرين بما تتهموني

اجاب جوناتان . بسرقة فانك ساعدت رفيقك جاك شبارد على اختلاس مجوهرات السيدة ترافور فنار بجنايتك والسير روفلاند تصفح عنك وينجيك من المشنقة

قال ما فعلت اثمًا ولا جنيت جناية لا قربها واريد ان اعرف من يتهمني

اجاب جوناتان . انا فيما يجب

قال اجيب ان تهمتك لي مختلقة مكذوبة وانت لاتجهل ذلك

اجاب نعم الدفاع الساطع الدامغ وعمد الى تفتيشه

فصاح لاتقترب الي ولا تمسني ثم افلت من يدي شاركام والقى بنفسه على اقدام السير روفلاند وقال اسمع لي ياسيدي فاني بريء مما رميت به ولم اسرق شيئًا وهذا الرجل جوناتان وبلد قد جاهر بعداوتي واقسم على قتلي ولا اعلم لذلك سببًا

قال جوناتان صه فان السير روفلاند لايغتر بامثال هذا الحديث المصنوع الموضوع

وكان الحنو والاضطراب قد تغلبا على قلب روفلاند فقال اني على يقين من براءتك ياولدي فلا تخف مكروهًا انما قل لي ما الداعي لمجيئك الان

قال اسمح لي ان لااجيب على هذا السؤال الا السيدة ترافور

اجاب اني شقيقها وهي لاتخفي عني شيئًا

قال ليس مرتبكًا اربما يكون كلامك صحيحًا انما لست حرًا لاتكلم

اجاب ان هذا التردد لايفيدك

قال جوناتان اطع الامر واقترب لافتشك

اجاب لا . . لا اريد ان اعامل كجان

قال انك تعامل بما تستحق وبدأ بتفتيشه بالرغم عن مقاومته فوجد صورة الميناء في عبه وصاح به من اين اتتك هذه الصورة

فلازم ترس السكوت لايجيب بكلمة

قال اما لا نعدم طريقة تقودك بها الى التكلم والاقرار فاذهب ياشاركام وأتنا برفيقو لان هذه الصورة مختلسة من السيدة ترافور

قال روفلاند وقد ارتجف لرؤياها خوفًا كيف اتصلت اليك هذه الصورة ياولدي

فصاح جوناتان بوسع الغلام ضربًا اليمًا . اجب . اجب ايها اللص الجاني

قال تيرس لايوافقني ان اتكلم وخشونتك ايها القاسي لاتغير شيئًا من عزمي فشدد عليه جوناتان الضرب بما صاح له تالمًا فانتهره روفلاند بقوله اتركه كفى تضربه ثم التفت بالغلام وقال هل لك معرفة بصاحب هذه الصورة اجاب لا يامولاي انما لايبعد ان يكون ابي

فصاح روفلاند متعجبًا وهل ابوك حيٌّ ايضًا
اجاب لا قتل وكنت وقتئذٍ طفلاً لا اعي
قال فمن اعلمك اذا ان هذه الصورة هي صورته
اجاب قلبي اعلمني وهو يعلمني ايضًا اني واقف الان بحضرة قاتل والدي
قال جوناتان ان هذا الفتى يعنيني في كلامه لان وكيل البوليس يكون على الدوام قاتلاً جانيًا في اعين السارق .

وما جاء على نهاية حديثه الا دخل شاركام يتبعه رجل اخر لحيته حمراء وقد ظهر من بين الاثنين جاك شبارد فتقدم بقدم ثابت ونظر الى من حوله فادرك سر المسألة ووقف صامتًا غير سائل الى ان وجه اليه جوناتان الكلام وقال ما اسمك

اجاب جاك شبارد
فاظهر له الصورة وقال هل تعرف هذه
اجاب نعم اعرفها
قال لمن هي
اجاب للسيدة ترافور
قال ومن اختلسها
اجاب اختلسها تيمس درايل الواقف الان بجانبك
فخفق قلب تيمس اضطرابًا وصاح بصوت الموبخ . جاك
قال جوناتان وهل تؤيد كلامك باليمين .
اجاب نعم فاني اقسم يمينًا معظمًا باني صادق في قولي
قال جوناتان كفى كفى فقد ثبتت السرقة .
فصاح تيمس وقد خنقته العبرة كذب . . كذب . اني بريء من هذه التهمة والمستر ود يعلم برأيي فاستدعوه واسألوه ولا اظن ان السيدة ترافور تحكم عليَّ بدون ان تسمع كلامي
فحول روفلاند وجهه وقال خذوه من امامي
فامر جوناتان تابعه ذا اللحية الحمراء واسمه ابرهم ان يذهب بالغلامين
وقال له انتظرني في اسفل الدار فاني قادم اليك
فانقض في الحال عليهما تنفيذًا الارادة مولاه وعاونه شاركام فقادهما الى خارج الغرفة وطلب بهما اسفل الدار

أم وابنها

فما تخطى بها عتبة القاعة الا سمعت ضجة في الخارج ثم فتح الباب ودخل شاركام راكضاً وعلى وجهه لوائح الاضطراب الشديد

فقال جوناتان ماذا حصل

اجاب الخادم السيدة . . السيدة

فصاح روفلاند وماذا اصابها

قال عادت من سفرها

قال جوناتان يالله ما هذه المعاكسة

قال الخادم . هي في حالة النزع او بالحري مائتة

اجاب روفلاند مائتة .

قال نعم قريبة من الموت فقد اصابتها في الطريق نوبة شديدة مخيفة فارتاعت لها دانوريس وامرت السايق ان يعود بها الى القصر و بشك في وصولها حية

فصاح روفلاند وقد اثر فيه الخبر تاثيراً عظيماً واسفي اني قتلتها بعملي

اجاب جوناتان ساخراً نعم قتلتها . . نعم قتلتها انما لا يفيد ذلك ان تبح بواقعة حالك الى جميع الناس

قال الخادم ان الخدم قادمون بها الى دائرتها فهل تامر بان استدعي لها الطبيب والكاهن

اجاب اسرع في استدعائهما

قال جوناتان قف قليلاً واعلمنا اين تركت الفلاحين

اجاب في الدار المجاورة

قال وهل تمر السيدة ترافور بطريقها فيها

اجاب نعم تمر

قال فاذهب اذاً واتنا بهما الى هنا فسار شاركام لانفاذ الامر وعاد جوناتان الى حديثه فقال ان من الخطر العظيم ان تلتقي بهما اختك فتشاهدها باحضرة السير

اجاب روفلاند متقلاً بالاكدار ان الاقدار تقاومني علانية في انفاذ مقاصدي ومن واجباتي ان احترم ارادتها

قال جوناتان لاتحترم شيئاً خلاف صوالحك العزيزة الخاصة لان حظ الانسان في يده فاذا لم تقتل ابن اختك اليوم فتلك هو غداً فجدد همتك وقوّ عزيمتك حيث في هذه الساعة مطلوب منك ان تقرر بيدك فقرك وخرابك او غناك وسعادتك فاذهب الى اختك ولا تفارقها قبل

نهاية اجلها ولا يهم فيما سوى ذلك بل الق باتقالك عليَّ

فنهض السير روفلاند واتجه نحو باب القاعة ولكنه عاد الى الوراء مرتاعاً بما شاهد فان اخته كانت بين حية ومائتة ممددة على كرسي طويل يحملة خادمان ومن امامها نوريس شاكية باكية تصيح بالويل والثبور على حوت كان شاركام ورفيقة ابرهيم يجهدان النفس في اخراج الغلامين من فسحة الدار المذكورة

فوقف جوناثان ينظر اليها من بعيد كانه يلومها على ما ابديا من التهاون في مهمتها اما روفلاند فلدى نظره اخته على هذه الحال انحدر اليها وجثا على ركبتيه امامها واخذ يديها الاثنتين يبللها بدموعه وهو يطلب اليها ان تصفح له وتسامحه عن اساءته

وبعد سكوت طويل فتحت السيدة تراغوراعينها وحولت بوجهها وقد ظهر عليه ذبول الموت نحو اخيها وقالت لم يعد يا روفلاند في الحيوة الا دقائق قليلة فادركني بقسيس يعرفني

قال لا يلبث ان يحضر وقد ارسلت في طلب طبيبك ايضاً

اجابت لا حاجة للطبيب حيث حانت الساعة ولم يعد خلاصي من مخالب الموت في سعة الامكان

فصاح روفلاند واشقيقتاه

فارسلت اليه تنهداً عميقاً وقالت اه لو امكني قبل موتي ان اشاهد ولدي

قال كفى بالينه . . فسوف تشاهدينه

فنظرت اليه بعين مرتابة وصاحت . . تقول صحيحاً يا روفلاند . . تقول حقاً يا اخي

اجاب وحرمة الصدق اني لا اكلمك الا بالحق المبين

فصاحت دعيني يا نوريس دعيني اختلي باخي الاختلاء الاخير

وفي الحال خرجت نوريس من الدار وتبعها بقية الخدم وكلهم غريقون بالبكاء اما جوناثان فاختفى خلف رداء النافذة فالتفتت اليه نحو اخيها وقالت وعدتني بان تربي ولدي يا روفلاند فاين هو الان

قال . هنا

فصاحت هنا . . معنا . . في بيتنا

قال . انك لا تقوين على مشاهدته اذا لم تعتصي بالسكون

اجابت لا تخف . . لا تخف فاني على ما تشتهي من الهدء والراحة ولكن ارتجاف شفتيها كان يدل على عكس مدعاها ثم زادت على ذلك قولها فاذاً ولدي حي وخبر موته باطل . . . ان قلبي كان ينبئني دائماً الى ذلك وما كنت اصدق مطلقاً ان اخي روفلاند يقسى الى حد ان يقتل ابناً . . ابناً بريئاً

قال . ان نجاة ابنك لا ينقص شيئًا من قدر جنايتي حيث حاولت قتله و بذلت كل ما في وسعي لاعدامه على ان الله سبحانه وتعالى ارسل نجارًا كريمًا لخلصه ورباهُ عنده كولده

فصاحت الامرأة فليبارك الرب من احسن اليّ بخلاص ولدي . . ولكن يا اخي قد طال انتظاري ودقيقة الانتظار اطول من قرن عندي ثم صاحت . ولدي . . ولدي . . اتوني بولدي

وكان تيمس في كل هذه المدة واقفًا في قرنة الدار يسمع ما هو دائر بين الاخت واخيها من الحديث فاقترب اليه روفلاند وقاده بيده الى نحو امه وقال هاك ابنك امامك يا اختاه

فصاحت وقد اجهدت قواها عبثًا لتمد يديها الى ابنها . . نعم . . نعم . . ان هذه الطلعة وهذا الوجه يثبتان لي انه ابن لابيه فهو ابني . . ابني . . . وفلذة فؤادي

قال تيمس اه يا امي والقى بنفسه على اقدامها

اجابت . نعم امك وضمت راسهُ وفي تشد به الى صدرها

قال تيمس متوجعًا . وا اسفي عليك في اية حالة وجدتك

اجابت . لا تبكِ يا حبيبي فاني سعيدة برؤياك قبل موتي ثم شعرت من نفسها بضيق النفس فصاحت افتحوا النوافذ . . . الهواء . . الهواء . . .

فركض تيمس نحو النافذة يرفع عنها الرداء ليفتحها واذا جوناتان واقف من خلفها فرجع القهقرى وصاح يا امي

قالت السيدة ترافور ماذا اصابك يا ولدي

اجاب . عدوي يا امي

قالت . لا تخف فهاك خالك بجانبك يحميك من كيد المعتدين ويدافع عنك ضد اعدائك الم اقل صدقًا يا اخي

قال تيمس ان رجلاً خلف الرداء يريد قتلي

فصاحت الام المسكينة . . . لا . . لا . . لا يستطيع ان يضرك مطلقًا لان خالك موجود ولا يسمح باذيتك

وعند ذلك انقض جوناتان على تيمس وانتشله من احضان امه

فصاحت السيدة ترافور وهي تحاول النهوض ولا تستطيعه الهي . . الهي . . ماذا يريدون ان يفعلوا بولدي ولماذا يختطفونه مني

قال روفلاند صرحي باسم ابيه فارده اليك

اجابت . رده عليّ فلا اخفي عنك شيئًا

قال لبيك

اجابت . تأخرت كثيرًا يا اخي فجدت بوصل عند ما لا ينفع الوصل ثم سقطت بعنف الى الوراء وارسلت صوتًا عظيمًا

وما كان هذا المشهد المريع ليوثر بجوناتان ويلد بل دام مصرًّا على عناده فلف منديلاً على فم الغلام وسار به الى الخارج وما لبث ان عاد فرأى السير روفلاند جاثيًا عند اقدام اخته وهي منطرحة بجانبه لا تبدي حراكًا

فالتفت اليه روفلاند وهو في غيبوبة المصاب وقال هاك ثمرة اعمالك يا جوناتان

قال . لاعمالي ثمرة اخرى لم تظهر بعد الى حيز الوجود ولكنها ستظهر ان شاء الله

فصاح روفلاند اذهب عني ارجع الى الوراء

قال . اني لم أكاشفك بعد بالسر المكنون فهو في صدري لا يعلم به غيري واذا شئت مشتراه مني اتفقت معك على ثمنه اما علينا الان بمداواة الحاضر فقد جئت لاعلمك بان ابن اختك تحت الحراسة المشددة واذا زرتني في الساعة الواحدة بعد نصف الليل انبئك من اخباره ما يترطب له فؤادك

اجاب السير روفلاند بانكسار . ازورك

قال . لا تنسَ الالف ليرا استرلينية التي اتفقنا عليها

اجاب . لا

قال . بيتي بقرب سجن نيفكات ثم خرج من المنزل وبعد هنيهة دخلت نوريس يصحبها الطبيب والكاهن فوجدوا السير روفلاند ملقى بدون حراك على جثة اخته المسكينة وهي فاقدة الحس لا تعي على الوجود

رجال الليل

ما بلغ جوناتان ويلد باب القصر الخارجي الا نظر بقربه عربة مقفلة وعلى بعد بعض خطوات منها جواده يقبض على عنانه رجل طويل القامة عريض الاكتاف يدعى كيلث ارنولد فاشار اليه ان يحضر

فهرع في الحال بنص عليه خبر الغلامين (اي تيمس وجاك) وانهما في العربة المقفلة معهود بهما الى حراسة ابراهيم ماندير ذي اللحية الحمراء فاصدر له التعليمات المقتضية في شانهما وامتطى جواده وجد في السير فصعد كيلث الى العربة وامر السائق بسرعة السوق نحو سجن سان جيليس

وبوصوله الى منتهى الشارع الاخير بحيث لم يبقَ بينه وبين السجن الا القليل سمع ضجة وضوضاء ونظر تجمع الناس فاوقف العربة عن السير مخافة ان يسطو عليه من الجموع من يختطف منه اسيريه ونزل يطلب الجمع توصلاً الى الوقوف على صحة الخبر فرأى عددًا عديدًا من

الضابطة ووكلاء البوليس مثخنين بالجراح ينذر حالهم بما نابهم من الضرب الشديد في مشاجرة انقضت فمن اسلحة محطمة وثياب ممزقة ووجوه مجرحة مغطاة بالدماء والكل يتقسمون و يلعنون ويلهجون في طلب الانتقام فاقترب كيلت من الجمع وقال وهو يميس سروراً بما شاهد من مصاب القوم ان رجال الليل وفوا الكيل حقة في هذا المساء

اجاب واحد من الجمع اصبت يا كيلت فقد اشتغلوا واغلوا

قال وماذا حصل « باتري »

اجاب ان الماركيز « سلو جنير فورد » وجماعة الاشقياء هم الجانون لما تراه من الاختباط

واذ ذاك فتح باب السجن وظهر على العتبة رجل احمر الوجه ضخم الرقبة ممتلي الجسم

فقال كيلت يخاطب الجمع اسمعوا . . اسمعوا فان شاربل يريد مكالمتكم

فصاح (شاربل) ياسادتي انفار الضابطة ان سيدنا الموقر الماركيز «فري سلو جنير فورد»

وعند ذكر هذا الاسم سمعت اصوات التذمر والتضجر بين الصفوف وصاح الجمع فليسقط الماركيز ولتمت جماعته

فعاد كيلت الى النداء وقال . اسمعوا . . اسمعوا . . .

قال شاربل ان عظمة الماركيز قد كلفني بان اقول لكم . . .

فقاطعه الجمع مكرراً الضجيج وعلت من بينه اصوات الصفير والاستقباح

. فاضطر كيلت الى ان هدأ الهياج وصاح ان شاربل يحمل رسالة خير فاسمعوا له

قال شاربل نعم ايها السادة انكم تجهلون من رسالتي ربما فان حضرة الماركيز يرجوكم ان تقبلوا منه هذا المبلغ وهو عشر ليرات استرلينية فتشربون بها كاسه

فاستحال كدر الجمع الى فرح عظيم وضج مكرراً اصوات الاستحسان

قال شاربل وقد عهد اليّ ان اعلمكم ايضاً بان عظمته مستعدة لان تدفع اجرة الطبيب عن كل من اصيب منكم بجرح اثناء القتال

فصاح الجمع فليعش الماركيز انا جميعاً مثخنون بالجراح

قال تيري ونريد ان نشرب بثمن الادوية واجرة الاطباء

قال شاربل هل تجمعون كلكم على هذه الارادة

اجاب الجمع بصوت واحد نعم . . نعم . . فليعش الماركيز وليعش المناه ثم سار شاربل والقوم من خلفه يتبعون اثاره وعاد كيلت نحو العربة فوجد تيس درايل وجاك شبارد ينتظرانه والكدر ملء قلبيهما فساقها عنوة الى السجن وكانا في اثناء الطريق ملازمين السكون او بالحري مجبرين عليه حيث حاول جاك التكلم مراراً فمنعه ابراهيم ماندينز بالتهديد والوعيد والضرب

اما تيمس فكان مرتبط اللسان بما داخلة من الحزن والكآبة لايقوى على الافصاح وعندما اصبحوا على مقربة من الباب تقدم تبري من تيمس بتاملة بتزيد الانتباه ويشفق عليه لاقدامه على الجناية ودخوله الى السجن على حين لا يبلغ من العمر الا قليلة

قال تيمس اني لست مجانٍ ياصاحبي بل مظلوم

قال كيلت ما سمعنا سارقًا من قبلك يقول خلاف قولك

فمال تبري على رفيقه يسالة عما اذا كان لجوناتان و يلد يد في المسألة

اجاب نعم وكان جاك شبارد قد افلت من حارسيه وفرهاربًا وشعر كيلت بخطواته فعهد بتيمس الى تبري وجد في طلبه

ولما انفرد تيمس بحارسه الجديد قال هل لك ياصاحبي ان تسعى مهمة لاتحرم منها ربحًا

اجاب تعني ان اطلق سبيلك فتجازيني على ذلك خيرًا

قال . لا . . . بل ان تحمل رسالتي

اجاب ولمن

قال للمستر ود النجار في ويكستر يت بقرب ليون نوار

اجاب تريد الدسكرة المعلومة

قال نعم . . فاذهب اليه وقل له ان ابنة تيمس درايل مسجون بامر جوناتان و يلد فتنال منه جزاء اتعابك

اجاب لامانع فاني راضٍ عن انفاذ هذه المهمة راغب فيها . . ولكن اذا علم جوناتان و يلد فماذا يفعل بي

وكان كيلت قد تمكن من القبض على جاك شبارد فدفعة الى ابرهيم وعاد يسترق خطواته نحو تيمس فسمع كلمات تبري الاخيرة وصاح اياك والعمل فمعي جوناتان وجودك ولكني سارفع اليه اخبارك واعلمه بما كان من اقرارك

قال تبري مذعورًا خائفًا اذًا اعتمدت على خيانتي

اجاب . نعم

قال . افعل ما بدا لك فاني لا اعتد بك ولا بغيرك فاتكل عليَّ يا تيمس فاني رهين امرك وساقوم بخدمتك ثم سار مسرعًا واحتجب عن الانصار

سجن سان جيليس

كان سجن سان جيليس برجًا قديم البناء مستديره بما يقرب شبهًا من برميل عظيم ذا طبقتين علوية وسفلية قليل الانتظام يدخل اليه من باب عالٍ يصعد اليه بسلم قديم من الخشب وهو

يؤلف من عدة غرف فيها كثير من المنافذ المحصنة بالقضبان الحديدية الضخمة

وعند وصول كيلت ورفقائه كان شاربل مهتماً في تقسيم انعام المركيز على الجميع فالقى اليه بالدراهم الباقية بعد ان غافل الحضور ورمى معها بدينارين في كمه واقبل يترحب بضيوفه فصعد السلم وفتح باب السجن وبينما كان الغلامان يحملقان السلم حاول جاك شباردالفرار فاختفى يقصد الانسلال من بين ساقي حارس فلم يتوفق الى مرغوبه ونال منه جزاء وجيعاً

وكان شاربل عند الباب مهيئاً قنديلة للتعرف بمحبسيه فحول بنورة نحوهما يريد تحقق هيئتيهما ثم اغلق بعدئذ الباب بمزيد التحرس والتحسب وقال هل تعلم من عندنا اليوم يا كيلت

اجاب . نعم صديقي الشريف المركيز سلوجترفورد . . فما المراد

قال . المراد اني لا اعلم ماذا افعل بصبيك

اجاب . تحجر عليهما في محل مؤتمن

قال واذا كان السجن مزدحم بالاقدام ولا يوجد لهما محل فما العمل

فتأمل كيلت برهة ثم اخذ يد السجان بكالمة على حدة وبعد مخابرة طويلة قال شاربل حسن . . . حسن . . . فلا اتأخر عن الاهتمام بهما على انك جئت في زمن غير موافق ونحن لانحصل كل يوم على امثال هولاء السجناء الشرفاء

قال جاك هل من قصدكم ان تبقونا كل هذا الليل في السجن

قال شاربل . بما يتكلم هذا العصفور الصغير

اجاب جاك ان هذا العصفور قادر في كل آن على الطيران اذا لم تحسن وضعة في القفص

قال ابرهيم مانديزان جوناتان ويلد سيحضر لزيارة السجن عند نصف الليل

فداس جاك على قدم تيمس كانة يستلفت انتباهة الى ما يلي امامهما من الحديث

قال شاربل هيا لنضع العصفور في القفص فلا تبقى حاجة في نفس يعقوب

وكان محل وقوفهم عبارة عن دهليز ينفصل عن الدائرة الداخلية حيث اوقف المركيز ورفقاؤه حائط رقيق من الخشب وقد ازدانت جدرانة بما وضع عليها من البنادق وسلاسل القيود وبدلات الضباط والقضبان الحديدية والفوانيس وفي الزاوية منه موقدة مهملة يقابلها غرفة صغيرة قذرة ففتح شاربل بابها وقال هل تكفيكما فاني منذ مدة اوقفت فيها ثلاثة من اللصوص فمات احدهم نطيساً

وبينما كان شاربل مهتماً في حديثه غافل جاك الحضور واستولى على حربة من مزراق مسند الى الجدار فاخفاها تحت ردائه ووثب الى داخل سجنه يترنح حبوراً ويتمايل سروراً بما اثار عاصفة الغيظ عليه ففاجئة ابرهيم مانديزبان قبض على فخذه وضرب به الارض فسقط على طوله صريعاً

وصادفت راس الحربة سبيلاً الى جسده فاخترقت ثيابه واصابت لحمه بما زاد في بلائه ولكنه صبر على مضض البلوى واظهر ثباتاً عجيباً فلم يفه بكلمة ولم يسكب دمعة بل تمالك من جلده ما استعان به على الاستهزاء بشارل حينما كان يجبر تيمس درايل على الدخول الى محل التوقيف

ولما اصبح الاثنان داخل سجنها وجه اليهما شارل الكلام وقال كيف انتما وهذا القفص

قال .جاك هو خير من عشرتك ومرافقتك فاغلق علينا الباب وارحل عنا بسلام

اجاب شارل .ان هذا الغلام الشقي لا يرعوي عن غيه ما لم يذق مرارة سجن نيفكات

قال شبارد .ان السجن الكافي للاحتفاظ على جاك شبارد لم يبنَ بعد

فاغلق شارل الباب بعنف وقال سنرى ان كان في وسع عصفور مثلك ان يخرج من هنا ثم سار بالحارسين يطلب بهما الدائرة الثانية من السجن ولدى بلوغها دخل شارل وكيلت واغلقا من خلفهما الباب اما ابرهيم فانكفأ راجعاً وجلس من وراء الفاصل الخشبي يسمع حديث الغلامين . فقال جاك بعد سكوت طويل . ذهب الحراس وخلا لنا الجو فلم يجب تيمس بشيء

قال لا تغضب عليَّ يا تيمس فقد اخترت لك اخف الضررين وان شئت اتيت لك على ايضاح الامر

اجاب تيمس عبثاً تتعب نفسك في ايراد الدليل لان كل شيء قد انتهى بيننا

قال .لا . .لا . . لم ينتهِ شيء وحيث كنت السبب في سجنك فساهتم في اطلاق سبيلك

اجاب .احب لديَّ ان اصرف حياتي في هذا السجن من ان اكون مديوناً لك باطلاق سراحي

قال جاك . كفى يا تيمس فاني ما حلفت يميناً كاذباً امام روفلاند الا رغبة في خلاصك

فصاح تيمس . في خلاصي

قال نعم وحرمة حبك ما رمت بذلك الا نجاتك من مخالب الظلم فاني اجود بدمي عن طيبة خاطر لاجلك

اجاب . وهل من الممكن ان اصدقك يا جاك بعد ان جاهرت بعداوتي

قال .انك لا تلبث ان تصدقني وتمتنّ مني ايضاً

اجاب .وعلى مَ . .هل على ما سعيت به من تحقيري وسجني

قال .لا بل على ما سعيت وساسعى به من تخليص حياتك

اجاب .مرتاعاً وكيف ذلك

قال .اسمع لي اذاً فان الاخطار التي تتهددك هي اعظم كثيراً ما تظن فقد سمعت التعليمات المعطاة في حقك من جوناثان ويلد الى كيلت وفهمت مضمونها فاعلم يقيناً ان هذا الشقي قد اتفق مع السير روفلاند على اعدامك واذا لم نتمكن من الفرار في هذا الليل قتلت وعزي فقدك الى

اعمال السجان

فارتعش تيمس لهذا النبإ المخيف وقال هل انت على يقين يا جاك من ذلك

قال .على اتم اليقين ولكني اود ان اخلصك واريد ان تصرح لي بانا اصدقاء

اجاب تيمس متردداً وهل تعود الى خيانتي

قال .لا وربي!

فصاح تيمس ان رمت ان اصدقك فلا تحلف بربك . وها ك يدي ولكنها مقيدة فلا استطيع مدها

قال جاك .علينا اولاً بالتخلص من القيود

اجاب .لا حاجة الى هذا العناء لان المسترود سيفد علينا عما قريب

فصاح جاك .وكيف اوصلت اليه خبرنا

ففتح ابرهيم ماندبز اذنيه ومال بكليته على الحائط ليقف على تمام الخبر

فقال تيمس .ارسلت اليه الحارس تيري

فتضجر ابرهيم وتكلم بما اسمع جاك فقال اخفض صوتك ياتيمس حيث في الخارج رجل يسمعنا

فاجاب ابرهيم بصوت عال . نعم في الخارج ابرهيم ماندبز

فصاح الاثنان واخسارتاه

قال ماندبز .في اية ساعة تنتظران وفود المسترود

اجاب شيارد بشراسة لا يعنيك

قال المراد ان اكون هنا وقت حضوره فاترحب به

قال تيمس بصوت منخفض قضي علينا يا جاك فحبط مشروعنا وانقطع الامل من مجيء المسترود

اجاب جاك بنفس الصوت .بل لنا وجه اخر للخلاص وما لك الا ان تساعدني فقط فننجو من هذا العذاب انما قل لي هل من طاقتك ان تقبض على هذا الشقي ابرهيم بحيث لا يستطيع حراكاً اذا توصلنا الى الخروج من هذا المكان؟

اجاب تيمس . نعم بشرط ان اكون محلول الوثاق . ففرع ابرهيم ماندبز الحائط وقال ارفعوا اصواتكم ولا تخفوا شيئاً عن صديقكم ماندبز

قال جاك . ما لنا ولك عندك اصحابك فتكلم معهم بما تشاء

اجاب ان اصحابي في الدائرة المجاورة والباب مغلق عليهم!

قال وماذا يعنينا منك ثم همس في اذن تيمس وقال هيا للعمل واكثر من الحركة والضجيج بحيث لا ينتبه الى ما نعمل وعمد الى الحربة فسلح بها وتوصل بين الصياح والضوضاء والقهقهة

والضحك الى فك القيود بدون ان يشعر بواحد . فصاح ابرهيم من الخارج لما هذا السرور والانشراح

قال جاك . علمنا انك وحدك فرغبنا في تسليتك وممازحتك . ثم وجه كلامه الى تيمس وقال له اصعد على كتفي ومد هذه الحربة من النافذة وادفع بها سكرة الباب . فاجاب تيمس بالايجاب وفي اقل من لمح البصر اندفع الاثنان الى الدهليز وكان ابرهيم موجه بكل افكاره الى ما داخل الغرفة فلم يشعر الا وضربة فاجئته بغتة فوقع الى الارض فانقض عليه تيمس ومسكه وهرع جاك بسرعة الى باب الدائرة المجاورة فاقفلة بالمفتاح ثم بادر الى باب السجن الخارجي يطلب فتحه ايضاً . وشعر كيلت وشاربل من داخل الدائرة بالحركة الحاصلة فاقبلا الى نجدة رفيقيهما وكان الباب مقفلاً عليهما من الخارج . فصاح بهما جاك الم اقل لكما ان السجن المعد للاحتفاظ على جاك شبارد لم يبنَ بعد

فصاح كيلت . . . قف مكانك . . . وهمّ الى خلع الباب . فجاءه شاربل يعاونه وهو ينادي دونك واياها يا ابرهيم

فنادى تيمس . اعني . . اعني . . يا جاك ادركني . فلم يعد في الامكان ان حافظ طويلاً على مركزي . اجاب جاك وكان منشغلاً في فتح اقفال الباب . اغمد حربتك في عنق خصمك واتبعني فلم يفعل بل اهتم بان يتغلب على خصمه بالثبات وتجديد العزيمة وكان جاك قد تمكن من فتح قفل الباب الاخير فصاح برفيقه فرحاً . . . اتبعني . . . اتبعني . . صرنا احرار

فقبض ابرهيم ماندبز على فخذ تيمس وقال . لا . . لا . ما زلتما اسرانا

فصاح تيمس . انج بنفسك يا جاك حيث لا استطيع تخلصاً من هذا الشقي

اجاب معاذ الله ان يلذ لي الخلاص بدونك . وعاد ركضاً نحو صديقه وقبض على الحربة وضرب بها ابرهيم ضربة شديده سقط منها في الحال الى الارض غائباً عن رشده واراد ان يكمل عليه بضربة ثانية فمنعه تيمس وسار الاثنان في طلب الفرار والفرح ملء قلبيهما وما انتهيا الى عتبة الباب الخارجي الا انتصب امامهما جوناتان ويلد وبوبلو

القديسة الطاهرة

القى ذهاب تيمس وجاك على عائلة النجار ود ثياب الحزن والكآبة فاستولى السكون على المنزل ينوب مناب التكلم في ايضاح شعائر الاسف ولما طال امد الانتظار حركت المستر ودعوامل الفكرة فسئم الصبر وهرع الى قبعته يطلب المسير بحثاً على الغلامين واذ قرع الباب فصاحت وينفريد والفرح يطفح في فوادها دا ها ابيا . ثم اسرعت الى اسفل الدار تستكشف الخبر وما لبثت ان عادت تعلوها دهشة الهواجس وقالت ان القارع هو السيدة شبارد

فصاحت السيدة ود . . . ن

قالت في ام جاك وقد حملت اليك صحفة مملوءة بالبيض والزهور

اجابت بتعجب ممتزج بالاحتقار . لي انا . لا . . قد اخطات يا بنتي فالهدايا مسوقة لابيك

قالت . لا . بل لك وقد صرحت عن ذلك بما لا يحتمل التاويل ولكنها تطلب مواجهة ابي ايضاً

اجابت بصوت المستهزىء علمنا وفهمنا

قال المستر ود وقد اتجه نحو الباب اني ذاهب اليها فهي قادمة لتطمئن عن جاك

اجابت زوجته وقد نفخها الكبرياء . لا اظن مطلقاً . فارجوك ان تبقى هنا

قال دعيني على الاقل اهتم في ابعادها عنك

فصاحت وقد لعب بها سم الغضب لما لا تسمع كلامي فاني امرتك بعدم الخروج يا حضرة المستر

قال ولكن يلزمني ان اخرج في طلب تيمس وجاك

اجابت . بل قل في طلب السيدة شبارد ولا تخف واعلم ان تمويهاتك الكاذبة لا محل لرواجها عندي . فبالله كيف يهزأ بي ويحط من شاني . فاجلس واياك ومخالفة امري ثم قالت لويتغريد ادعي والدي بهذه الامرأة فقد عزمت ان اراها بنفسي

ولما ادرك المستر ود ان اطالة المقاومة لا تفيده شيئاً كف عنها ورمى بنفسه على كرسي بجانب امراته وسارت ويتغريد في قضاء ارادة امها وكانت قد عادت الى اتمام حديثها فقالت وقد وجهت الى زوجها نظرة الفوز الممزوج بالانتقام سارى قريباً هذه الخائنة وجهاً لوجه فويل لك ولها ان صدق ما قيل لي عنها من انها جميلة . وعند ذلك دخلت السيدة شبارد فنظرت اليها زوجة ود نظرة المنتقد من قمة راسها الى اطراف قدميها علها تجد فيها شيئاً معيباً تتخذه حجة لافراغ جعبة غضبها فلم تجد لان ثيابها كانت بسيطة زرية تدل على فقرها ومصابها ووقفتها تترجم عن رزانتها واحتشامها ولكنها كانت جميلة والجمال جريمة لا تغتفر في اعين الامرأة الغيورة الحسودة فنهض المستر ود وتقدم بضع خطوات لمقابلتها وهو يستعين بالثبات والتجلد على اخفاء هياجه واضطرابه وقال ما الذي قادك الينا يا سيدة شبارد

قالت تكرم عليَّ احد الجيران بمحل في مركبته وحيث مضت مدة ولم يصلني خبر عن ولدي طلبت المجيء لا قبله واقوم بما عليَّ لكم من الشكر الواجب لقاء ما تبذلونه نحوي ونحو ابني من العطاء والسخاء . ثم التفتت نحو السيدة ود وقالت تنازلي ياسيدتي الى قبول هذه الهدية الحقيرة (تعني قليلاً من البيض) وانت ايتها الابنة المحبوبة الصغيرة اقبلي مني هذه الزهور فقد اقتطفتها لك

فصاحت السيدة ود . الحذار يا ويتغريد من ان تمسها يدك لانها مسممة

فقالت الفتاة وقد رفعت الزهور نحو انفها تستنشق طيب شذاها . كفى ياامي

اجابت بشراسة دعي الزهور في الحال واذهبي الى غرفتك

قالت . اسمحي لي بان ابقى هنا في انتظار اخي

فصاحت . قلت لك اصعدي فاطيعي

فوضعت الزهور على الطاولة بدون ان تجيب بشيء وخرجت غائصة بدموعها . وكانت السيدة شبارد صامتة جامدة وقد نظرت الى ازهارها كانها تستشيره عما يجب ان تفعله ولكنه كان وقتئذٍ في حاجة الى مشورة زوجته فلم تنل منه نصحاً فاقتصرت على الاعتذار عن زيارتها وقالت لربما اكون قد ثقلت عليك بزيارتي

اجابت السيدة ود . تحسنين ايضاح العبارة وتعلمين ان زيارتك ثقيلة ولكني اعجب من امنك كيف قادتك الى المثول بحضرتي

قالت . اني اسفة حيث لم اصادف لسوء حظي قبولاً في اعينك واني اؤمل ياسيدتي ان لااكون قد اسأت اليك عن طيبة خاطر مني . ثم نظرت الى المستر ود تطلب وساطته

فصاحت . ماذا . . . . اتجاسرين وتغازلين زوجي بحضرتي وتظنين اني اصبر على مثل هذه الجناية فانظري اليّ واجيبي على سوالي واياك والمراوغة

فرفعت الارملة الحزينة نظرها اليها وقالت ماذا

قالت الست معشوقة هذا الرجل اجيبي نعم او لا

اجابت بسكينة وقد علاها الاحمرار لست معشوقة احد ياسيدتي

قالت كذبت فاني عالمة باعمالك فلا تنطلي عليّ اقوالك

فصاح ود يخاطب امراته كفى ياحبيبتي بحياتك كفى

فقاطعته في كلامه وقالت دعني اتكلم وابح لهذه الخائنة بكل ما في قلبي من نحوها

قال . اجلي ذلك على الاقل الى وقت اخر ولا تصرحي بافكارك الان

اجابت بل الان . . الان . . فمن يعلم اي متى يتسهل لي مثل هذه الفرصة المناسبة لاظهار افكاري فان هذه الامراة قد بذلت الى اليوم قصارى الجهد في تجنب مواجهتي ومن يعلم ما يكون منها بعد الان

قال ود . قد منعتها اكثر من مرة عن الحضور لرؤياك مخافة ان ينشأ عن مواجهتها ما يكدرك

قالت الارملة . استحلفك بالله ياسيدتي ان تسمعي لي فاذا كان ولابد من توجيه عداوتك نحو واحد من الناس فليكن ذلك الواحد انا وليس زوجك لان خطيئة الوحيدة في احسانه

وتشفقة على امراة لاتجدر بها الحسنة ولا تستحق الرحمة

اجابها باحتقار . ماذا

قالت اني مديونة له في كل شيء بالحياة وباكثر منها ايضاً ولولا مساعدته لهلكت نفساً وجسداً فقد كان لي ولا بني اباً حنيفاً صادقاً محباً

اجابت . صدقت . . . صدقت . . . هو اب محب صادق لابنك

قالت لا تصدقي ياسيدتي ان الندامة هي ما لايمكن دخولها على قلب انسان فقد احتملت كثيراً وجنيت كثيراً وآثامي العديدة موجبة لتعويقي [؟] وارهابي فالسلام والراحة لايجدان سبيلاً الى قلبي والدموع الغزيرة لاتمحو خجلي وعاري ومع ذلك فلم اقطع من رحمة الله امـلاً لان ندامتي صادقة حارة

فهزت السيدة ود براسها استهزاء وقالت . حوادث موثرة

قالت من الصعب ان تنهي كلامي لانك سعيدة محاطة باهتمام زوج كريم يجعلك غنية بالك عن الناس لم يصبك والحمد لله شيء من التجارب التي القاني بها الشقاء ولم تشاهدي ابنك يتضور جوعاً على ذراعك ولم تطردي مثلي بخشونة من جميع البشر مرذولة مهانة من الاقارب والاباعد فقد احتملت كل ذلك ولكني الان قادرة على الدفاع والمقاومة حيث ملكت صحتي . اه واسفي ان في الوجود مصايب كثيرين وساعات بأس وتهور عديدة واوقات مصاب تعادل فيها الجريمة الفضيلة . . . الا فاعفي ياسيدتي عن كلامي اذا وجدت فيه محل انتقاد حيث لااقصد به التنقيص من قدر جرائمي او المدافعة عنها بشيء بل المراد ان اعلمك وغيرك ممن لم يقسم لهم نصيب من بلايا الدهر ان الجناية بيت الفقر واوكد لك وانا على يقين من قولي بان الامراة التي تزل قدمها لافتقارها الى عزية تقوى بها على الثبات في ميادين البلاء هي اهلة لان تندم ندامة حقة ولا يستبعد ان تقابل خطاياها من ربها بالصفح

اجاب المستر ود متاثراً والدموع ملء عينيه . ان سعادتي قائمة باستماع مثل هذا الحديث منك ياجاكولين فهو ثمرة خير وجزاء مجيد لي عن كلما اجريته نحوك من حسن المعاملة

قالت السيدة ود مزدرية . ان كان التظاهر بالندامة كافياً لتقديس البشر فالسيدة شبارد تدعى منذ الان بالقديسة الطاهرة النقية ولكن عبثاً نسرد الاقوال اذا لم تقترن بالاعمال

قال ود . اصبت ياحبيبتي في ملاحظتك ولكني اشهد امام الله والناس ان السيدة شبارد سلكت حسناً ومستقيماً بخوف الله مدة الاثنتي عشرة سنة الاخيرة

اجابت . بالطبع . . . ومعاذ الله ان ارتاب بهذه الشهادة المجردة عن كل غرض وعندي ان السيدة شبارد لاتبخسك حقك ايضاً فهي لاتقول عنك الا كل حسن . . . فبحقك صرحي لي

البس ود في اعينك مثال الامانة الصادقة والمحبة الابوية

قالت بلى . . . بلى

اجابت . كذبت . . كذبت فود ظالم بخيل فاسق دني وساعلة منذ الان بحقيقة حالها وقترين ان كان يستطيع دفاعًا ولو تربت جمع النساء بصفاتي لعادت الرجال الى حدودها وسارت ضمن نقطة واجباتها لكننا لانلبث ان شاء الله ان نقرر واجباتنا وحقوقنا فلا يداس منها شيء

ثم التفتت الى السيدة شبارد وقالت . اني لااعينك في جملة من ذكرت من النساء حيث لم اقصد بكلامي الا النساء الشرعيات الفاضلات

قالت السيدة شبارد . ان كان وجودي سببًا لتعكير كاس الصفاء بينك وبين زوجك فالا وفق ان افارق لوندرا وما يجاورها من ان اكون عثرة شرٍّ في سبيل المحسن الي

اجابت حسنًا تفعلين انما ارجوك ان تستصحي ابنك معك ايضًا

فصاحت مرتعشة . ابني

قالت . نعم ابنك فلربما يتيسر لك تربيته بما يحسن سلوكه فيخلو بيتنا من صغير شقي لاياتي عنه الا الشر

فوجهت الارملة الى النجار نظرة المستفهم اللجوج وصاحت احقيق ما تقولة السيدة ود . . . ولدي جاك شرير . . . افدني ياسيدي فاني واثقة بصدقك

اجاب مترددًا . انه لايسير بحسب مشتهاي ولكنه نبيه ولا ينقطع الامل من اصلاحه . . . فقاطعته السيدة ود وقالت لابل كل الامل مقطوع منه فهو ينتقل من شر الى شر واليوم اصحابه قطعة الطرق واللصوص

فصاحت الارملة وقد داخلها الرعب الشديد . اللصوص

قالت . نعم فان رفيقيه المخلصين هما جوناتان و بو بلو

اجابت متألمة . . لا . . لا اصدق

قالت ان كنت لا تصدقيني فاسألي المستر ود بنيك

فاتجهت الارملة الحزينة نحو المستر ود وقالت له قل لي بحقك ياسيدي ان الخبر مختلق مكذوب فيه ان شئت ان لاتحرق فوادي

قال . ياحبذا لو يمكنني تكذيبه

فجمدت لذلك اعينها وخفق قلبها وارتعشت اعضاؤها فسقطت صحفة البيض من يدها وصاحت وقد صفقت يديها صفقة الياس . ولدي رفيق اللصوص . ولدي في قبضة يد جوناتان . . . لا . . . لا . . . فالخبر مكذوب لايقبل التصديق

اجابها السيدة ود بشراسة . ولما تستبعدين صحة الخبر الم يكن زوجك لصاً وجوناثان من اعز اصدقائو فا وجه الغرابة في تجديد روابط الولاء بين جوناثان وابن صديقو

قالت جاكولين . واين ولدي الان

اجابت خرج بدون استئذان والامل ان يعاملة المستر ود عند رجوعو بما يستحق جزاء اليما

وعند ذلك قرع الباب بشدة فصاح المستر ود من هذا اجابت امرأة مرتاعة جوناثان ويلد وهو عائد الينا بفرقة من رجال البوليس وا اسفي انة لايلبث ان يقبض علينا جميعاً فاين الموسيو كيبون الان ياتي لحمايتي

قال المستر ود . ان صح زعمك وكان القادم جوناثان ويلد فالاصوب ان لايكون كيبون حاضراً وعلى كل فاني لااجسر على فتح الباب

قالت الارملة وهل حضر جوناثان ويلد الى هنا . اجابت السيدة ود نعم حضر ومعة بوبلو . واذا قرعة ثانية عنيفة . فصاحت ما العمل باالهي . وبينما كان المستر ود متردداً في الذهاب واذ ظهر رجل في المدشي يخاطب ويتغريد وكانت قد اسرعت من غرفتها وفتحت الباب . فقال لها الرجل هل هنا منزل المستر ود

اجابت . نعم فهل تحمل خبراً من تيمس درايل

قال الرجل (وهو تيري الذي ارسل بخبر سجن تيمس) . ومن اين علمت ذلك

قالت . اجب ماذا اصابة وهل يرجع قريباً

قال . هو محجور عليه في سجن سان جايلس وقد جئت من قبلو لاعلم المستر ود بخبره

وكان المستر ود سامعاً لما دار بينهما من الحديث فخرج مسرعاً و بعد ان وقف من تيري على جميع تفاصيل الحادث دخل الى الغرفة في طلب قبعتو وعصاه واخذت السيدة ود تسالة ايضاح الخبر فقصة عليها وكانت الارملة حاضرة فسقط على راسها ما يحكي الصاعقة القتالة فلم تلفظ بكلمة بل سارت من خلف المستر ود وتيري يطلبون جميعاً سجن سان جايلس و بعد صعوبات كلية وعناء شديد فتح للمستر ود والارملة باب السجن وادخلها شاربل الى قاعة هناك فسالاه عن جاك ريمس فرفض ان يجيبهما بشيء وخرج فاقفل الباب واعلن توقيفهما وكان ينبعث من القاعة المذكورة روائح كريهة صادرة عن التبغ والخمر واللحم والمشروبات القوية التي انفقت فيها لحساب المراكيز مارّ حديثة معنا وقد كومت في احدى الزوايا مطارق وابواب واجراس وعلى مقربة منها بيارق وقناديل وعصي وضعت عليها بدلات انفار الضابطة . وبينما كان المستر ود يقلب النظر في اثاث السجن لاحت من الارملة التفاتة فوجدت رجلاً ممدداً على فراش في الزاوية الثانية وهو مربوط الراس بمنديل مخضب بالدماء وبجانبو رجلان يتكلمان

بصوت منخفض ففهمت من كلامها ان تيمس درايل نقل الى خارج الحين وجاك شبارد لحق بيو بلو الى فندق النقود . وان الرجل المجروح يدعى ابرهيم ماندبز والجارح هو جاك . فعظم الخبر عليها وسارعت الى النجار تخبره بما كان وقد كادت تفقد الصواب . فاكثر المستر ودمن الصياح والصراخ في طلب الاستغاثة فلم يجبه الا رجوع الصدى وكاد يقضي على الارملة المسكينة بين يديه لو لم يدخل عليها شاربل ويرفع اليها خبر اطلاق سبيلها . فعادت السيدة شبارد الى روعها وتقوت لما في نفسها من الخروج الى خلاص ابنها وانطلقت نحو فندق النقود . اما المستر ود فذهب يستدعي معاونة القوة المحلية قبل مقابلة جوناثان ويلد

الدسكرة

اعار الخوف السيدة شبارد اجنحة فطارت بها نحو فندق النقود وما لبثت ان بلغته واخذت تسأل من الناس عن ابنها فعلمت انه وصل اليه منذ بضع ساعات وقد دخل مع رفاقه الى دسكرة مجاورة وكانت الارملة خبيرة بطباع وعوائد رجال تلك الناحية فلم تقدم على الدخول الى قاعة الاجتماع العمومية بل انسلت في ممر مظلم انتهى بها الى غرفة صغيرة يفصلها عن قاعة الاجتماع قاطع من الخشب بنوافذ من الزجاج مغطاة بالستائر فازاحت الستائر بيدها قليلاً بحيث تمكن من مشاهدة ما هو حاصل بجوارها فرات رجلاً عريض الاكتاف وهو بابنهمت كينلي زعيم الناحيه منتصباً على كرسي يخطب في القوم (اللصوص) وهم يدخنون ويثملون وقد وجهوا اليه بكل سمعهم نثال بصوت مرتفع

اني عندما فلدت منصبي الخطير الحاضر كان في الجهة الثانية من نهر التيمس ثلاثة ملاجئ مفتوحة الابواب لقبول المديونين المضطهدين

فضج الجمع باصوات كثيرة . نعم نعم

قال . ففي ذلك الحين جمعتني الاقدار في ليلة غناء بالارشيدوق دالزاس والمرس دي ساقوا والماترابي دي سالسبوري كورت (هي القاب ثلاثة من اشهر زعماء اللصوص) في نفس هذه الدسكرة فصرفناها ليلة قضيت بما يطيب من الافراح والانشراح وبينما كنا نتعاطى اقداح المدام التفت نحوي الارشيدوق وقال كيف تسري احوالكم فقلت على غايةما نشتهي وانتم قال لسنا على ما يرام قلت وكيف ذلك قال ضاعت حقوقنا وتجردنا عن امتيازاتنا فصحت ان ذلك لا يمكن حدوثه قال لا بل امكن وحدث . فداخلني الغضب وقلت ان ما تدعيه مستحيل لا ينطبق على القانون (ضجيج استحسان) قال ان طابق او لم يطابق فالمعلوم المشهور انه حصل ولا تلبث ان تصبح فريسة للظالمين . ثم اتبع هذه العبارة بقوله وهل تعلم ما ينشا عن ذلك من المضار فان جميع الناس لا تلبث ان تدفع ديونها فتامل واحكم باستصير اليه الاحوال . فضربت بيدي على الطاولة وقلت يا حبذا

لم تقتصر الاحوال على هذا الحد . و بعد ان تاملت مليًا قلت عندي لهذا الداء دواء فسالني الثلاثة معًا وماهو هذا الدواء قلت هو الايقاع بجميع ضباط بوليس لوندرا وغيرهم من انفار الضابطة الذين يجاسرون ويدوسون اراضينا . فصاح الثلاثة معًا . فليكن كذلك ورفعوا اقداحهم يشربون بسري و يصوبون ارائي والان قد مضى على هذا الاحتجاج السنون العديدة بدون ان يتحقق شيء من نوايانا ولم يقتل احد من اعدائنا على حين ان رجالنا تساق الى المشانق فيذوقون عذاب الموت امام اعيننا (فصاح الجميع نعم فاين اصحابك الان) فعاد الخطيب الى الكلام فقال . ان من السهل الجواب على هذا السوال فقد ساروا الى العدم ولو سعوا في تحقيق نواياهم واوقعوا في رجال البوليس لما شنقوا وعذبوا ونحن ايضًا لوسعينا بثبات على هذه الخطة لما صارت احوالنا الى مصير وخيم فقد اصدر ضدنا امر دني مغاير للنظام العمومي في ايام تملك غيليوم المغتصب الاخير بما سار بنا الى الخراب والدمار ولكنا عدنا فارجعنا حقوقنا وامتيازاتنا باهتمام واقدام اهالي لوندرا المتقدمين بالغيرة الوطنية (ضجيج استحسان وضحك) فيا اصحابي اني افتخر بالقول ان هذه الاعمال المجهدة تمت بادارتي واهتمامي واود ان نصل الى اليوم المراد حيث يصبح العالم باجمعه مديونًا وتهدم السجون ونتمتع بالحرية المطلقة فنعمل ما نريد ونشتهي بدون معارض او مانع وهو زمن لابد من حلوله انما عليكم يا اخواني لبلوغه ان تتعاضدوا وتتعاونوا وتتكاتفوا وتتكلوا على حماية زعيمكم وقد رايت قبل رجوعي الى محلي ان اعرض عليكم كاسًا لابد ان تقابلوه بالاستصواب وهو كاس الطالب الجديد المنخرط في سلك عصبتنا اعني جاك شبارد فقد كان ابوهُ صديقًا مخلصًا لي وسروري لايقدر لما راه في الابن من الطموح الى تتبع خطوات ابيه فلنشرب يا اخوتي بصحة ونجاح جاك شبارد

فلباه الجميع باصوات الاستحسان وشربوا جميعًا بسر الطالب الجديد وكانت السيدة شبارد قد نظرت من خلال النافذة في الحضور فلمحت ابنها محاطًا بامراتين بازحانه و يلاعبانه وهو نشوان من تعاطي المدام بهيكة النعاس الشديد وقد فتح صدره ونثر ثيابة فلم تمالك الارملة نفسها عن اظهار شعائر حبها فارسلت صوتًا حزينًا موثرًا . وكان الامراتان المذكورتان مجملتين بصفات الحسن لا تتجاوز اصغرها سنًا الحادية عشرة من العمر بديعة التركيب زرقاء العينين باسمة الثغر بانف صغير واسنان لوءلوءية وبشرة بيضاء ناعمة يعلوها شعر اثيث مخصب واسمها ادجوريت يس وقد دققنا في شرح اوصافها لما سيكون لها في سياق الحديث من النفوذ على قلب جاك اما الامراة الثانية واسمها بول ماجوت فكانت من النوع الاماز وني قوية التركيب غليظة الاعضاء بما يقرب كثيرًا من هيئة الرجال ولكنها متعادلة الوضع جميلة الطلعة بما يوءهلها الى استحسان ناظرها وكان بوبلو على مقربة منهم جالسًا على برميل يتتبع باهتمام تقدم جاك في خطة السكر وهو يحث

الامرائين بالنظر على مداومة تقديم الاقداح فلم تقوَ السيدة شبارد على الثبات طويلاً امام هذا المنظر المريع فهرعت الى القاعة وطلبت الى ابنها ان يتبعها

اجاب جاك وقد غربت عيناه . من تكونين ياعزيزتي

قالت . امك فانهض واتبعني

اجاب . امي ثم تاملها وقال لا لا . انظري يابيس من تكون هذه الامراة

اجابت بيس . لااعرفها انما لو فرض انها امك فاصرفها الى بيتها

فصاح بو بلو وقد انتبه الى السيدة شبارد اهلاً وسهلاً بك فاقربي الي واجلسي بجانبي

فسكبت بول ماجوت قدحاً من المسكر وقدمتهُ الى السيدة شبارد وقالت تفضلي واشربي

فصاحت الارملة قم ياولدي ياجاك .. بربك قم

قال . لا .. لا اذهب لاني والحمد لله مشروح الخاطر هنا والاوفق ان تذهبي بدوني

فنادت بصوت حزين . جاك

اجاب . لا لا بل كلني الخاطر وقولي لي يا خواجه شبارد لاني لااسمح بان يحط من قدري فما نادى بجاك كما ناديتني

قالت بيس . يرجح في ظني اني مستثناة من هذا المنع ياحبيبي فيمكني ان اناديك بما احب

. قالت بول ماجوت . وانا ايضاً حيث لااشك بانك تحبني كما تحب بيس

اجاب . كلا فان بيس في المحل الاول من قلبي وانت في المحل الثاني من بعدها وكلتاكما مفضلتان على هذه الامراة (يريد امهُ)

فصفق بو بلو فرحاً . وقال احسنت احسنت

فصاحت الارملة . جاك . ياولدي جاك . مزقت فوادي

فقهقه ضحكاً وقال . ان النساء يتظاهرن غالباً باكثر مما يشعرنَ . اليس كذلك يابيس

اجابت . بلى ولا سيما الامهات منهن

فنظرت الارملة اليها نظرة المتألم المتوجع وصاحت . اه منك يا شقية ما ماج غيظها فحدث نحوها مزبدة متوعدة وقالت اني لااصبر على احتقارك

فصاحت الارملة وقد قبضت على يدي ابنها تشد بها اليها . هلمّ ياولدي اتبعني ياولدي

فسكت بو بيس وقالت . لايذهب ابداً ثم نادت ببول ماجوت ان اسرعي الى مساعدتي فلبتها في الحال بان حملت جاك ورفعتهُ على كتفها وقالت من يستطيع على اخذه مني

اجاب جاك . لااحد فقد اصبحت ولي نفسي فلا احتاج الا مالاً ونساء ... نساء ومالاً .

واراد ان يتم حديثهُ ولكنهُ فقد موازنتهُ فهوى عن اكتاف الامراة وسقط الى الارض لايعي لشدة

سكره . فاندفعت امة عليو ولكنها منعت بقساوة عن الاقتراب منة فاكثرت من الصياح والعويل بدون جدوى لان بو بلو كان قد امر باخراجها من القاعة عنوة

السرقة في هيكل ويليسدين

فهامت الارملة على وجهها تضرب من جهة الى اخرى فيما حول فندق النقود ولا تستطيع اليو دخولاً وزاد اضطرابها لما بلغها من ان جوناتان ويلد زار الدسكرة واختلى بابنها فيها فتغلبت عليها الافكار اشكالاً واعتمدت على الذهاب الى المحتر ود تستشيرهُ في الامر وتستمد مساعدته ولكنها فطنت الى ما تتلقى يتو من سوء المعاملة فعدلت عن عزمها الى غيره مما لم تجد ها نفعاً حيث كانت ممنوعة من الدخول الى فندق النقود ودامت على غير هدى الى صباح اليوم الثاني وكان يوم الاحد فشعرت بالتعب والضعف والتزمت ان تلتجيء الى منزل تستريح فيو فاتخذت البراري طريقاً تقريبة للمسافة وكان الوقت قبل بزوغ الفجر وجدت في السير الى ان خارت قوتها وانحطت همتها فرمت بنفسها على الارض واتخذت الحشيش فراشاً فنامت نوماً عميقاً طويلاً ولدى انتباهها من رقادها تجددت عزيمتها لصفاء السماء وطيب الهواء فان الشمس كانت ترسل اشعتها الحارة الى الارض فتنهض الهمم المتقاعسة والفضاء معطراً بروائح الاعشاب والزهور والطيور تردد نغماتها بكل لحن مطرب غريب فقابلت بين ما يتجلى عليها من مناظر كمالات الطبيعة وبين ما راتهُ في فندق النقود من المشاهد المريعة بما اوهمها انها خارجة من حلم مخيف فبعثت النظر يخترق الاشجار النضرة فلمحت من خلالها قبة كنيسة ويليسدين حيث صرفت فيهِ اياماً عديدة سعيدة فاتجهت الى منزلها وكان عند مدخل القرية وبعد ان سدت فيو رمقها بشيء من الطعام واصلحت اختلال ثيابها سارت الى الهيكل لتقوم بالفرض الواجب عليها نحو الله في يوم الرب . وكانت الكنيسة مزدحمة بالناس فاخترقت السيدة شابارد الصفوف بقدم ثابت سريع وهي تتجنب النظر الى الغير وجلست على مقعد بعيد متر وواذا الموسيو كنيبون على مقربة منها يشير اليها رمزاً وغمزاً وكان قد اتبع منذ امد خطة الغش فلا يصادفها الا ويبادئها باشارات الغرام وعبارات الحب فثقلت عليها اشاراتهُ بما اثر فيها كثيراً ولكن قلبها كان مشتغلاً عنهُ ببلاءٍ اكبر ومصاب اعظم

ولما ابتدأت الصلاة الربانية الا دخل شاب في زهرة العمر وانسل بخفة حتى استقرّ خلف الموسيو كنيبون وكان واقفاً ليظهر للناس اعتدال قامتهِ وجمال طلعتهِ فتاملت السيدة شابارد الشاب الجديد فاذا هو ابنها جاك ولكنها بقيت مترددة في امره الى ان لمحت جوناتان ويلد منتصباً بقرب عمود هناك وقد وجه اليها نظراً شرساً فشعرت كانها سحرت واطرقت براسها الى الارض كانها تطلب فراراً من خطر قريب الا انها عادت فاجابت تطلبات قلبها ورفعت اعينها لتشاهد ابنها وكان الكاهن وقتئذٍ يلفظ الوصايا الالهية وفي جملتها (لا تشتهِ مقتنى غيرك) فنظرت

جوناتان ويلد شاخصاً اليها ولسان حاله يقول لها ان ابنك جاك خالف هذه الوصية الالهية تحت اجنحة هذا الهيكل المقدس فهو لي وتحت سلطاني . فلم تستطع السيدة شبارد الثبات امام هذه الضربة الجديدة الثقيلة فسقطت على وجهها الى الارض وغابت عن الوجود

مسكن جوناتان ويلد

في الساعة الواحدة من الليلة التابعة لوفاة السيدة ترافور ظهر في ناحية سجن نيفكات فارس يمتطي جواداً جموحاً ومن خلفه خادم يتبعه فكبح به الجواد بغتة فهوى الفارس من على ظهره الى الارض وفي الحال هرع رجل من الجهة الثانية من الشارع فانهضه وقال اومل ان لا تكون قد اصبت بجرح يا حضرة السير روفلاند

اجاب . لا والحمد لله يا جوناتان . ثم التفت الى الخادم وقال سر بالجواد الى البيت فما عاد لي حاجة بك

قال جوناتان وكان الخادم قد بعد عنهما . حاذر لنفسك فقد سقطت امام باب السجن المعد للمحكوم عليهم بالاعدام وهي علامة شؤم لا ارضاها لك

اجاب روفلاند متهكماً محتقراً . ما عهدتك يا صاحبي من اهل الخرافات والاعتقادات الباطلة

قال . ان الاعمال لا يتوي بجانبها المكابر على الانكار

اجاب . ما لنا ولهذه التعللات الفارغة فقل لي الان اين ابن شقيقتي

قال على بعد خطوتين من هنا . ثم قص عليه خبر فراره مع جاك شبارد وكيف صادفهما عند ما كانا يحاولان الخروج من الباب الخارجي . الى ان قال . ان هذه الحادثة قد عادت عليّ بالخسران حيث اجلت عن جرح اشهر معاونيّ وهو ابرهيم ماندبز فقد انقطع عن العمل بسبب جراحه وربما يلازم الفراش مدة ثمانية ايام او اكثر ولكني استعضت عنه بخلف ماهر وهو جاك شبارد . . .

فقاطعه السير روفلاند بقوله لا يعنينا ذلك

قال نعم لا يعنيك ولكنه يعنيني كثيراً فاني حلفت يميناً على اعدام جاك شبارد كما حلفت انت على قتل تيمس درايل وساقوم بكلامي . واذ ذاك سمع صوت يقول نعم تقوم بكلامك اذا لم تجد من ساعدي مانعاً ثم تبع ذلك اطلاق البارود وشعر جوناتان بمرور رصاصة بجانبه فصاح عرفتك «يا تيري» فانك لا تنجو من يدي وان تمكنت من الفرار اليوم فلا تقوى عليه غداً ولا بد من ان اقودك ذليلاً الى المشنقة . ثم خاطب السير روفلاند قائلاً ارايت كيف ان الشيطان يقيني من غدر اعدائي

اجاب روفلاند فلنسرع بالدخول الى بيتك لاني متشوق الى رؤية سجينك (تيمس)

قال ان السجين ليس في بيتي

اجاب . فاين هو اذاً

قال في محل يدعى ميزون نوار وهو عبارة عن حانة تحت الارض يتردد اليها ملاحو ورجال مركبي الصغير الذي اخبرتك عنه وقد عهدت بحراسة ابن اختك الى كيلت ارنولد وفان كاليبروك ولا تلبث ان تشاهده بعينك فيها الان معي الى بيتي لنبحث سوية فيما بيننا الحساب ولي اوامر اريد ان اصدرها الى اربابها فاتبعني

وكان مسكن جوناتان ويلد وكيل البوليس السري متمعاً معتماً بفصلة عن الطريق حوش مصان بشبكات حديدية غليظة وهو كثيف الظلام فلا يختلف نهاره عن ليله في شيء بما يوهم الداخل اليه انه في سجن مربع وكان جوناتان يبذل قصارى الجهد في ترويج مظاهر بيته المخيفة فهو محصن النوافذ والابواب مقفر الغرف بما يشبه اقفاص السجون والبواب بلباس سجان يحمل في زناره كثيراً من المفاتيح

وكان داخل البيت كخارجه بجدران عارية بيضاء وارض غارقة بالرطوبة وافرشة ومنافذ بدون ستائر وغرف خالية من المقاعد والموائد ما عدا غرفة الاستقبال وسلالم كبيرة من الحجر تنتهي الى حيث لا يعلم وماشي طويلة تلقي في قلب الناظر رعباً مجهول الاسباب وقد تكاثرت الروايات والاخبار عن هذا المسكن فذهب قوم الى ان الطبقة السفلى منه ماهولة بمزيفي النقود وقال اخرون انه لا يخلو من معابر ممتدة تحت الارض الى سجن نيفكات بما يسهل لجوناتان الاكتشاف على اسرار عظيمة تستنير بها المحاكم في المواد الجزائية الى غير ذلك من الاشاعات التي كان جوناتان ويلد يساعد ويعاون على انتشارها

فتقدم جوناتان ورفيقه الى باب المنزل يقرعه قرعاً معلوماً من البواب ففتح له في الحال وما تسلق السير روفلاند درجتين من السلم الا انقض عليه كلبان عظيما الجثة وهما ينبحان بحمس فلازم الدفاع وكاد يمزق بانيابهما قطعاً لو لم يبادرهما صاحب المنزل بالضرب ويردهما عنه ثم انب البواب على اطلاقهما بدون اذنه وامره بان يحمل الضوء امام ضيفه الى غرفة الاستقبال فمشى البواب يتبعه السير روفلاند في ممشى مظلم انتهى بهما الى الغرفة المذكورة فوطئها واخذ يتامل بها باهتمام على حين كان جوناتان يودي التعليمات المقتضية الى خادمه بصوت منخفض فخيل له انه حمل الى معرض الاثار القديمة لما شاهد في جدرانها من الخزائن الزجاجية والرفارف المحملة بالغرائب فخطى نحوها يحقق كنهها واذا قطع من الاسلحة مخضبة بالدماء وقد كتب على اوراق بجانب كل قطعة منها حوادث القتل التي ارتكبت بها فمن ذلك سكين استعان بها ابن على قتل ابيه ودبوس من الحديد قتلت به امراة من يد رجلها وفاس انفذ به قضاء عظيم وغيرها من الات القتل والعذاب وكلها مفرزة مرتبة بعناية خصوصية فحول بوجهه عنها اشمئزازاً الى نحو جوناتان ويلد

وقد خفق قلبة وارتعدت فرائصة حيث فكر بالخطر وعلم انة سلم نفسة باختياره الى سلطان رجل غادر

وكان جوناثان ويلد في ذلك الحين جادًّا بسرعة نحو الشهرة العظيمة الفظيعة التي بلغ قمتها واملنا ان لا يبلغها بعد الان احد غيره رحمة بعباد الله وتنكيسًا لاعلام الظلم ورفعة لشان العدل وتخفيفًا لويلات الانسانية وللاحتفاظ على ما اعطي من قوة السلطان والنفوذ كان في حاجة الى اجتهاد ثابت وعمل دائم وجسارة مقترنة بالشجاعة وسرعة تصور وتوقد ذكاء وهي صفات استجمعها بكليتها وتفنن بها فبلغ منها المقام الاسمى فهو ممن لا تحولة المصاعب والاخطار عن عزمه وتنفذ ايديه بدون جزع ما يرسم في لوح تصوره لا يرتجي في جنب ذلك صوابًا ولا يخشى عقابًا فيساعد اللصوص على جناياتهم ويشاركهم في كسبهم ويرسل منهم الى المشنقة كل من خالف ارادتة فقسم لوندرا وضواحيها الى احياء ووزع عليها عصابات اللصوص اجواقًا واقام على كل جوق منهم زعيمًا يفعل امره وينفذ غايتة وكان يعهد بالماموريات المهمة الى اناس من الجانين الذين اطلق سبيلهم ولة عليهم ملء السلطة وتوصل اخيرًا الى ما لم يسمع بهِ من قبل ذلك الحين وهو الاتجار في دماء البشر بان هيأ شهود زور يستخدمهم في قضاء شهواتهِ الدنية فيغوي بهم امام الحاكم على اتهام الابرياء الذين يرغب في التخلص منهم فتصدر عليهم احكام الموت جزاء تقيلاً ظالمًا

وشاهد جوناثان ويلد لوائح الجزع على وجه السير روفلاند فاقترب منهُ وقال متبسمًا ان كنت قد استحسنت غرفتي فقد استحسنها من قبلك كثيرون في جملتهم اناس زينت باثارهم ثم اشار الى راس ميت على الرف وقال اه . . . اه . . . من هذه الجمجمة فهي جمجمة توما شبارد ابو جاك شارد ولا بد من وضع جمجمة الابن يومًا بقرب جمجمة ابيهِ

قال روفلاند فلنهتم بعملنا

اجاب امرك

فرمى روفلاند بجزدان من الورق على الطاولة وقال هاك المبلغ الذي طلبتهُ فاحسبهُ فاخرج جوناثان من الجزدان أوراق البنك وعدها ثم سكت برهة وقال اخطأت يا حضرة السير فالمبلغ زائد مائة ليرا

قال احفظها لك

اجاب هي عندي تحت امرك فلنذهب لمقابلة ابن اختك

قال السير روفلاند لي كلمة ارفعها اليك قبل ذهابنا

اجاب قل

قال اريد ان اقف على بعض تفصيلات في شان زوج اختي المعروف بدرايل

اجاب لبيك

قال روفلاند انما بدون عوض جديد

اجاب لايمكنني ولم تسبق لي عادة بذلك ولكني وعدتك بالتساهل في القيمة ولا انكث بوعدي ثم قص الشمعة ودقق نظرًا في الجهات الاربع وقال انا وحدنا هنا يا حضرة السير فيمكننا ان نتبادل سرًا بسر

قال ما فهمت شيئًا

اجاب لا ابخل عليك بالايضاح . فانك مغموس في دسائس الحزب اليعقوبي . . . .

فصاح روفلاند وامصيبتاه

قال وتراسل رؤساء الحزب . . . . .

اجاب روفلاند باي حق يا جوناتان تلقي عليَّ مثل هذا التهم الثقيلة

قال خذ لنفسك صبرًا فلا يفوتك شيء من الحقيقة فانك اذا رفعت اليَّ قائمة باسماء رفقائك في الحزب مع ذكر البراهين الدامغة لاثبات خيانتهم ضمنت لك الامن على حياتك ومالك واطلعتك على درجة واسم زوج اختك اليفه الحقيقي وزدتك عليها افادة مهمة تتعلق باختك قسطنطينة التي فقدت منذ سنين عديدة

فصاح . . اختي قسطنطينة . . تكلم . . ماذا تعلم عنها

قال اذًا قبلت اقتراحاتي

اجاب محتقرًا وهل تظنني مثلك لصًا شقيًا خائنًا

قال لا وانما ظننتك رجلاً يتتبع بالظروف المناسبة لصوالحه فاخطأ ت في ظني وكنت غير مصيب فعفوًا ياسيدي انما اعلم بانه لابد من يوم ولا اظنه بعيدًا تحتاج به هذا السر وتنفق في سبيله الاموال الكثيرة

فتقدم روفلاند نحو الباب وقال هل انت مستعد للذهاب اجاب نعم وتبعه وهو يقول في نفسه ان الحراس المكلفون بتوقيفك مستعدون ايضًا لانفاذ ارادتي فيك وبارح الاثنان المنزل

مغارة الليل

وصل جوناتان ويلد والسير روفلاند بعد سير سكوت سريع دام بضع دقائق الى شارع ضيق ممتد على طول نهر التيمس وكانت شوارع لوندرا في ذلك الحين لاتنار الا فيما قل وندر بما يجعل المارة مشاقًا كثيرة للاهتدا ولكن جوناتان ويلد كان خبيرًا بجميع طرقات ومعابر وخنادق المدينة وعيناه القادحتان تخترقان احجبة الظلام الكثيف بما ينير امامه طريق مسيره فلا يضل ولا يعثر وكان روفلاند مترددًا في مسيره وقد ضلت قدمه فلاحظ جوناتان منه ذلك ومسك بزراعه يقوده الى مدخل ضيق معوج صعب المسالك انتهى بهما الى سلم خطر زلق بصعب

نزولاً في ضوء النهار فضلاً عن ظلام الليل فانحدرا يوبتأن الى ان بلغا باباً صغيراً فحماه بسكوت وانسلا الى داخله ثم اقفلاه من خلفهما بحرس فاذاهما في دهليز يشبه لمداخل المراكب الصغيرة بسقف واطئ يكاد يلطم برؤوس الوقوف محملة مزارق من الخشب وفي احدى زواياه نار مشتعلة احاط بها قوم يصطلون واكثرهم من لصوص الشطوط ومهنتهم محصورة بسلب البضائع من مراكب النهر وفي جملتهم اناس من المساعدين على الغواية بحيث يشترون المسلوب ويودعونه عندهم ونساء من العالقيات يقسمن ويشربن وقد ازدان محفلهن بامراة في الخامسة والثلاثين من العمر بهية الطلعة تدعى بالسيدة سيبرلنك تأهلت باربعة رجال فنقدت ثلاثة منهم شنقاً والرابع حكم عليه بالاعدام مرتين ولكنه نجا بمساعدة جوناتان ويلد الذي سعى في تعيينه بواباً لسجين نيفكات لاغراض لاتخفى على الناقد البصير

وكانت عند دخول الرجلين جالسة بجانب رفاقها فنهضت في الحال لاستقبالهما واخذت بيديهما الى الدائرة المجاورة حيث كان كيلت ارتولد وفان كاليبروك في انتظارها فوقفا اجلالاً لها وخرجت الامرأة الى عملها .

فقدم جوناتان ويلد السير روفلاند الى فان كاليبروك ربان المركب وقال ان حضرة جاء ينتمو يوصيك بابن شقيقته

فانحنى الربان امام السير روفلاند وقال يمكنك ان تتكل عليّ ياسيدي

قال روفلاند واين الغلام

فاشار الربان الى الارض وقال هنا فاتنا بوياكيلت وللحال فتح كيلت باباً لحفرة في الارض ونادى اي ? . ايه . . انت . . انت . . . تعال فانك مطلوب ولما لم يجب احد مد يده واخرج تيس من محجو الجهني مغلول الايدي مصفر الوجه

وصاح به لما لم تجب وتخرج عندما دعوتك ياغمر

اجاب بثبات لاني عالم بما تضمرونه لي

قال ماذا نضمر لك

اجاب تضمرون قتلي لاطاعة اوامر خالي القاسية ثم رفع نظره فاذا السير روفلاند امامه

فصاح بالله اعلمني ماذا حصل لامي

اجاب جوناتان بخشونة ماتت

قال ماتت . . لا . . لا . . فالخبر ليس باكيد وانت تقول ذلك لتخيفني وتنقص من شجاعتي ثم اندفع نحو السير روفلاند وصاح قل لي ياسيدي ان هذا الرجل كاذب . . بربك قل لي ان امي حية وافعل بعد ذلك ما تشاء بي

اجاب روفلاند وقد داخله الهلع ان امك قضيت باولدي

فارتمى تيمس على اقدامه والدموع ملءُ عينيه وصاح . . وواالدتاه . . وحر مصيبتاه . . . اه يا الهي . . احتجبت فما عدت اراها وابتعدت فما عدت اسمع صوتها . . فاسرعوا اليّ واهرقوا دمائي . . عجلوا بارسالي الى امي

قال جوناتان العجلة من الشيطان والتاني من الرحمان

فصاح روفلاند كفى كفى فما عاد لي اقتدار على عمل الشر . . فليطلق سبيله

فدفع جوناتان بالغلام نحو كيلت وقال سدوا فمه وقودوه الى المركب فان السير روفلاند لايلبث ان يشكرني على هذا العصيان

قال تيمس لاحاجة الى سد فمي فاني اعدكم بالسكوت فلا انطق بشيء عن غير ارادتكم فلم يسمع له كيلت بل بادر الى شده بقطعه من الحديد وساقة كخروف بري الى خارج الغرفة والسير روفلاند غارق في عرقه البارد لايبدي اشارة ولا يلفظ كلمة

فخاطب جوناتان ويلد فان كاليبروك بقوله هل مركبك مهيأ السفر

اجاب نعم ولا انتظر الا اوامركم

فدفع اليه رزمة من الورق مغلفة ومختومة وقال هاك اوامري التي يقتضي ان تجري بموجبها فافتحها عندما تصبح في عرض البحر

اجاب فهمت . .

قال جوناتان بما يامر حضرة السير روفلاند هل بانتظارنا هنا او بمرافقتنا الى المركب

اجاب لا بل بمرافقتكم وكان قد سكن جاشه فعاد الى سابق عزمه الشرير

قال فسر اذًا لان الوقت ثمين ثم اتجه نحو الباب والاثنان يتبعانه الى ان بلغوا سطح الارض وساروا من هناك الى رصيف النهر حيث وجدوا ثم كيلت ارنولد في انتظارهم وقد طرح الغلام في قاع القارب فسعى اليه جوناتان وبعد ان تبادل واياه الكلام انطلق كيلت نحو الحانة وانحدر جوناتان ورفاقه الى القارب فاقلع بهم نحو المركب المطلوب

وكان القمر قد ظهر في الافق يطارد جيوش الظلام بما بدد شمل جموعها وشق حجاب سوادها فتجلى عليهم جسر النهر وقد اشرفوا عليه من بعيد فهمس جوناتان في اذن فان كاليبروك وكان ماسكًا للدفة بان يجري بالقارب من تحت القنطرة ففعل وبوصولهم اليها اعترت روفلاند رجفة عصابية

فقال له جوناتان وهو يفخم في كلماته هل تذكر لما حصل منذ اثنتي عشرة سنة في هذا المكان فصاح اذكر والذكرى تقتلني ياجوناتان فعجلوا في التجذيف وتبع ذلك سكوت تام فلم ينه

احب بكلية الى ان لاصق القارب المركب فصعد فان كاليبروك اليها بحبل دلي اليو من اعلاها ثم ارسلت الحبال الى تيمس فربط بها ورفع اليه ايضاً وقبل بلوغ سطح المركب رمق خالة حنقاً وقال ستجمعني واياك الايام

قال جوناتان انما ليس في هذا العالم بل في العالم الاتي ان شاء الله ثم اشار الى فان كاليبروك ان ارفع المرسى ولا يبرح عن بالك ان تستشير اورقك

اجاب الربان وقد ساق امامة تيمس واختفى واياه عن العيان . . امرك ياسيدي

وبعد هنيهة اندفع القارب عائداً من حيث اتى ولدى مقابلتو للشط سارع جوناتان بالنزول واتجه نحو جماعة في جملتهم كيلت ارنولد يمسك جواداً وبجانبو عربة يجرها راسان من الخيل فتبعه روفلاند وقال الحمد لله على فك قيود اسري

اجاب جوناتان ان قيودك لم تفك بعد حيث ما زلت اسيري

فاستحال روفلاند للحال حمامة وتاخر خطوتين الى الوراء وصاح كيف

قال اني اوقفتك بتهمة ارتكابك لخيانة عظيمة ثم حول باليد الواحدة فرده نحو راس روفلاند وقدم له بالثانية رقعة وقال هاك الامر

فصاح وهو يعض اصبعة تشنياً يالك من خائن دني

فنادى جوناتان بالحراس ان اقبضوا على هذا الرجل وسوقوه الى حضرة ويلبول اولاً ثم الى سجن نيفكات فانقضوا عليو كالبواشق وحملوه الى العربة بدون ان يكنوه من الكلام ثم امر كيلت ارنولد بان يحمل الى سجن سان جيليس اوامره بالافراج عن المستر ود وامتطى جواده وانطلق نحو فندق النقود يتفقد احوال جاك شبارد

فرار جاك شبارد من سجن ويليسدين

ان الصوت الذي ارسلته السيدة شبارد في كنيسة قرية ويليسدين عاد على ابنها بالنتائج الوخيمة لان جوناتان وبلد انتفع بما نشأ عنة من الغوغاء والضوضاء ونجا بنفسو من الهيكل اما ابنها جاك فقبض عليو بقرب الباب وكان كنيبون قد شعر بحركة يد خفيفة في ثيابو فتفقد جيبة ولما لم يجد محفظة الاوراق وهي تحتوي على تحارير ومكاتبات خطيرة تتعلق بالدسائس اليعقوبية ايقن باختلاسها ونظر الى ما وراءهُ علة يجد المختلس واذا جاك شبارد مقبوض عليو فعلم انهُ السارق وتاثر قلبة بالغم والكدر لما رأى من صراخ امو وتاثيرات المشهد فتقدم نحو ضابط حضر لفحص المسالة واسمة «جون ريب» فرفع اليو شكواه وطلب منة ان يذهب بالسارق الى المقبرة المجاورة للكنيسة هرباً من تجمع الناس فصادف طلبة قبولاً وسير بجاك الى حيث فتش من فوق الى اسفل بدون ان يظهر اثر لشيء ما ادعي عليو بو فوعده كنيبون باخلاء سبيلو وبجائزة حسنة اذا رد عليو

المفقود او اقر عن شريكه في الجناية فلم يرد مذلك الا اصرارًا على الانكار والتبرء وانتهى بالاحتجاج ضد كل من ينسب اليه مثل هذه الجريمة

ولما عجز كيبون من الوصول الى النتيجة عمد الى اهل القرية يكاشفهم في الخبر فانبأه احدهم انه شاهد رجلاً غريبًا مسرعًا في المسير نحو لوندرا مجردًا عن مظاهر الحشمة والاستقامة فاعتمد الموسيو كيبون على ملاحقته فعهد بجاك شبارد الى الضابط وامتطى جواده وجد في طلبه

وفي اثنا ذلك قرر الضابط بعد مذاكرة قصيرة مع رجال حكومة القرية وجوب الحجر على جاك شبارد في سجن وبعد ذلك سجن اليه صاغرًا وفي طريقه تجلى عليه من مظهر امه ما ازعج نفسه وانتظر لاقلبه حيث كانت مطروحة تحت شجرة صفراء متمالة والنساء من حولها يعتنين بها فتمزق لرؤياها فؤاده وزجره ضميره فاسرع في خطواته تخلصًا من آكدار هذا المشهد الحزن الى ان بلغ السجن وهو بناية صغيرة مستديرة لا يزيد ارتفاعها على ثمانية اقدام بسطح مقبب يدخل اليها بباب متين يولف اعلاه من قضبان حديدية بحيث يشاهد السجين من خارجه فاقفل على جاك شبارد وترك وحده فجلس على الارض وبقي مدة في بحر من التفكر لان تخلي جوناثان وايلد عنه بعد ان اغراه على ارتكاب الجناية وتذكار مشهد امه كانا قد دكا دعائم اقدامه فوقع في الياس وتراكمت عليه التصورات المزعجة بما اثار خاطره فتمدد على مراح السجن وقد اضناه التعب فغرق في لجة من النوم العميق

ولدى انتباهه وجد ان النهار كان قد مضى اكثره ولم يزره احد وقد فعل به الجوع فاطلق نظره يقلبه في زوايا السجن واذا رغيف من الخبز الاسود بجانبه ابريق ماء فزحف اليها وبعد ان اكل وشرب شعر بتجدد قوته فعاودته الشجاعة والاقدام والنشاط واعتمد على النجاة قرارًا فاخذ يفكر في ايجاد السبيل الموصل الى الغاية وكان الباب مكينًا بما لا يقوى على خلعه والحائط ثخينًا بما لا يستطيع ثقبه فحصر امله في السقف ورأى ان من السهل عليه اختراقه اذا تمكن من بلوغه فبدأ يفتش عن المعدات ولمح شوكة قديمة مغطاة بالصدأ فالتقطها واخفاها واذا باب سجنه فتح ودخل الضابط يحمل اليه مونة العشاء فوضعها بجانبه وانصرف فتبعه جاك يتوسل اليه ان ياتيه بقليل من المسكر فلم يجب سؤاله بل خرج واقفل عليه الباب بعنف وسمع بعض الحضور توسلات جاك فعمد الى تلبيته بان اتاه بانيه طويلة مملوءة بالمسكر ودفعها اليه من خلال قضبان الباب الحديدية فتناولها وشرب ما فيها ثم شكر للمحسن اليه جميله وعاد فانطرح على ارض السجن ينتظر قدوم الليل للمباشرة بالعمل على ان كمية المسكر التي ازدردها خانت اماله والقته في نوم طويل فلم ينتبه الا والقمر ... مرسلة اشعة انوارها الى البسيطة فلام نفسه كثيرًا على كسله وهاج غيظه فوثب كظبي فاجئه المطارد وتسلق عوارض الباب الى ان بلغ السقف فاسند رجله الى خرجة

الحائط واستعان بشوكته على فتح خرق واسع فيه كشف عن الاخشاب فكسر بعضها وتمسك باليد الواحدة في الجسر على حين كان يرفع بالثانية القرميد ومامرت دقائق قليلة الا ظهر في السقف نافذة وافية بمراده بحيث يستطيع ان يمر بجسمه منها فهم الى الخروج واذا صوت وقع حوافر ينذر بقدوم خيال ثم وفد خيال اخر ووقف الاثنان تجاه السجن فانكمشت نفس جاك واطرق براسه الى اسفل وهو يحسب انهما من ضباط العدلية ولكنه ما لبث ان سمع صوتيهما وقد قال احدهما الى الاخر اسرع يابو بلو واقتلع الباب قبل ان تدركنا اهالي القرية

فعلم انهما صديقاه واستحال كدره في الحال الى سرور فخرج الى ما فوق السطح وصاح لا حاجة الى تعبكما فقد كسرت قيد اسري بيدي

قال بو بلو من هذا

اجاب -جاك

فصاح جوناتان عوفيت وأبقيت يازينة الشبان

قال بو بلو وربي ان هذا الاقدام لم تر مثله عيني

قال جوناتان وكيف العمل لانزالك ياجاك

اجاب العمل علي ووثب من على السطح الى اسفل فجاء منتصباً امام جوناتان

وقال اذا اريد الحجر على جاك شبارد فليقاله من السجون اقواها وامتنها

قال صدقت فستكون بلاده منزلا على معاني مملكة بريطانيا العظمى . فهيا للمسير

قال بو بلو اعطني يدك ياجاك واركب خلفي فانطلق بك الى لوندرا الان «الدجوريت يس وبول ماجوت» اصبحا لا تصبران على فراقك اما كنيبون فقد انيط امره بجوناتان وبادرنا اعلم منا بما يسر خاطره .

فتبسم جوناتان وقال نعم فهو الان رفيق السير روفلاند يساهره في تجنيه واني منشرح الصدر سلك ياجاك لان محفظة الورق التي اختلستها لي من هذا الشيطان هي حاوية لجميع الاوراق والمراسلات الخطيرة فاركب الان خلف بو بلو ودونكما والطريق

قال جاك اريد ان اشاهد امي قبل ان ابارح هذه القرية

فصاح جوناتان ما هذا الجنون المحفوف بالمخاطر

اجاب عزمت على مشاهدة امي ولا بد من مشاهدتها فتقدماني الى الدسكرة ووافيكما اليها في هذا المساء

قال جوناتان ان كان ولا بد من ارتكاب هذا الجنون فسأسير برفقتك ولا افارقك حالما ثم ترجل عن جواده وسلم عنانه الى بو بلو وامره بان يتقدمهما بتمهل وتبع جاك في طريق ضيق

الى منزل السيدة شبارد وعندما اصبحا على مقربة منهُ

قال جاك وهو يشير الى مسكن صغير تحيط به حديقة صغيرة مزروعة بالورد والقرنفل هاك منزل امي فانتظرني هنا ياجوناتان وعما قليل ساعود اليك اجاب سرفاني بانتظارك

الخير والشر

وبينما كان جاك شبارد يتقدم في الحديقة بقدم ثابت داهمتهُ الافكار تزعجهُ وتصعب عليهِ مواجهة امه لما يترتب عليها من اثارة الاحزان والكروب فوقف صامتاً متردداً بين مداومة الطريق اوالعود على الاعقاب وارسل نظره نحو القرية متنكرًا واذا جوناتان ويلد مستظل بسنديانة عظيمة ينظر متبسماً اليهِ ففهم من ذلك انهُ يهزأ بهِ ويضحك على تردده بما اعاد اليهِ شجاعتهُ واقدامهُ فتقدم بجسارة ودخل المنزل وكان السكوت مخيماً في داخليه فشعر بانقباض في صدره لم يقوَ بجانبه على تخطي عتبة الغرفة التي تقطنها والدتهُ فانتصب عند الباب مرتجفًا ونادى . اماه . واذا صوت مثقل بالدموع يقول من هنا

قال جاك . انا . ابنك ثم انسل الى داخل الغرفة فرفعت طرف الغطاء وصاحت جاك . . في يقظة انا او منام

قال لا ياامي بل في يقظة وقد جئت لاطمنك عن نفسي واودعك

قالت والى اين تريد الذهاب ياجاك

اجاب لا اعلم . . ولكن بقائي في هذه القرية خطر عظيم على حياتي

قالت صدقت فالاوفق ان تبتعد عنها انما بحقك قل لي كيف تسهل لك الفرار . اجلس بجانبي على فراشي وضع يدك بيدي وقص عليّ واقعة الحال

فجلس جاك على طرف الفراش وعانق امهُ بحنوٍ خالطهُ البكاء فشدت الام بايدٍ ملتهبة بنار التلهف على يد ولدها وقالت اه . ياولدي اني كنت بالامس مريضة وكدت اشرف على الموت ولكن لاباس فقط عدني بالامتناع منذ الان عن هذه الحيوة الدنيةالشقية وتجنب معاشرة الاشرار المضلين بك فاصفح لك واباركك . . اه ياولدي . . ياولدي العزيز . . اصغ الى توسلات امك ولا تميتها باوجاعها

اجاب مضى الوقت ولم يبقَ في الوسع ان اتخلص منهم

قالت لا . . لاتقل هكذا ياولدي فالوقت لم يمض عليك بعد بل ما زال في استطاعتك ان تعيش مستقيماً وتكون ابنًا صالحًا فاهرب ياحبيبي من جوناتان ويلد حيث اقسم على اعذابك واسقي انك لا تعلم دسائسهُ ومكائده فاهرب منهُ ياجاك وعد الى المستر ود فيحسن اليك لانهُ كريم النفس شفوق القلب

اجاب لايمكني ان ارجع الى ود

قالت ولماذا ياولدي

فصاح جوناتان ويلد وقد دخل بغتة الى الغرفة . ان ابنك لايستطيع العود الى سيده لانه سرقة فنهضت جالسة على منكبيها مرتاعة مصفرة وصاحت واعينها محدقة بولدها اصحيح ذلك ياجاك

اجاب جوناتان نعم سرقة فانهند ليلتين نزل مع عدد من اللصوص على منزل النجار ود فعرف ابنك من بين رفاقه ثم القى الى السيدة شبارد برقعة مطبوعة وقال طالعي هذه الرقعة فتعلمين تفاصيل الحادث وترين كيف ان الحكومة تعد من يقبض على جاك شبارد بجائزة عظيمة

فغطت الارملة وجهها بيديها الاثنين وصاحت . . الهي . . الهي

قال جوناثان هيا فقد آن وقت الرحيل

فصاحت الارملة لا ياولدي . . ياجاك . . لاتفعل واياك ومرافقة هذا الرجل الشرير

قال جوناتان اذا عصاني القيته في السجن

قالت خير لك ياجاك ان تذهب الى السجن حيث اوافيك واعزيك من ان تتبع هذا الخائن فيزيج بك الى الهاوية

قال جوناتان ما بالك لا تطيعني

فصاحت الارملة اسمع لي ياجاك فان هذا الجاني يسوقك الى خرابك وقد حلف يمينًا على اعدامك كما اعدم من قبلك والدك . . اني اقول الحق واستشهد الله العلي على صحة كلامي

فضحك جوناتان وقال ان شنق ابنك لايكلفني الا كلمة واحدة ومع ذلك فاني لا اعارضة في رايه فهو حر في ارادته يفعل ما يشتهي

قالت الارملة الحمد لله حيث سمعت اقراره فاختر ياجاك بين الخير والشر او بالحري بيني وبين هذا الرجل العاتي وصن بامتناعك عنه حياتك وحياتي

قال جوناتان اصابت امك فاخترين اخف الشرين فخرج للحال جاك مطرقًا بدون ان يفه بكلمة فصاحت امه ودمعة اليأس تخنقها . ذهب . . ذهب

قال جوناتان نعم ذهب وما عدت تريته الى الابد ثم انطلق في اثاره

الزمن الثالث

سنة ١٧٢٤

غارات جاك شبارد

في اواسط شهر ايار من سنة ١٧٢٤ اي بعد مرور تسع سنوات على ماسبق معنا من الحوادث كان يمشي في شارع ويكستر يت شاب جميل الخلق والخلقة وهو يتامل باهتمام فيما يحدق به من المنازل والجدران بما يظهر للناظر اليه انه في شغل شاغل يطلب حقيقة ولا يهتدي اليها ولم يكن له من العمر ما يزيد عن عشرين سنة بقامة معتدلة متناسقة بهية الطلعة تجمع بين لين الانعطاف وقوة التركيب واعين زرق لامعة وهيئة جليلة تشف عن طبع كريم صادق وقد ارخى على اكتافه شعرهُ الاشقر الحريري وتردى بلباس فرنسوي وحزمة طويلة مخرجة بالشرائط وليس في ثيابه ما يستدل منهُ على درجتهِ ولكن مظهر هيئتهِ يترجم عن رفعة شانه وكانت الناس مزدحمة من حوله والنساء تتلفتن اكثر من مرة لرؤياه وهو مشغل بافكاره عنهن فوقف بغتة تجاه منزل قديم رفعت على بابه أرمة تمثل ملاكاً كتبت من تحته هذه العبارة وهي «وليم كيبون تاجر الجوخ» فكان لمنظرها فيه تاثير مزعج تقوى على اخفائه ودخل المنزل يستمد من صاحبه بعض معلومات كان في احتياج اليها

فتقدم الموسيو كيبون بوجه طلق نحو زائره وكان لابساً بحسب الزي الاخير فمن شعر مستعار مدلى على ظهره ومنتشر على اكتافه ومن ربطة بيضاء حزمت بها رقبته بما ضيق عليه التنفس ومن سترة قصيرة بازرار ذهبية ومن حزام احمر وقد حصرت قامته ضمن ثياب ضيقة ملونة وتقلد سيفاً بغمد فضي وتابط بقبعة مخرجة فحيا ضيفهُ وساله بلطف عن حاجته

اجاب الشاب اريد التكلم واخشى ان يكون في جوابك خبر سوء لي فبالله قل لي عما اذا كان صاحب هذا المنزل القديم اعني به المستر وود النجار في قيد الحيوة

فبادره بالجواب وقال ان صاحب هذا المنزل وهو صديقي العزيز المستر وود يتمتع بحيوة هنية وصحة جيدة يندر وجودها في رجل مثلهُ تجاوز الستين من العمر

فتهلل الشاب فرحاً وقال ظننت بحلول مصاب عليه لخلو منزله منهُ

اجاب لا بل حل عليه كل الخير وقد نجح نجاحاً عظيماً فاتسعت تجارته وامطرت عليه السماء ثروة واشترى اسهماً في شركة البحر الجنوبي فعادت عليه بالارباح الباهظة ولم يكن حظي كحظهِ حيث فقدت ثروتي بتمامها واخرتني المضاربات التجارية فاعدت املاك شيئاً والان المستر وود في غنى بمزيد ومنذ ثلاث سنوات بارح هذا المنزل فاستاجرته منهُ او بالحري وهبني اجوره ولولا

عناية هذا الصديق الصادق لما علمت كيف كان مصيري من الشقاء فالمستر ود ياسيدي طيب القلب كريم الاصل وهو اسعد البشر . . لو . . . . . .

فبهت الشاب لهذا التردد وصاح لو . . ماذا

قال لو كانت امرأته جميلة بصفاته

اجاب الشاب ولكني سمعت بانها كانت منذ القديم موضوعاً لحبك

قال . تلك ايام مضت وانقضت ولا سيما بعد ان احسن اليّ زوجها بما جعلني مديوناً له بالجميل

قال الشاب وهل تزوجت ابنتها ويتفريد ود

اجاب . لا ياسيدي أن السيدة ويتفريد لا تحب الزواج ولا تريد ان تقاطع به حيث كانت في طفوليتها تحفظ لغلام ربي في بيتهم واسمه تيس درايل حباً عظيماً وقد فقد الغلام المذكور وجميع الظواهر تدل على موته منذ تسع سنوات وهي متصلبة في رأيها لا ترتضى عنه بديلاً امينة على عهوده حريصة على وداده

اجاب الشاب بصوت يرتعش اضطراباً ان في ذلك لكل العجب

قال نعم فان من الصعب وجود امرأة ثابتة الى هذا الحد ولكن ما قلته لك عن ويتفريد حقيق فقد رفضت ايدي كثيرة معتبرة

اجاب الشاب تكلمت عن غلام ربي في بيت المستر ود ولم تذكر لنا شيئاً عن رفيقه فهل لك ان تاتينا بالصحيح من اخباره

فصاح كيهيون متعجباً تعني جاك شبارد

قال نعم اياه اعني

اجاب يستدل من هيئتك وثيابك انك عشت غريباً عن هذه الديار ولولا ذلك لما وجهت اليّ مثل هذا السؤال فجاك الذي تسأل عنه هو اليوم نكبة انكلترا باسرها فلا حديث عندنا الاحديثه فالنساء اضاعت لاجله النوم والرجال مخافة كالوباء فهو اشهر لص ظهر في بريطانيا العظمى وغاراته معلومة من الجميع وظل حمايته جوناثان ويلد وارف عليه

قال الشاب وهل ما زال الشقي جوناثان ويلد منشئ البوليس السري في دست سلطته

اجاب نعم بل زادت سلطته الى ما لا يتصوره الوهم فهو يتلاعب بالناس والحكومة ولا يجسر احد على مقاومته فمنذ بضع سنوات اي سنة ١٧١٥ في بدء المؤامرات اليعقوبية كان من جنوني ان تهورت في دسائس هذا الحزب فنصب لي جوناثان فخاً دنياً قادني به الى سجن نيفكات ومن العجائب خروجي منه سالماً وقد شكوته الى الحاكم بدعوى اغرائه جاك شبارد على اختلاسي وقدمت

البراهين القوية على صحة كلامي فذهبت شكواي صرخة في وادٍ ولم يسمع لي احد وكان جوناتان المذكور بالاتفاق مع السير روفلاند قد اشتغل تيمس درايل وهو الغلام الذي تبناه المسترود وسلمة الى ربان مركبه وامره ان يلقي بهِ الى البحر فشكاه المسترود الى الحكومة وتوصل الى اثبات هذه الحقائق بالدلايل الواضحة ولكنهُ لم يستفد شيئًا لان العدل في ايامنا فاقد القوة ويقال ان جوناتان مديون بهذه الرعاية الى حماية ويلبول ناظر الضابطة لانهُ باحتياج الى خدامتهِ وقد اوقف بعد ذلك السير روفلاند ايضًا بتهمة ارتكابهِ لخيانة عظمى مدعيًا انهُ من روساء الحزب اليعقوبي ولكنهُ اخلى اخيرًا سبيلهُ بمبلغ عظيم من المال

قال الشاب هل لك ان تزيدنا ايضاحًا عن احوال السير روفلاند

اجاب ان غاية ما اعلمهُ عنهُ هو انهُ انسحب بعد انفشال حزبهِ الى املاكهِ في استونهال بقرب منشستر ومنذ ذلك الحين لم يسمع عنهُ خبر فهو ملازم للعزلة راضٍ بالانفراد فتامل الشاب قليلاً ثم عاد فقال هل لك ان تتكرم عليَّ قبل انصرافي بعنوان محل المسترود

اجاب لبيك فالمسترود يقطن مسكنًا جميلاً في البرية يدعى «دوليس هل» على مقربة من قرية ويلسدين واذا طلبتهُ اليوم تجدهُ في بيتهِ حيث لا يرى في لوندرا الا قليلاً وقد حضر امس لزيارة السيدة شبارد المسكينة في «بيدلام» مستشفى المجانين

فصاح الشاب تعني السيدة شبارد والدة جاك . . . . فهل هي مجنونة

اجاب بحزن نعم ياسيدي فان تصرفات ابنها القتها في هذه الحالة الكئيبة فكادت تموت لدى علمها بسرقة جاك لسيده ود وياحبذا لو ماتت وتخلصت ولم تذق مرارة العذاب فهي لا تتكلم في جنونها الا عن زوجها وابنها وجوناتان ويلد فانها تنسب اليهِ جميع مصائبها وتقول انهُ ينبوع الامها واوجاعها ولطالما تشفقت عليها من صميم الفؤاد اما المسترود فلا يقتصر على التشفق بل يحسن اليها بما تصل اليهِ اليد وقد قال لي اكثر من مرة انهُ لولا امرأته لاتى بها الى بيتهِ فمثل هذا الرجل يدعى بالمحسن ويحمد على اعمالهِ

فبقي الشاب صامتًا ومسح بمنديلهِ دمعة تترقرق على خده ثم استأذن بالانصراف فاوقفهُ الموسيو كنيبون وقال هل يسمح لي سيدي بمعرفة اسمهِ

وقبل ان تمكن الفرصة الشاب من الجواب على هذا السوال فتح الباب ودخلت امراة تمتاز عن غيرها بجمال طلعتها وعظمة تركيب اعضائها فدنت بدلال من كنيبون ثم اشارت بالتحية الى الشاب الغريب وقد نظرت اليهِ نظرًا معنويًا يحتمل التعليل

فخجل لذلك الموسيو كنيبون وقال الا تريني في شغل شاغل مع الخواجه ياعزيزتي ماجوت

قالت ومن يكون هذا الخواجه وما اسمهُ

اجاب لااعرفهُ فهو غريب عن انكلترا

فتاملت بول ماجوت الشاب بعين الرضا . وقالت يا لله ما اجملهُ وما الطفهُ

فاحمر الموسيو كيبون حياء وصاح ما هذه الثقة يا بول وكيف تجسرين على ايراد مثل هذه الالفاظ بحضوري

قالت ان ارتباطي معك لا يفيد امتناعي عن النظر الى الغير ولاسيما مثل هذا الشاب الجميل

قال ما دام هذا مكانك من الادب فخير لك ان نتفارق فاخرجي من منزلي

اجابت احفظ اوامرك لنفسك فلا تصدرها الا الى من يطيعك ولا تطمع مني بانقياد اعمى كانقياد السيدة ود

فصاح كيبون اخرجي حالاً والا عاملتك بما تستحقين

فقهقهت ضحكًا وقالت ثم بكلامك ان كنت رجلاً

فاستشاط غضبًا وقبض على يدها يريد اخراجها عنوة فذهبت اجهاداتهُ عبثًا فعادت عليهِ بالخزي اذ دفعتهُ بقوة فسقط مدحورًا الى الوراء ووطئ بشدة المائدة فتبسمت وصاحت هاك امثولة جديدة فاحفظها ولا تعود فترفع عليَّ يدًا حيث كان الاولى بك ان تذكر يومًا خلصتك بهِ من ايدي اربعة من انفار الضابطة يوسعونك ضربًا وكل منهم قادر على سوقك ذليلاً الى سجنك مما كان سببًا في ارتباطي معك

فنهض كيبون وقال بربك عودي الى عقلك

قالت لا . لا . اني تعبة من رافقتك وقد عولت منذ الان على الرجوع الى مصاحبة حبيبي جاك شبارد فهو خير لي منك . واذا تنازل هذا الشاب الغريب الى قبول مصادقتي خرجت برفقتهِ

قال اذهبي الى حيث تختارين انما لا اظن الخواجه يرضى بصاحبتك وقد شاهد من اعمالك ما يستدل منهُ على صفاتك

فرمقت الشاب تسحره بالحاظها وقالت لا تصدقهُ يا سيدي فهو كاذب يريد لي شرًا وستجد مني امرأة مطيعة تدفع عنك غارة الاعداء عند الحاجة ولا تخالفك في شيء وسل عني جاك شبارد فينبئك صدقًا

فاعتذر لها الشاب عن رفضهِ لطلبها وشكر للموسيو كيبون معروفهُ وجميلهُ وخرج فاتخذ لهُ جوادًا وانطلق الى حيث يقطن المستر ود وبينما كان مجدًا في طريقهِ متحيرًا في افكاره واذا خيالان مرّا بجانبهِ ووقفا سوية على بعد بعض خطوات منهُ وكان الواحد منهما قوي البنية شديد السمرة قبيح الهيئة والثاني شابًا في الواحدة والعشرين من العمر مرتديًا بثوب خيال من الجوخ الاحمر بصدار ازرق مزركش بشرائط عريضة من الذهب وصدرية من الحرير الاخضر مطرزة بالفضة

وقبعة يعلوها ريش مائلة الى اذنه وهو صغير القامة رقيقها حسن التركيب قصير الشعر ووجهه المصفر يزيده في رونق وبهاء عيناه الكبيرتين اللامعتين وفي الحال عرف الشابان بعضهما



جاك شبارد

وعمد الشاب الجديد الى مقاتلة الآخر ولكنه عدل عن عزمه بغتة فاشار اليه بان يتبعه وانقلب راجعاً مع رفيقه وقد ساقا جواديهما فسرعا بما يحكي سرعة البرق ولم يدع الشاب الغريب من خلفهما

يتبع اثارها وكان جواده دون جواديهما في سرعة العدو فقصر عن لحاقهما و بقي متابعًا لها سطره الى ان احتجبا عنه على مسافة قريبة من قرية و يلسيدين ولدى وصوليه اليها سال جماعة من الفلاحين عن منزل المستر ود فاشار احدهم الى رابية عالية تحدق بها الاحراش من كل الجوانب على بعد ميل من القرية وقال هاك منزل المستر ود بجهة عنا الحرش العظيم الذي تراه امامك

فشكر الشاب الفلاح وجد في طريقه واذا فلاح اخر يقول له بجفلك مهلاً واخبرني هل سمعت في زمانك شيئًا عن صانع المستر ود الشهير

فسأله الشاب واي صانع تريد

قال اريد جاك شارد الذي ملأ صيته الافاق فان امه جاورتنا في هذه القرية زمنًا مديدًا ولكن اعمال ابنها القتها في الجنون فنقلت الى المستشفى

قال فلاح ثان لم يقسم لي الحظ بمشاهدة جاك شارد في حياتي ولكني سمعت عنه كثيرًا ووصف بحضوري عدة مرار فرسمت صورته في ذهني ومن المؤكد الثابت انه هو عين الشاب الذي تطرقه الان يترجل عن جواده في فندق سيكلوش

قال ثالث ان كان قولك صحيحًا فهيا نقبض عليه ونقسم فيما بيننا الجائزة الثمينة التي اعلنت الحكومة اداءها الثمن بوقفة

قال اخر . ما كل ما يتمنى المرء يدركه فجاك شارد شجاع باسل لا يكترث به ولا يقدم على خطر ايذائه الا الجاهل الاحمق فهو مدجج بالسلاح الى اسنانه وبعضه في العالم لص عجيب لا يختلف في شيء عن الشيطان اما لدى طريقة خير سا ل بها المامول . . . . . وكان الشاب قد تقدم في سيره فلم يسمع تتمة الحديث بل اكتفى منه بالقليل ومر بطريقه بقرب فندق سيكلوش فنظر جوادين مسرجين يقودهما غلام صغير وهما الجوادان الذين صادفهما على الطريق . فتبيان في ساحة الفندق الداخلية فلم يوافهما الى محل وجودهما بل اقتصر على كتابة تذكرة ارسلها اليهما وقد ضمنها الكلمات الاتية . عرفتما من اهالي القرية فالحذار لا تمسكا . ثم ساق جواده نحو الرابية فبلغها في بضع دقائق وكشف له المنزل فقصده وكان الوقت مساء والمستر ود المذكور جالسًا على مصطبة في مدخل الممر الموصل الى المسكن وقد تغيرت هيئته بكرور الزمان فانحنى ظهره وتجعد وجهه وضعف نظره ولكنه كان جيد الصحة طلق الوجه فرحه وشعر متقدم خيال منه فنهض واقفًا وللحال بادره الشاب بالكلام وقال اذا لم يخطئ نظري اكون الان بحضرة صاحب المنزل متشرفًا بتحيته

اجاب اصبت يا سيدي فانا اوفان ود صاحب المنزل ومستعد لاتمام ارادتك

قال الظاهر انك لم تعرفني بعد

اجاب . لا . لان نظري ضعف كثيرًا عن السابق فاصبح لا يعينني على تحقيق الاشباه لاول نظرة وفضلاً عن ذلك فالوقت ظلام

فترجل الشاب عن جواده وقال لا تلبث ان تعرفني فاني حامل لك رسالة من صديق قديم

قال مرحبًا بك أيًا كنت ثم نادى خادمًا له يدعى جيمس وقال له سر بهذا الجواد الى الاصطبل واحسن رعايته وتقدم بضيفه نحو المنزل فدخل به حديقة تظللها الاشجار والزهور وتسلق واياه سلمًا عريضًا متسعًا انتهى بهما الى قاعة المحادثة حيث وجدافيها السيدة ود وبجانبها فتاة بديعة الجمال فقدمها ود الى ضيفه الجديد وقال هاك امرأتي وابنتي

فتأملت السيدة ود في هيئة الشاب وخطراته وكانت لا تزال تحفظ للظرفاء من الشبان انعطافًا خصوصيًا فبالغت في اكرامه واحترامه اما الابنة فلم تخرج عن خطة الاعتدال في سلامها

ثم جلس الجميع فقال المستر ود ان حضرة الخواجه يحمل الينا رسالة من صديق قديم

فسألت السيدة ود . . ومن

قال الشاب من صديق لربما يكون قد نسي منكم لتقادم عهد الفراق بينكم اما هو فلا ينسى الى الابد احسانكم ومكارمكم

ولدى سماع ويتفريد لصوته علاها الاصفرار فارخت من يدها منديلاً كانت تطرزه ونظرت اليه جامدة فتقدم لها ذخيرة وقال اسمحي لي بان ارد اليك تذكارًا اخذ منك وكان تعزية كبرى لآخذه في شدايده . . . هل تذكرينه

فصاحت الفتاة وارباه

قال ود متعجبًا ماذا الذي اراه

فارتمى الشاب عليه يقبل يده ويبللها بدموعه وقال قد تغيرت كثيرًا يا ابي فلم تعد تعرفني

فخنقت انفجار الدموع وصاح . . انت ولدي انت تيمس درايل

فصاحت السيدة ود . تيمس درايل انت

اجابت الفتاة وقد القت بنفسها على اخيها الضمة اليها بذراعيها نعم هو . . نعم هو . . اخي . . اخي

فصاح المستر ود تعال اليّ يا ولدي . . يا حبيبي تيمس لاعانقك

قالت السيدة ود لا بل اليّ اولاً . . الى احضاني يا تيمس . . الى احضاني

ويصعب علينا هنا استيفاء الشرح عما ابدت السيدة ود من الملاطفة لتيمس درايل وما وجهته اليه من السؤالات التي لا تعد وما ظهر على ويتفريد من مظاهر الانسلاب باخيها وداخل قلب ود من الفرح المزيد برؤيا ابنه فبدا يقفز كالاطفال فيما حول الغرفة مكررًا قوله ولدي . . ولدي ثم مد الطعام من كل شكل فاخر ودارت قناني النبيذ الجيد وكانت القلوب طافحة

بالافراح بما لا تسع معهُ طعامًا وتيس درايل جالسًا بقرب وبتغريد وقد وضع يدهُ بيدها واخذ يقص عليهم سياق خبره . ونحن نورده للقراء ملخصًا بما صورتهُ

زج فان كاليبروك بتيس درايل من على ظهر المركب طبقًا لاوامر جوناثان ويلد الى قاع البحر فكاد يختنق بالمياه لو لم يداركهُ صياد فرنسوي فينتشلهُ من عباب الامواج ويضعهُ في قاربهِ الصغير ويتجه بهِ الى اوستاند وهناك اجهد النفس عبثًا في طلب مراسلة اصحابهِ في انكلترا واحتمل المصائب والمشاق الكثيرة ثم قيد بظروف غير عادية الى باريس وقدم الى الكردينال ديبواس فاتخذه كاتمًا لسره ودام سنينًا عديدة في هذه الخطة الى ان نظره فيليب دورليان فادخلهُ في سلك الضباط وبقي في هذا السلك مستظلاً بحمايتهِ الى ان مات فاستعفى من خدامتهِ وعاد الى انكلترا

وكانت وبتغريد تسمع الخبر . وقد سالت من اعينها دموع الفرح والحب لتترجم عن شعائر الوداد الصادق ثم فاضت بعد ذلك المكالمة في شان رفيق تيس درايل في طفوليتهِ وصبوتهِ وهو جاك شبارد فلم يسع المستر ود اخفاء اسفهِ وكدره لمصاب الام الناتج عن سوء اعمال الابن

فقالت السيدة ود ان ما تراه من مصابها كان منتظر الحلول منذ زمن قديم فلم اتعجب منهُ وانما العجب ان يهل ابنها بدون ان يشنق الى هذا اليوم وعندي ان امهُ مصابة بما تستحق ولا وجه للتشفق عليها

فصاحت الصبية ما هذا الحقد يا امي

اجابت اني ابغض السيدة شبارد بغضًا شديدًا وما زلت للان اقول ولا اخشى في كلمة الحق لومة لائم بانها مستحقة لما نابها من المصاب

قال المستر ود . بالله لا تكوني صخرية الفؤاد بل اشفقي واصفحي

اجابت ان فشارك لا ينتهي طول العمر فقد صفحت كثيرًا وتشفقت كثيرًا وما برحت للان الوم نفسي لتقاعدي عن شنق جاك شبارد بعد سرقتهِ لنا في ويكستريت ولربما تدعو هذا التهامل بالاحسان والشفقة والصحيح انهُ ضعف مقرون بالجبن فانظر يا حضرة المستر ماذا كان جزاؤنا عن الصفح واي لص نجينا من المشنقة لخراب العباد

قالت الصبية الامل بالله يا امي ان يعود جاك عن شروره ويندم عن هفواتهِ

اجابت . انهُ لا يندم الا في تربين (محل المشنقة) وخذي كلامي نبوة صادقة لا تلبث ان تتحقق بالعمل

واراد تيس درايل عدة مرار ان ياتي على ذكر لقياه بجاك في الطريق ولكنهُ احجم عن الكلام بما راه من حدة السيدة شبارد وطلب المستر ود الى تيس ان لا يبرم عملاً قبل ان يطلع على افكاره ويستفيد بمشوراتهِ ما اجل ايضاحه الى اليوم التالي لان وقت النوم كان قد ازف فتبادلوا تحيات

الوداع وقبل الافتراق اقبلت السيدة ودخوتيمس تقبله وفي تقول الى الغد . .الى الغد يا ولدي الفادي اشياء كثيرة اريد ان اقصها عليك ولكن وا اسفاه ان الغد كان بعيداً عنها فقد كتب لها ان لا تراه

ثم صعد المسترود تيمس الى غرفته يدلة عليها وانصرف وبقي الشاب وحده متأملاً فنعمر من قلبه بخفقان السرور لدى مشاهدته لصورته معلقة على الجدار وهي منسوخة عن الرسم الذي خطته وبتغريد يدها منذ تسع سنوات عاجد د في فؤاده الذكرى فظهرت دموع الفرح في عينيه وعند ما اسند راسه الى وسادته تذكر مقابلته لجاك شبارد فزجره ضميره لتقاعده عن تنبيه المسترود الى ذلك وتحذيراً من مكيدة يضمرها له الغيب واتسع عليه مجال القلق الى حد ان نهض من رقاده واعتمد على مداركة ما فات من قصوره وبينما كان مهتماً بفتح الباب انثلت عليه شكوكه وقال في نفسه ان جاك لا يقدم على مثل هذه الجناية فيعاود سرقة سيده المحسن الى حياته فرجع الى فراشه مطمئناً واكتفى بان وضع سلاحه تحت وسادته تهياً لما ربما يطرأ من الحوادث ونام مرتاح البال ساكن الخاطر

ليلة مخيفة

كانت تحسبات ومخاوف تيمس درايل صحيحة الاساس والخطر الذي توهمه قريباً منه بل وعلى الابواب فان جاك شبارد لدى تلاوته للتذكرة المرسلة اليه من تيمس درايل اندفع مع رفيقه الى خارج القرية وتوغل واياه في الحرش المحدق بمنزل المسترود حيث وجدا من ظلمة الليل الحالك معيناً لهما على انفاذ مقاصدهما الشريرة فانتظرا الى ان تقدم الليل وارخى سدوله الكثيف وانحدرا الى المنزل وبوصولهما الى حائط الجينة وقف جاك شارد بغتة وقال يخاطب رفيقه بصوت منخفض لا اقوى على ارتكاب هذه الجناية يا بوبلو فاني في حاجة الى القلب فلنرجع على الاعتاب

اجاب بوبلو وماذا يقول عنا جوناتان ويلد يا حضرة القبطان اذا عدنا اليه صفر اليدين وانت تعلم حرصه على انفاذ هذه المهمة وكيف تكون عاقبتنا لارادته خطراً علينا

قال جاك ماذا يضرني ان تكدر جوناتان ويلد او رضي فان جميع رفاقي يخافون هذا الرجل اما انا فلا اخافه مطلقاً فهو لا يستطيع مخاصمتي وويل بل الف ويل له اذا تجاسر يوماً على اهاجة غضبي والان اردد لك القول بان ضميري لا يطاوعني على انفاذ هذه الخطة

اجاب افعل ما تراه حسناً يا حضرة القبطان فاني طوع امرك ولكني عالم بما ستقوله ادجورث بيس عنك مما لا ارضاه لك اذا رجعت من هذه الرحلة فارغ اليد

قال وماذا تقول

اجاب . تقول انا جزعنا فاحجمنا عن العمل خوفاً . . ولكن ما لنا ولها فلتقل ما شاءت فان

كلامها لا يهمنا . فاثرت هذه الملاحظة تاثيراً عظيماً في جاك شبارد فقال لا بل يهمني كثيراً . . فهيا الى النهاية

قال . صدقت يا حضرة القبطان فقد وعدت جوناثان ويلد والحرمطالب بوعده

اجاب . نعم وعدته وسأقوم بوعدي فان جاك شبارد وان كان لصاً لا يرجع بكلامه

قال نطقت بالحق والناس مجمعة على صدقك

اجاب جاك بصوت الآمر انما لي كلمة اقولها لك قبل العمل وهي اياك والحدة ففي الدار انسان لا اسمح بتكديره ولو مهما حصل

قال تريد ابنة المسترود

اجاب . نعم هي

قال وما رايك في من ينشلها لك يا حضرة القبطان

اجاب . لا . . لا . . لا اريد ذلك وانما ان شئت ان تقدم للمسترود خدمة تشكر عليها فانتشل امرأته

قال . معاذ الله ولكن الويل لها اذا صادفتها في طريقي

اجاب . هل نسيت اوامري فقد قلت لك وما زلت اردد القول اياك والحدة ثم ترجلا عن جواديهما وربطاها في شجرة وتقدما نحو المنزل وكان الظلام حالكاً بما لا يمكن من التمييز بين الاشباه وبعد مسير قليل نظرا ضوءاً من خلال النوافذ فتسلقا حائط الجنينة وتقدما الى اسفل المسكن حيث اخذ جاك شبارد من رفيقه الآلات اللازمة وبدا يعالج نافذة ففتحت واندفع الاثنان منها الى الداخل فاشعل بو بلو قنديله وعمدا الى مكاشفة الغرف فوجدا الباب الخارجي مقفلاً فاقتلعا قفله وجردا ارجلهما من الاحذية وتسلقا السلم حفاة فانطلق جاك الى باب غرفة تيمس درايل يتجسس اخباره ولما تاكد نومه اقفل عليه الباب من الخارج واتجه نحو غرفة المسترود وكان بابها مقفلاً من الداخل والمفتاح منسياً فيه فثقب في احد الواحه خرقاً استخلص منه المفتاح ثم فتح الباب وستر وجهه بكريشة سوداء وانسل الى الغرفة وهو يحمل في اليد الواحدة قنديلاً وفي الثانية فرداً فوجد الزوجين نائمين في فراشهما وقد علت اصوات شخيرها وللحال سلم القنديل الى بو بلو واخذ يعالج باب الخزانة فصادف حظ غيره من الابواب وبينما كان يملا جيوبه بالموجود من الذهب والفضة والجوهرات كان بو بلو يجمع اواني البيت الفضية فوضعا المسلوب في كيس كبير وخرجا يطلبان السلم واذ سمعت صيحة في المنزل واندفعت السيدة ود في اثر السارق وكان بو بلو مؤخراً يحمله عن رفيقه فاطفأ جاك القنديل وامره بان يسرع ويتبعه ولكن السيدة ود كانت قد ادركته فتمسكت بالكيس وصاحت النجدة . . النجدة . . ولم يهن على

السارق المخلي عن المسلوب فاستل سكينة وصاح بها اتركيني والا قتلتك فجددت السيدة ود الصياح . اللصوص . . اللصوص . . القتلة . . القتلة . . القتلة

فصاح جاك دعها يا بو بلو وهيا للفرار ولكن الامر جاء متأخراً الان بو بلو كان قد سبق فاغمد سكينة في مقتلها

وكان اهالي المنزل قد انتبهوا على صوت الصياح وفي جملتهم تيمس درايل فتقلد سلاحه وهرع الى الباب فوجده مقفلاً و بعد تعب مزيد تمكن من خلعو واذا الخدم قد اقبلت والمشاعل في ايديها فكشف ضوءها عن السيدة ود ممددة على الارض وهي مخضبة بدمائها وبقربها ويتغريد بين ذراعي امراتون مغشياً عليها والمسترود ستصاً وقد جمد انسان عينيو من الخوف واسدل يديو الى الارض لا يستطيع حراكاً

جاك شبارد وجوناتان ويلد

بعد مرور ساعة من الزمان على الفاجعة المخيفة التي سبق ايرادها زار جاك شبارد و بو بلو جوناتان ويلد في منزلهِ وكان الوقت اواخر الليل فوجداه في قاعة الاستقبال مكبًا على ضبط حساباتهِ ومطالعة سجلاتهِ ولدى دخولهما عليهِ القى بقلمهِ الى الارض ونقدم نحو جاك متبسماً وقال جئت على حين كنت افتكر بك يا جاك . . فماذا جد عليك . . هل ذهبت الى دوليس هيل . وهل نجح مسعاك

فجلس جاك حزينًا على كرسي وقال لا . لم انجح

فصاح جوناتان وكيف ذلك . . ان مما لا يحتمل التصديق ان يسمع عن جاك شبارد مثل هذا الفشل

قال لا بل مرادي ان اعلمك بان نجاحي زاد في المعنى حتى نقص

اجاب اني لا افهم الغازاً فاوضح عباراتك

فاشار الى كيس مملوء بالذهب وضعه على المائدة وقال ان هذا الكيس يتكلم عني فاسأله ينبيك بما كلفنا من الدماء

اجاب جوناتان بسكون . . ماذا تعني بكلامك . فهل ذبحت المسترود

قال لا . . ولو ارتكبت مثل هذه الجريمة لما وجدتني في بيتك ولكن الدماء التي سفكت هي دماء امرأتو

قال بو بلو اني اجبرت على قتلها حيث بادئتني بالشر فالتزمت ان ادافع عن نفسي

اجاب جاك بخشونة كيف كان الحال فقد قطعت يا بو بلو منذ الان كل علاقة بيننا لانك خنتني وعصيت اوامري فنغصت باعتدائك عيشي

قال . لا . . لا اظنك تفعل ذلك يا حضرة القبطان فانت احلم من ان تخلى عن مريك لاشكاوى امراة تعمدت فضيحتنا واذيتنا

اجاب جاك كل شيء حسم بيننا وفي هذه الليلة افارقك يا بوبلو الى الابد

فصاح ولكني لا اتركك ابداً فاني احبك كولدي وساتبعك الى حيث تذهب ككلب ولا يمكنك ان تطردني . . لا . . لا . . مطلقاً

قال جوناتان اني اوافق جاك على استقباح عملك يا بوبلو ولكني لا اعدم سبيلاً للاصلاح بينكما اما الان فالانسب لكما ان تختفيا عن العيان وها كما منزلي اقدمه لكما ملجاء امينا

قال جاك لا حاجة لي بعد في منزلك فاني تعب من اثقال هذه العيشة الشنيعة المحفوفة بالمخاطر وقد اعتمدت ان امتنع عن عمل الشر واسافر الى بلاد اجنبية

قال بوبلو وانا لا اتاخر عن ان الحق بك يا حضرة القبطان

قال جوناتان يقتضي ان تعلما بانكما لا تستطيعان مبارحة انكلترا بدون اذني

اجاب جاك كيف . . هل في نيتك ان تعارض في سفري

قال قلت وما زلت اكرر القول بانكما لا تبارحان انكلترا بدون اذني ومن الان احذر عليكما الامتناع عن مهنتكما او السفر الى بلاد اجنبية فانكما ترغبان في ان تعيشا باستقامة لا اسمح لكما بها فانتما عبداي ومن واجبات العبد اطاعة مولاه

فصاح جاك عبداك

قال جوناتان نعم وسابعث بك الى المشنقة لاول اشارة يستدل منها على عصيانك

فنهض جاك واقفاً وهو يزبد غيظاً كالنمر المجروح وصاح اسمع لي يا جوناتان فقد آن اوان اطلاعك على الحقائق فتعلم مع من تتكلم فاني منذ الان اخلع نيرك الثقيل واكسر سلاسل قيودك التي كبلتني بها ولا اعرف لك حقاً عليّ والويل لك اذا حاولت مضرتي لانك تحت سلطاني وجاك شبارد يزعزع اركان جوناتان ويلد

فصاح بوبلو احسنت احسنت وتبسم جوناتان بما يشف عن احتقاره فعاد جاك الى اتمام حديثه وقال انما بشرط واحد يا جوناتان يضمن عدم انفصام عرى ارتباطنا

اجاب متهكماً صرح بشرطك ان حسن لديك يا حضرة القبطان

قال ان الشاب الذي عهدت بوفيا سالف الى فان كالي روك اي تيمس درايل عاد الى لوندرا

فصاح جوناتان كذب . . كذب . . لان تيمس درايل مات

قال جاك لا بل ما زال حياً وقد نظرته بعيني وانا عالم بانك قادر على تقريره في حقوقه فاذا فعلت ذلك نذرت لك الطاعة الى الابد فاجب الان هل تتمم رغائبي

اجاب جوناتان حقيقما تقوله ....

فقاطع جاك حديثة وصاح بو اجب نعم اولا .. نعم اولا

اجاب جوناتان بصوت عنيف انك لامحالة فاقد للشعور فقد استخففت بي وسوف تشعر بثقل ساعدي فاني حلفت يمينًا بامانتك شنقًا وما امهلتك الى الان الا اعتبارًا لخدامانك التي قدمتها لي ولا بد من انفاذ اليمين وتاخير العمل لم يكن الا على سبيل التأجيل

قال جاك على سبيل التاجيل

اجاب نعم ولكنك جئت الى منزلي بجاذبي وسامهلك الى ان تخرج منه حرا وازيدك على ذلك ساعة ايضًا ارسل في نهايتها رسلي من خلفك يجدون في اثارك

قال جاك انك لا تستطيع معارضتي في سيري فاحتفظ امهالك لنفسك وثق باني لااختفي من وجه رجالك

اجاب جوناتان وهو ينظر الى ساعتو اني امهلك ساعة .. ساعة واحدة . فكن على بصيرة

قال تجدني بعد ساعة في دسكرة النقود

فصعب بو بلو فردهوقال . هل تريد باحضرة القبطان ان احسم بينكما هذا المشكل اجابة لا تتعب ضميرك في ذلك فهو لايجسر على انفاذ تهديداتو وخرج من القاعة فصعد بو بلو الى لحاقو فنادى جوناتان بو انصح لك ان لاتقاوم سلطتي

قال سافعل كما يفعل سيدي القبطان

وبعد هذه المواجهة بقليل وصل جاك الى دسكرة النقود وكانت ارجوت بيس بانتظاره فقدمت له الطعام وبعد أن أكلا سوية دخلت عليها فرقة من الضابطة يتقدمها كيلت ارنولد وابرهيم ماندبتر فسلم لها جاك عن طيبة خاطر بدون ان يبدي أدنى مقاومة ولجأ بو بلو الى سلاحه يريد الدفاع عن سيده ولكنه امتنع عن العمل باشارة وجهت اليه منه فركض مسرعًا الى خارج الدسكرة وكان جاك قد اقترن من ادجورت بيس فقبض عليها معه وسيق الاثنان الى سجن كلير كانويل الجديد

فرار جاك من سجن كلير كانويل

راى سجان السجن الجديد لما يعهده في جاك شبارد من القوة والعتوان يحجر عليه في غرفة صغيرة تعرف لمزيد حصانتها بغرفة نيفكات ويكبله بالسلاسل الحديدية الثقيلة وكانت الغرفة المذكورة لاتزيد عن عشرة اقدام في الطول وخمسة في العرض وارتفاعها اثنى عشر قدمًا وعلى مقربة من السقف نوافذ مصانة بقواطع من خشب السنديان وقضبان ضخمة من الحديد ولزيادة الحرص ربط السجون بسلسلة حديدية لايجاوز طولها حدود سجنه ووضعت معه ادجورت بيس امراتة

تقاسمه في العناء والشقاء وكانت سمات التجلد وعدم الاهتمام المقرونة بظاهر اللطف تلوح على وجهه بما اكسبه رضاء حراسه عنه فكانوا لا يمنعون عنه شيئاً ما تحبه نفسه وانتشر خبر ايقافه في المدينة فكان له تاثير عظيم في القلوب لما هو مشهور عنه من انواع الارتكابات وفي جملتها مقتل السيدة ود ونشرت الاعلانات في طلب رفيقه في الجناية بو بلو تدفع جزاء عظيماً لمن يوقفه او يودي عنه افادة تاول الى ايقافه

وبعد مرور ثلاثة ايام على جاك شبارد في سجنه حضر شيخ وقور متفرجاً يستدعي مواجهته وكان وقتئذٍ محرماً على الناس الدخول اليه لما كان يصرح به في كل أونة من اعتماده على الفرار ولكن وقارة الشيخ شفعت به فادخل عليه مصحوباً بالسجان فتبادل وجاك الكلام يعزيه على حالته ويصبره على بلائه ثم التفت الى ادجورث بس يخاطبها بالفاظ ابوية وينصح لها الصبر والتاني وفي اثناء ذلك بدا من حركات جاك ما حول اليه انتباه السجان فانتفع الشيخ بغفلته عنه ورمى الى ادجورث بس بلفافة صغيرة اخفتها في حضنها ثم ودعها وانصرف وكان الرجل المذكور بو بلو وقد جاء متخفياً بزي شيخ ليتمكن من مواجهة جاك ولما خلا المكان بالحبيبين ضحك جاك شبارد ضحكاً شديداً وقال ان بو بلو صديق صادق لا تنكر محبته لي ثم سال امراته عما اذا كان قد اتى لها بالالات المطلوبة فاعطته اللفافة وقالت هاك ما جاء به

فنظر اليها واذا هي تحتوي على مقص ومبرد ومنشار فصاح احسنت يا بو بلو احسنت حيث اصبح في وسعي الان ان ابرهن وانت لجوناثان ويلد باني لست ممن يصبر طويلاً على مضض البلوى فواحر مفشرفي لا بد من ان ازوره في بيته قبل صباح غد واحاسبه على اعماله فان السجن لمن كان مثلي قادراً على الفرار في كل حين بيت سرور تجلى به الهموم وبعد ذلك دخل السجان وباشر على غير عادته البحث المدقق في خبايا الغرفة ولما لم يجد شيئاً خرج مطمئن البال وكان جاك قد شعر بخطواته فاخفى الالات ولكنه عاد فاظهرها بعد انصرافه وبدا في المهمة فاستعان بالمبرد على التخلص من قيوده ثم صعد بمعاضدة امراته الى احدى النوافذ التي مر عليها الكلام وكان الفرار منها صعباً فزادته الصعوبة جراءة واقداماً فاعمل المبرد في قضيبين من الحديد واقتلعهما ولم تكن تلك نهاية المصاعب بل جدّ عليه منها ما ليس بالقليل حيث كان المراد كسر عارضة من الخشب سدت بها النافذة وهي بسمك تسعة اصابع تقريباً فتسلح جاك بالثبات وفي اقل من ساعة تمكن من ثقب خروق عديدة متقاربة من بعضها في احد اطراف العارضة المذكورة ثم فعل مثل ذلك في الطرف الثاني بما اعانه على اقتلاعها من الجدار وكان العمل الاخير متعباً فاستكن برهة في طلب الراحة ثم عاد فجدل من ثياب امراته حبلاً واحكم ربطه في احد قضبان النافذة وبعد عناء كثير تمكن من رفعها وهي متمنعة عليه واخراجها منها ولكنه تغلب اخيراً على الموانع الكثيرة ونجح

في مسعاه فلف الحبل على جسم امرأته وتمسك باليد الواحدة بقضيب النافذة وارسل بالثانية الحبل بما فيه الى اسفل فوصلت الى الارض سالمة وتبعها جاك وثبًا فصادف حظها من السلامة وانما حال دون النجاة مانع اخر لم يكن اخف خطرًا ولا اقل صعوبة مما تقدمهُ وهو تخطي جدار يحيط بالسجن احاطة السوار بالمعصم ويبلغ ارتفاعهُ عشرين قدمًا فراى جاك في جنب هذه الصعوبة الجديدة ان يقتحم خطة اليأس فانسل بتمهل نحو الباب وادخل مقصة فيهِ يستخدمهُ كسلم تسلق بهِ الجدار بعد معاناة الاخطار وعندما بلغ اعلاه ادلى الى امرأته الحبل وانتشلها ثم حول بها الى الجهة الثانية من الحائط فبلغت الارض صحيحة وانحدر بدوره في اثرها

تخفي جاك شبارد

كانت تمتد خلف جدار السجن برية فسيحة متسعة الجوانب في وسطها كهف يقطنهُ ناسك فحمل جاك امرأته الى ذلك الكهف لما نابها من انتهاك القوى ولما لم تستطع مسيرًا عهد بها الى عناية الناسك وانطلق نحو منزل جوناثان انجازًا لما وعد في سجنهِ من وجوب زيارتهِ لا يبالي بما يتهدده هناك من الاخطار

ودقت الساعة الثانية بعد نصف الليل وهو ملتحف بالظلام الحالك يجد في طريقهِ واذا صوت ينذر بمسير افراس راعه فاختفى وراء شجرة ينتظر الفرج فمر خيال برداء متسع يتبعهُ خيال اخر عثر جواده بجانبهِ فسقط بهِ الى الارض فلم يشعر بهِ الاول بل دام متابعًا سيره وقبل ان يتمكن الخيال الساقط من النهوض هجم جاك على جواده وانتشل من سرجه فردين . ثم انقض على الرجل وقبض على عنقهِ فحاول ان يجرد سيفهُ دفاعًا عن نفسهِ ولما لم يصادف نجاحًا صاح منخفضًا لاعنًا فعرف جاك من لهجتهِ انهُ كيلت ارنولد فوجه فرده نحو مقتلهِ وصاح بهِ هل تعرف من يقبض عليك يا شقي

اجاب كيلت مرتاعًا . . القبطان شبارد

قال . نعم هو . . وخير لك ان ترى في طريقك شيطانًا من ان تراني

اجاب . اشفق عليَّ يا حضرة القبطان فانك احلم من ان تنتفع بحالتي الحاضرة

قال لا تخف على حياتك

فارسل يده الى ما تحتهُ يحاول بها القبض على سيفهِ وقال اني عالم يا حضرة القبطان بانك لا تفعل معي سوءًا فانك اشجع من ان تقاتل رجلًا مجردًا عن سلاحهِ

فلاحظ جاك خيانتهُ وصاح بهِ اجمد يا خائن فان حركة ثانية من مثل هذه تتكفل باخماد انفاسك ثم استخلص السيف من وسطهِ وتقلد بهِ وعاد فقال والآن اجب واياك الحذار من ان تكذب ما اسم الخيال الذي تقدمك

اجاب . السير روفلاند يا سيدي

فصاح جاك متعجبًا السير روفلاند . . والى اين تسير به في هذا الليل

قال . ان قصة الخبر طويلة وانا في ضيقة لا استطيع معها تنفسًا فان شئت اعني على النهوض فلا احرمك منها نصيبًا . فانهضه وقال تكلم الان فلم يجب وبقي مترددًا با الخاظ جاك فقال متهددًا اذا لم تطلع الامر فلجئني الى التهور معك بما لا يسرك صنيعة

اجاب كيلت . لا تفعل فاني ذهبت من قبل سيدي جوناثان ويلد في رسالة الى السير روفلاند في مانشستر

قال وهل تتعلق رسالتك بجمس درايل

اجاب كيلت . نعم . . ومن اين علمت ذلك

قال لا يعنيك انما اخبرني هل اعلمت السير روفلاند بعود تمس درايل الى انكلترا

اجاب نعم وفي الحال اسرع بالمجيء معي الى لوندرا

قال كفى فتكرم عليّ الان بثوبك لاني ودعت ثيابي في السجن الجديد

اجاب ما لنا ولهذا المزاح يا حضرة القبطان فاني لا اظنك تقدم على سلب من كان مثلي وكيلاً لجوناثان ويلد

قال لا بل بالعكس سأسلب جوناثان ويلد نفسهُ اذا وجدته في طريقي فاطع امري في الحال

اجاب ها ك الرداء فخذه

قال ادركني بالصدرية ايضًا

فاعطاها لهُ وقال الظاهر انك قصدك ان تميتني بردًا يا حضرة القبطان

قال عجل بالجزمة

فصاح لا . . لا يمكني ان اجود بجزمتي لاني في حاجة اليها لسوق الجواد

قال كن مطمئن البال في هذا الصدد لانك ستعود ماشيًا على الاقدام فاسرع وساعدني في ادخالها الى رجليّ

فانحنى كيلت انقيادًا للامر ولكنهُ انفرّ بمركزه الجديد فقبض على جاك من فخذه وقام بريد القاه الى الارض فبادره جاك بضربة شديدة اغابته عن صوابهِ وجرّهُ الى حافة الطريق ثم تردى بثيابهِ ولبس شعره وقبعتهُ وامتطى جواده وانطلق في طلب السير روفلاند فوجده على مسافة غير بعيدة منهُ وكان قد استعاق رفيقهُ فرجع يتفقده ولدى رؤياه جاك ظنهُ كيلت ارنولد فقال مستفهمًا ما الذي اعاقك عني . وكان جاك بارعًا في تقليد اصوات واشارات الغير فاجابهُ بمثل بصوت كيلت ارنولد بما لا يفرق عنهُ شيئًا كبا بي الجواد وتعبت كثيرًا حتى تيسر لي انهاضهُ قال

روفلاند يخيل لي اني سمعت اصواتا في هذا الخلاء . اجاب نعم وقد تخيل لي نفس تخيلك والاصوب عندي ان نسرع في المسير بحيث نبتعد قريباً عن هذا المكان الخطر فهو مقام السالبين وقاطعي الطرق فلم يجب روفلاند بشيء وبقي مداوماً سيره وجاك شبارد يتبعه الى ان وصلا الى مسكن جوناثان وكان جاك خبيراً باحواله وعوائده فترجل عن جواده وفتح الباب بمفتاح وجده في جيب كيلت ارنولد مع اوراق كثيرة ثم امر السواس ان يهتم بالخيل فتقدم نحو روفلاند يترجل عن جواده قائلاً هل توفقت في سفرتك يا كيلت

اجاب جاك على كل لم تضيع الوقت سدى والان هل جوناثان في المنزل قال نعم تجده في قاعة الاستقبال مع بو بلو . قال وماذا جاء بو بلو يفعل هنا . اجاب ليسعى لدى مولاي في الصفح عن جاك شبارد ولا اظنه ينجح في مسعاه لان جوناثان حلف يميناً على شنقه قال جاك سوف نرى ثم مشى امام السير روفلاند يحمل بيده قنديلاً كان معلقاً في الحوش وقال من هنا يا حضرة السير وصعد السلم وروفلاند في اثره الى ان بلغ قاعة الاستقبال فوضع القنديل على دكة هناك وفتح الباب وقال بصوت كيلت ارنولد حضر السير روفلاند فانتصب للحال جوناثان واقفاً على الاقدام وحيى ضيفه بتأدب مصنع وبالغ في اكرامه بما لم يصادف عليه جواباً فان السير روفلاند اقتصر على هز يد صاحبه واوى على مقعد وفي هيئته ما يشف عن تعب مزيد

فقال جوناثان ما ظننتك تحضر الان يا حضرة السير فاسمح لي بان اصرف هذا الرجل (يريد بو بلو) وبعد ذلك لا يعيقني عن خدامتك شيء ثم وجه نظره نحو بو بلو وقال عبثاً تلح في طلب عفو اسم جاك من سفر المالكين فاكتب قد كتب واشار باصبعه الى الباب وقال هاك طريقك

اجاب بو بلو متاثراً حزيناً لي كلمة واحدة ارفعها اليك يا سيدي وهي ان تتنازل وتقبلني فدية عن جاك شبارد فتهرق دمائي بدلاً من دمائه

قال جوناثان وهل تبذل ذلك بعزم ثابت وقلب لا يتزعزع

اجاب نعم يا سيدي . . دمائي ولا دماء فتاي المدلل شبارد ومدمع من حب بو بلو واخلاصه

قال بو بلو هل ارتضيت بهذه المبادلة يا سيدي اجاب جوناثان لا . . . مطلقاً . . ولم اصغ الى كلامك في بادىء الامر الا لامتحن مقدار حبك وارتباطك بجاك شبارد . قال احبه . . احبه واجود بالغالي والرخيص في سبيل افتدائه فهو زهرة اللصوص ولا افضل عليه حياتي ثم توجه حزيناً نحو الباب وقبل ان يتخطى العتبة همس جاك في اذنه بصوته العادي وقال انتظرني في المشى يا بو بلو فصاح مرتاعاً بالله من ارى . قال جوناثان بخشونة ماذا دهاك فبهت بو بلو برهة ثم قال لا شيء . . لا شيء . . يا سيدي . . فعاد جاك الى مكانه بصوت منخفض . فقال اختبىء خارجاً وعندما اناديك اسرع الي فاشار اليه بالخضوع وخرج فتبعه جاك يتظاهر

باقفال الباب ثم رجع الى القاعة وكان قد دار بين جوناثان والسير روفلاند الحديث الآتي على مسمع منه

قال جوناثان خلا لنا الجو يا حضرة السير فأمر بما تشاء فقد مضى على مواجهتنا الاخيرة زمن مديد لا ينقص عن تسع سنوات وقد تغيرت عليَّ كثيرًا

وكانت السنون قد اثقلت على كاهل السير روفلاند فاحدودبت قامته وجورت اعينه ووخط الشيب ذقنه فظهر شيخًا مسنًا ولكنه كان لا يزال عاتيًا قاسيًا ولم تفقد اعينه شيئًا من حدة الشبوبية فاجاب بخشونة اني لم آتِ اليك لاستشيرك عن صحتي

قال اصبت فلنغير الحديث . . فاني موقن بانك تعجبت كثيرًا الذي علمك برجوع ابن اختك الى بريطانيا

فنظر اليه نظرة المتهكم وقال اظن ان تعجبك من ذلك يعادل تعجبي

قال فهمت مرادك يا حضرة السير ولكني اكد بان هذا الرجوع كاد يخيل لي انا في يوم النشور لاني كنت موقنًا بموت ابن اختك ولم يداخلني ريب في صحة يقيني .

قال وهل نظرته

اجاب نظرته فهو يقطن دوليس هيل بقرب قرية ويلسيدين عند النجار ود الذي انباه فيما سلف من الزمان

قال وما هي مقاصدك الجديدة بخصوصه

اجاب ان اعامله كما عاملت من قبلي والده

نصاح روفلاند مرتجفًا اذًا تعمدت قتله

قال نعم اذا ساعدتني على عزمي لا اتاخر عن اعدامه لاني راغب في ان اتخلص منه ولكن الكلام وحده لا يكفي لنوال الغاية

اجاب روفلاند لا . لا ارتضي بهلاكه فيكفيني الى الآن ما اهرقت من الدماء

قال . انك بامتناعك عن قتل ابن اختك تعرض بنفسك الى الجزاء الشاق

اجاب روفلاند افر من وجه اعدائي الى بلاد اجنبية فاوفر على ذاتي اثقالاً كثيرة

قال وهل تزعم باني لا اعارض في سفرك . . لا . . وحرمة شرفي . . فاني مغموس واياك في هذه الجناية ولا اسمح ببارحتك لانكلترا قبل نهايتها

فجرد روفلاند سيفه وتقدم مزبدًا نحو جوناثان وصاح ويل لك فهل تجسر على تقييد حرية ارادتي

قال نعم في مثل هذه الاحوال يا حضرة السير لانك في قبضة يدي وساخدمك حيث لا بد

من قتل تيس درايل وضمانة مستقبلنا متوقفة على هلاكه

فرفع السير روفلاند يده يسند الهاجهته وقد سال منها عرق بارد غزير وصاح ما هذا الظلم فاني لا اسمع الا كلمة دماء . . دماء . . . واذا ما نعت في ارتكاب الشر اخشى من ان يهان شرف اسمي وتداس جثتي باقدام القتلة

اجاب جوناثان وهل نشك في ذلك ومع ذلك فاني لا اكلمك لاعدام ابن اختك الى عمل مادي بل اكتفي منك بالايقاع على اتفاقية لاتخسرك باكثر ما خسرتك الاتفاقية التي عقدتها معي لاطلاق سراحك من السجن .

قال روفلاند تريد ان ادفع لك ثلث مالي لقاء اتعابك . اجاب نعم وهو ثمن قليل نشتري به حياتك فافكر ياحضرة السير في دقائق المسالة واعلم بان نجاة تيس درايل من ايدينا تعود عليك بخسارة المال والحيوة معًا . قال روفلاند صدقت صدقت . صدقت قال جوناثان فهل قبلت بمطالبي اذًا

فصاح بقلب منتظر خذ مالي وحياتي ايضًا ان شئت لاني تعب من هذه العيشة الشقية

قال جوناثان لا . . لاحاجة لي في كل ذلك، ولا اريد اكثر من ثلث مالك ثم اخرج ورقة من جيبه وخط عليها اسطرًا وقدمها الى السير روفلاند وقال هاك شروطي فاوقع عليها فاطاع الامر واوقع على الورقة وهو باهت ساه لكن اصيب بدهشة فوضع جوناثان الورقة في جزدانه وقال لديّ سر مهم اريد ان اطلعك عليه ايضًا ياحضرة السير

قال بمَ يتعلق هذا السر الجديد اجاب بالسيدة شبارد وكان جاك واقفًا في كل هذه المدة لا يلفظ كلمة فلم يتمالك نفسه لدى ذكر اسم امه عن التكلم فصاح وقد سهى عن باله حالة مركزه الخطر السيدة شبارد فالتفت اليه جوناثان مرتابًا وقال . ماذا . اجاب بصوت كيلت ارنولد عفوًا ياسيدي فقد توهمت ان الشيطان جاك امامي لدى ذكر اسم امه قال الحذار من ان تعود الى مثل ذلك بعد الان حيث اريد ان تكون خدمي باعين واذان وابكم وانما بلا السنة

فصاح روفلاند وقد فرغت منه جعبة الصبر صرح بسرك ياجوناثان

قال كان لك فيما سلف من الايام اختان اسم الواحدة اليفه والثانية قسطنطينة

اجاب بحزن نعم ولكنهما ماتتا

قال لا بل ما زالت اختك قسطنطينة حية

فصاح السير روفلاند . . قسطنطينة في قيد الحيوة . . كذب . . كذب

قال اني قادر على اثبات كلامي

اجاب واين هي الان

قال في بيد لام مستشفى المجانين

فصاح السير روفلاند واوباه انك تعني السيدة شبارد واية علاقة بينها و بين اختي

قال ان السيدة شبارد هي نفس اختك قسطنطينة فارسل جاك لذلك عن غير انتباه منه صوتًا مريعًا فانتهره جوناتان وقال احذر لنفسك يا كيلت

قال روفلاند ماذا تقول - السيدة شبارد امرأة الجاني المشنوق وام اللص الشقي هي اخت شرعية للسير روفلاند وابنه للسير ماتوكيت لا . . لالا . . ان ذلك مما لا يقبل الامكان

قال جوناتان بل هكذا كان فان اختك قسطنطينة تشملها امراة نورية وهي في الخامسة من العمر تقريبًا و بعد ان تقلبت عليها الحوادث ذهبت الى لوندرا حيث وقعت ثمه في فقر مدقع ورضيت بالاقتران من صانع نجاريدعى توماشبارد وكانت ذات جمال باهر يسحر العقول ويستهيل القلوب فجذبني كرهًا الى حبها و بقيت مدة اعاني الام هواها

فوضع جاك شبارد يده على حسامه تحسبًا واعار جوناتان مزيد الانتباه ليقف على تمام الخبر

فقال روفلاند وهل عندك برهان على اثبات صحة هذا المدعى

فاخرج جوناتان في الحال من جزدانه ورقة وقدمها الى السير روفلاند وقال ها ك وصية الامراة النورية التي اختطفت اختك المذكورة وقد كتبتها في صباح يوم وفاتها وهي مذيلة بامضاء الاب «هيرنيه» وكان حاضرًا ساعة موتها في نيفكات ثم وضع الورقة مع غيرها من الاوراق على المائدة فغافلة جاك وتناولها من امامه واعانة ظلمة الليل على اخفائها في جيبه

وكان جوناتان مشغلاً في الحديث فقال ولا يخفاك ياحضرة السير ان اموال عائلتكم تكون بمقتضى وصية ابيك الى اختك قسطنطينة واولادها من بعد اليه اذا ثبت وفاة الاخيرة بدون عقب يخلفها

قال السير روفلاند فهمت

قال جاك في نفسه وانا ايضًا علمت

قال جوناتان فبعد اعدام تيمس درايل تحول جميع ثروة عائلتكم الى اختك قسطنطينة او بالحري الى السيدة شبارد ومن بعدها الى ابنها جاك اذا رافقة الحظ ونجا من المشنقة

فصاح السير روفلاند والان

اجاب والان السيدة شبارد هي كما قلت لك في بيدلام مجنونة ولا اظنها تشفى من مرضها اما ابنها جاك فمحجور عليه في السجن الجديد ولا يخرج منه الا يوم يساق الى مشنقة توربن

قال جاك شبارد في نفسه بانيك بالاخبار من لم تسائلة

قال جوناتان و بعد ان تقرر مقتل تيمس درايل اسير لمواجهة السيدة شبارد في بيد لام واكد

بان مشاهدتها لي كافية وحدها لاماتتها والتنصير من اجلها

فصر جاك على اسنانه وقال في نفسه ويل لك من شيطان رجيم

قال جوناتان انا لايخفى على مولاي السير ان كل هذه الموانع هي ثانوية بالنظر الى العايق المهم الحاضر وهو تيس درايل فمن الواجب ان نهتم باعدامه قبل الجميع وقد قلت لك انه يقطن دوليس هيل وهانه على غير محسب للخطر السهل ايقاعه في الهاوية

وعند ذلك سمع صوت وقع اقدام في السلم فهبّ جاك فرده واذا ابراهيم ماندبز اندفع بغتة الى القاعة مذعوراً وصاح . . هرب . . هرب فانتصب جوناتان واقفاً وقال من تعني . . جاك شبارد . . اجاب نعم هو ياسيدى . . فاني قادم من السجن فازبد جوناتان غيظاً وضرب برجله الى الارض ويده الى المائدة وصاح هل لم يسر احد في اثره

قال بلى ياسيدي سار كثيرون ولم يعثر به احد الى الان فاطلق جوناتان لغيظه العنان وبينما كان يزبد حنقاً كالاسد المصاب دخل كيلت مغطى بالدماء ومعرّى من اكثر ثيابه فصاح جوناتان واتعجب يقيمه ويقعده كيلت ارنولد

فتقدم كيلت المذكور نحوه حزيناً وقال لعراني جاك شبارد واثخنني جراحاً ولولا رحمة الله لافقدني حياتي فصاح جوناتان . . جاك شبارد هو الجاني . . . قال نعم وقد جئت اليك اطلب منه انتقاماً اجاب لاتخف فسيوخذ باعماله وحانت التفاتة من كيلت الى جاك فصاح مرتعباً جاك شبارد هنا ياسيدي وللحال رفع جاك عن راسه القبعة والشعر وتقدم بثبات نحو جوناتان وجماعته وقد نظروا اليه باهتين من جسارته وصاح نعم انا هو جاك شبارد ثم مد يده الى السير روفلاند وقال اسمح ياحضرة السير الى ابن اختك بان يحييك . فصاح روفلاند ابعد عني بعيداً ياشقي فاني ارفض معرفتك وكلما سمعته كذب مختلق

اجاب جاك لا تلبث الايام ان تظهر الحقيقة الراهنة انا اعلم ايضاً باني ارفض معرفة من كان دنياً جانياً كحضرة السير

فنظر جوناتان الى جاك نظرة التعجب المقترن بتمجيد الاعمال وصاح لله درك فانت والحق يقال جميل بشجاعة واهلية نادرتي المثال ولولم اكن جوناتان ويلد لوددت بان اكون جاك شبارد وثق باني متكدر لما حتمت به من وجوب اعدامك ولكن ما العمل فقد رهنت كلامي ولم يعد في الوسع الرجوع عنه لاني مستعبد لاقوالي فسلم نفسك لانك اسيري . فتبسم جاك وصاح خسئت من جبان جاهل قال جوناتان انك تجبر في بعصيانك على العمل تحقيقاً لكلامي . . فوحرمة شرفي انك لاتخرج من هنا ولي رمق يعين على الحيوة

فصاح جاك الحيّ يابو بلو وللحال اجاب صوت عظيم في المنزل لبيك ياحضرة القبطان

واندفع بوبلو الى القاعة فالقى بضربتين متتابعتين خادمي جوناتان الى الارض فقال جاك لجوناتان العجلة من الشيطان ثم انحنى امام السير روفلاند وقال استودعك الله ايها الخال الموقر فصاح جوناتان وقد ضاقت به الدنيا بما رحبت اقفلوا الابواب الخارجية واطلقوا سراح الكلاب فلم يجبه الا رجع الصدى فصفق صفقة المأيوس واقبل على الجرس يقرعه علامة للنجدة وما رفع يده للعمل الا اطلق جاك عليه الفرد فاخترقت الرصاصة كفه من جهة الى اخرى بما اوقفه عن عزمه فعاد نحو جاك والفرد بيده واطلق عليه النار فاخطاه



جوناتان ويلد

فصاح بوبلو الفرار . . الفرار يا حضرة القبطان ولا تخف فاني اقاتل دفاعاً عن موخرتك الاجابة جاك اتبعني فما زال الوقت يساعد على فرارنا سوية لان المفتاح في جهة الباب الخارجية فلحق به بوبلو ولما صار الاثنان خارجاً اقفل جاك الباب على اخصامه ولكن جوناتان كان قد اطلق النار قبل ذلك دفعتين فاصابت الرصاصة الاولى قبعة بوبلو واما الثانية فاخترقت ذراعه

فصاح جوناثان وقد اقفل عليهِ الباب من الخارج حبط المسعى وتجت الاعداء ثم بادر الى الولب في الحائط فضغط عليهِ وللحال فتح فيهِ باب كشف عن سلم ضيق انحدر الى اسفلهِ وبعد هنيهة ظهر في دار المنزل باحثًا فلم يستفد شيئًا لان جاك ورفيقة كانا قد نجيا بنفسيهما فعمد الى ملاحقتهما ولوبا لنظر وفتح باب الطريق فاذا البواب مطروح على عتبتهِ صريعًا بضربة استفقده بها الفاران وكانا قد ركبا الجوادين الذين عهد بهما جاك الى البواب المذكور واختفيا عن العيان فعاد جوناثان خاسرًا مجروحًا وهو يردد قولهُ فازت الاعداء اليوم ولكني لا البث ان اخذ بالثار غدًا

طلبا زواج

القت فاجعة دوليس هيل عائلة النجار الكريمة في حزن شديد فكان المستر ود لا يجد سبيلًا للتعزية على فقد امرأته مأيوسًا بفراقها لا يذكر لما كانت عليهِ من انها نار متقدة السعير عاملة على التدمير ففي مساء يوم من اسبوع وفاتها حضر الموسيو كيبون لزيارة العائلة المذكورة وكان تيمس درايل قد ذهب بالمستر ود الى البرية يسليهِ عن مصابهِ بما يشاهد فيها من مناظر البهاء فخلت قاعة الاستقبال بالموسيو كيبون والسيدة ويتغريد فبدأ كيبون في الحديث وقال

هل تسمح السيدة ويتغريد الى اعز اصدقاء المرحومة والدتها بان يوجه اليها خطابًا مهمًا

اجابت فليتكلم الموسيو كيبون بما يشاء. قال وهل تعدينني بصراحة الجواب. اجابت لا يداخلك شك في حرية ضميري. قال الا فاخبريني اذًا هل ما زلتِ شديدة الحرص على محبة القبطان تيمس درايل. فعبق وجه الصبية بالاحمرار ولكنها قبضت على عنان اضطرابها ووجهت نظرًا يتضمن تعنيفًا وتوبيخًا شديدين وقالت اني احب تيمس درايل كاخي. قال فحبك اذًا لا يتجاوز الحب الاخوي ياويتغريد فلازمت الصبية الصمت ولكن هيئة وجهها كانت تنوب مناب اللسان في ايضاح وجوب الاضراب عن هذا التطفل فقال كيبون لو علمت بما اعلقهُ على هذا الجواب من الاهمية لما بخلت بهِ فبالله ماذا يكون منك اذا مد لك تيمس درايل يدًا وطلب الاقتران منك اجابت ان مثل هذه السؤالات الغريبة لا تقابل بغير السكوت ولكني لا ابخل عليك بالجواب طمعًا بالتوصل الى حسم هذا الحديث المكدر لشعائري فاعلم باني ارفض طلبهُ. قال ولماذا. اجابت بخشونة لا اريد ان اجيب على هذا السؤال وانا حرة في حفظ افكاري لنفسي. قال استحلفك بوالدتك ان تكرمي بالجواب. لماذا ترفضين طلب تيمس درايل فلم تقوَ الصبية على السكوت وقد استحلفها باعز عزيز عندها فاجابت لاني لست من درجتهِ ومقامهِ فهو من عائلة شريفة لا تليق بها من كانت مثلي ابنة لنجار. فتقرب كيبون منعدةً منها وقال لله درك فانت منبع الحكمة والرزانة لان تباين الدرجات بين الزوجين كثيرًا ما يكون مصدرًا لتمرمر عيشهما وتكدير صفو هنائهما

رئيس درايل لا يهمك بكونهِ شريف النسب عالي الحسب وعليهِ فما عدت اتردد في التقدم لانمام وعد صدر مني لامك قبل وفاتها

اجابت وعد صدر منك لامي

قال نعم وهي التي حملتني على الجسارة

اجابت . وما هو

قال وعدتها بان اقدم لك قلبي ويدي ثم ارتمى على قدميها جاثياً . فنهضت الفتاة مذعورة وصاحت كيبون . قال اني محب عاشق لك فلا ترفضي حبي

اجابت كفى يا خواجه فاذهب واتركني

قال لا . لا . لا اتركك ما لم احصل على رضاك واذا رفضت طلبي اموت على اقدامك

فصاحت قلت لك كفى فاخرج من بيتي والا فتجبرني على الاستغاثة وعند ذلك فتح الباب وانسل تيمس درايل الى القاعة وكان كيبون محولاً بظهره نحو الباب فلم يشعر بدخوله وصاح بصوت العاشق المتألم اني لا محالة مائت على اقدامك اذا لم تشفقي عليَّ وترحميني . . . . فقال تيمس اريد ان اضع حداً لجسارتك وقحتك يا خواجه فانتصب للحال كيبون على قدميهِ وتهيأ للعراك وقال اني لم اوجه الى السيدة ويغفريد الا طلباً بسيطاً وعدت بهِ والدتها وهو ان تقبلني زوجاً لها فصاح تيمس محتقراً اذهب من حضرتي باشتي واياك والعود الى هذا الرياء

قال اني لا اذهب ما لم تطردني السيدة ويغفريد بنفسها ولولا وجودها لما صبرت على اهانتك . فاقبلت الفتاة نحو تيمس ذعاً بحسماً للمشاجرة . فاجابها ان رغائبك عندي بحكم الاوامر القاطعة ثم التفت نحو تيمس وقال ستصلك اخباري ان شاء الله . اجاب اني مستعد لقبولها في كل حين فنظر اليهِ شذراً وانحنى امام السيدة ويغفريد مسلماً وخرج

فقال تيمس يخاطب الفتاة وقد انفرد بها . ما هذا الذي رايته يا ويغفريد فانحدرت الدموع من اعين الصبية وقالت بحقك لا تسألني عن ذلك

اجاب بعنوان هذا الشقي كيبون قد مكنني من فرصة طالما صبوت اليها وترقبت وقوعها فاسمعي لي

اجابت . قل

قال يظهر لي انك تشكين في حبي وتزعمين ان الثروة والسعادة تقويان على اضعاف ميلي لك فاصغي لي اذاً وتاكدي منذ الان اني قبل ان ابدي عملاً لتقرير حقوقي والحصول على القابي بان قلبي لك كيف كان مركزي ومقامي فهل تقبلينهُ يا ويغفريد

اجابت . عزيزي تيمس

قال صرحي هل تحبيني

فأسندت راسها على كتفه وقالت نعم احبك . . احبك . . وحبي لك قدم العهد ثابت البنيان

تنبيه جاك شبارد لتيمس درايل

بينما كان تيمس درايل والمستر ود وابنته ويتغريد مجتمعين في مساء اليوم التالي في قاعة الاجتماع وقد فتح المستر ود التوراة يقرأ فيها تعزية له على مصابه ودار بين العاشقين حديث لذيذ من مثل ما تبادلاه بالامس واذ دخل خادم مسن يحمل الى تيمس درايل خبر شاب في الباب يطلب مواجهته . فقال تيمس وهل صرح لك باسمه

اجاب لا يا مولاي ولكني اعلم عنه . . . .

وقبل ان ياتي على اتمام عبارته فتح باب القاعة بعنف ودخل اليها شاب بلباس ثمين متقن مرتدٍ بثوب خيال من الجوخ الاحمر مزركش بالذهب وعلى جنبه سكين معلق بزنار عريض من الجلد وفي رجله جزمة طويلة فتقدم الى منتصف القاعة وفي يده قبعته ووجه نظره الى تيمس درايل فنشأ عن مشهده اضطراب عظيم في العائلة الصغيرة المجتمعة فارسلت السيدة ويتغريد صوتًا مريعًا وانتصب تيمس درايل واقفًا وقد قبض على سيفه تحسبًا وصاح المستر ود وقد علاه اصفرار الخوف . وسكنته الرعشة جاك شبارد . فبقي الشاب صامتًا متكتفًا ينظر الى تيمس درايل كانه ينتظر منه كلامًا وبعد سكوت قصير قال تيمس ان تحنك يا جاك هو فوق كل تصور فقد كان الاولى بك ان لا تعود فتدوس هذا المنزل الذي لطخته بدماء اصحابه . اجاب ان المقصود من حضوري هو رؤياك ولكني ظننتك لا تاتي اليَّ اذا دعوتك فجئت اليك اريد مكالمتك

قال تيمس اني اجهل الى الان الاسباب التي حملتك على مواجهتي وغاية ما اعلمه انك لا تخرج من هذا البيت الا لتدفع الى ايدي الحكومة فتنال جزاء ما جنت يداك

فصاح جاك مبتسماً محتقرًا ومن ذا الذي يمنعني عن الخروج وبغير ارادتي ولكنه عاد فقال اني ما جئت اليك لا ازعك يا تيمس بل لاخدمك واخلص حياتك فاذا شئت ان تقابلني على هذا الجميل بمثل هذه الاساءة فانا طوع يديك واكد باني لا ادافع عن نفسي تخلصًا منك ولكيما تكون على ثقة من كلامي اريد ان اقفل بيدي هذا الباب بحيث لا استطيع بعده فرارًا ثم اقفله وقدم المفتاح الى الحضور وقال هل ارتضيتم من عملي

فصاح ود لا وربي اني لا ارتضي الا يوم اراك مشنوقًا في تيرن

قال جاك لربما لا يكون امد انتظارك طويلاً يا حضرة المستر

اجاب ود فلستجب منك الرب فادوس بقدمي راس الافعى التي لدغتني

قال جاك اني بريء من دم امرأتك والموت اقرب لديَّ من ارتكاب مثل هذه الجناية

الخفية . اجاب لا تغشني باكاذيبك ايها اللص الجاني فاذا لم تكن القاتل فانت شريكة - قال ان ضميري لا يثقل عليّ بشيء من هذه التهمة ومع ذلك فاني ما جئت الان لابرر نفسي بل لاخلص حياة تيمس درايل من الخطر

قال تيمس واي خطر يهدد حياتي هل في عزم رفقاؤك اللصوص ان يعتدوا على ايامي

اجاب . لا بل خالنا السير روفلاند هو الذي يهدد حياتك وإياك

فصاح تيمس ما هذا الفشار وكيف يكون روفلاند خالك يا شقي

قال اني لم اتكلم الا بالحق فانت ابن خالة اللص الشقي جاك شبارد

فضحك تيمس وقال ان من السهل الادعا بما هو اعظم من ذلك ايضًا

اجاب ولكن من السهل لديّ ايضًا اثبات مدعاي ثم دفع الى تيمس درايل الرقعة التي انتشلها من جوناثان ويلد وقال اقرأ هذه فقراها تيمس بسرعة ودفعها الى المسترود ولدى مشاهدتها صاح فليتمجد اسم الرب ان هذه الرقعة هي شرعية لا ريب فيها لاني اعرف هذا الامضاء

قال تيمس وهل انت على ثقة من صحتها

اجاب نعم . هي صحيحة صادقة وقد تحقق لديّ الان ما طالما نبهني اليه ضميري من ان السيدة شبارد شريفة الاجداد

قالت ويتغريد وقد كانت افكاري على الدوام لا تختلف بشيء عن افكارك في هذا المعنى يا ابي فتنهد المسترود ومسح دمعة وصاح مسكينة انت ايتها الارملة الكريمة ثم التفت نحو جاك وقال جاك . جاك . انك مخطي وخطيئتك جسيمة . اجاب والقلق ظاهر في وجهه نعم . نعم . اني لا انكر ثقل خطيتي

قالت ويتغريد الا فاندم اذًا حيث ما زال لك وقت يعينك على الندامة وساصلي الى الله عسى يغفر خطيتك

اجاب ماذا تجديني صلاتك ياويتغريد ولولاك لما سرت الى هذا المصير الوخيم

فصاحت لولاي

قال نعم حيث كنت احبك وانما لا ترتاعي لذلك لان حبي لك زال مع الايام نعم كنت احبك ياويتغريد واحتقارك لهذا الحب هو الذي اضاعني ولكن ما لنا ولافكار تكاد تلقيني في وهدة الجنون . فقد انذرتك ياتيمس بالخطر المحدق بحياتك فلا تستخف بانذاري لان السير روفلاند علم بعودتك الى انكلترا وقد نظرته بالامس عند جوناثان ويلد بعد فراري من السجن يتخابر واياه في شانك فاعتمد الاثنان على اعدامك وفي هذه الليلة ينفذان مقاصدهما الشريرة

فصاحت الصبية وا رباه ورفع المسترود يديه نحو السماء صامتًا كانه يستنجد بربه لدفع هذه

الليلة الجديدة

قال جاك ولا اظنكم تشكون بخلو غرضي وسلامة طويتي في هذه المسألة حيث لا يخفاكم انه بعد تيمس درايل و والدي يحول ارث العائلة بكليته لي فانا الوريث الوحيد الشرعي بعدهما للعائلة السير مونتاكيت

اجاب تيمس انا لا نشك بخلو غرضك اذا ثبت لدينا ما تدعيه فقال هاك التعليمات المعطاة في صددك من جوناتان ويلد الى كيلت ارنولد ثم اخرج من جيبه جزدان الورق الذي وجده في ثوب ارنولد المذكور ودفع منه رقعة الى تيمس وقال ان هذا التحرير ينبئك بان اعداءك يتآمرون الان على اعدامك فقرأ تيمس الرقعة وقال هل تعلم اية خطة اتخذوها لمهاجمتي يا جاك اجاب لا اعلم ولكني انصح لك ان تبقى على الدوام متحذرًا لنفسك فلربما يكونون على مقربة من المنزل ولا ريب ان جوناتان ويلد يكون في مقدمتهم

فصاح المسترود مرتجفًا جوناتان ويلد . . واسفي قضي علينا وسنذبح جميعًا

قال جاك وقد نظرت في الجنينة قبيل دخولي رجلاً ارتبت في خطواته ولا يستبعد ان يكون من المتآمرين . فصاح تيمس واين تركته . قال قف مكانك ودعني اكشف الخبر وحدي ثم تقدم نحو النافذة ففتحها وصاح بصوت تيمس درايل . من هنا . فلم يكن جوابه الا اطلاق النار فمرت الرصاصة بقرب جاك بدون ان تؤذيه واصابت السقف فعاد بسكون نحو تيمس وقال لم يخطئ فكري فان جوناتان ويلد والسير رولاند في الجنينة وقد شاهدتهما برأي العين فصاح تيمس هل من الممكن ان أأتمن جانبك يا جاك . اجاب على الحيوة والموت . فاستل سيفه وقال اتبعني اذًا ثم وثب من النافذة فوثب جاك ايضًا وركضت ويتفريد تريد ان تلحق بهما وهي تصيح تيمس ... تيمس . . قتل تيمس ادركونا . . ادركونا . . يا للنجدة يا للمعونة فاحتضنها ود بذراعيه وسار بها نحو القاعة وهو يصيح ابنتي ابنتي . . حبيبتي وفي الحال سمع اطلاق الرصاص ورنين السيوف ثم ضعف الصوت واختفى وكان المسترود قد جمع في اثناء ذلك خدمه واندفع وإياهم الى الجنينة فوجد تيمس درايل طريحًا على الارض مخضبًا بدمائه اما جاك شبارد فلم يظهر له اثر

بيدلام

ما بلغ تيمس درايل وجاك شبارد ارض الجنينة الا فاجأهما جوناتان ويلد والسير رولاند واتباعهما بالهجوم فلقي جاك جوناتان بثبات وعزيمة كادا يخولاه نصرًا لو لم تذل قدمه على حين كان يرفع يده ليوقع بخصمه بضربة خنجر وللحال تحول النصر الى فشل وكاد يقضى على حيوته من يد عدوه لو لم يبادر الى نجدته بوبلو والسيف مسلول في يده وقد وجهه نحو مقتل جوناتان يريد اعدامه لخلاص رفيقه يا اجلى عن نجاة جاك فنهض من وهلة اليأس منتصبًا واذا بوبلو مطروح

على الارض بدون حركة والدماء تتدفق من جبهته فظنه مائتاً وتحول الى حيث سمع انيناً فوجد تيس درايل مخضباً بدمائه ايضاً . فقال هل جرحت يا تيس . اجاب نعم انما الامل ان لا يكون جرحي خطراً اما انت . . فالهرب . . الهرب . . . عجل بالفرار . فصاح جاك ابن القتلة اجاب ادبروا لما زعموا من ان المهمة التي جاؤا في انفاذها قد أكملت قال اريد ان احملك الى المنزل اجاب لا . . لا . . ان رمت مرضاتي فما لك الا ان تفر وتنجو بنفسك . . اسرع يا جاك بالهرب قال لا يمكني يا تيس ان اتخلف عنك في مثل هذه الحال . اجاب اذهب اذهب بربك اذهب فانقاد جاك اليه وذهب عن غير ارادته الى حيث امتطى جواده واسرع في السير نحو فندق النقود فوصل اليه بعد ساعة من الزمان وقد انهكه التعب بما لا يستطيع معه وقوفاً

وكانت الشرور قد تفاقمت في فندق النقود بما دعا الى صدور امر من الملك جورج الاول يتضمن تجريد ذلك المجلي الخطر من جميع امتيازاته وكان زعيمة بابيست كيلي قد اتخذ له دسكرة على شط التيمس يتعاطى فيها بيع المدام ولم يكن لتوقفته على رفاقه من السلطة الا ظلها فكانوا يقدمون على الجنايات العظيمة ورجال الضابطة تطاردهم من كل صوب وهم يفرون امامها كالبهائم الهائمة ولدى وصول جاك الى الدسكرة المذكورة ترجل عن جواده فتناول قدحاً من المدام وانطرح بثيابه على مقعد طويل وذهب في غيبوبة النوم العميق وفي صباح اليوم الثاني انتبه من رقاده فراى بجانبه بوبلو مجرداً سيفه وفي يديه فردان محشوان بالرصاص وهو بحكم الحارس متهيء للدفاع عند الحاجة عن رفيقه النائم من عدو مفاجيء وقد عصبت جبهته بخرقة ملطخة بالدماء فقال لا ترتاب يا حضرة القبطان فان كل شيء والحمد لله على قدم التوفيق اجاب جاك وكم الساعة الان قال الظهر ولم انبهك لما شاهدت على وجهك من اثار التعب وكان جاك قد استفاق من غيبوبة النوم وتذكر حوادث الليل الماضي فقال وكيف تيسرت لك النجاة يا بوبلو اجاب هاك تفاصيل الخبر فاني بقيت على ما يظهر غائباً عن الوعي مدة ولدى انتباهي وجدت ذاتي سابحاً بدمائي السائلة من جرح بليغ في راسي ولم يرني احد فتوصلت بعد التعب الى جوادي وانطلقت نحو هذه الدسكرة لعلي بانها لا تخلو منك اذا كنت حياً فلقيتك فيها نائماً واقمت كما ترى على حراستك مخافة عليك من غدر جوناثان ويلد فأمر الان بما تريد

قال اريد ان اذهب الى بيدلام مستشفى المجانين لاشاهد امي الحزينة اجاب بوبلو الاولى بك ان تهتم بنفسك قبل امك يا حضرة القبطان لان هذه الزيارة خطرة على حياتك

قال لا بد منها كيف كانت لان جوناثان ويلد اضمر لامي شراً واريد ان ابادر الى رؤياها في الحال وساحاول ايضاً اخراجها من هذا المستشفى الجهنمي . اجاب سحاو ل مستحيلاً ولا ريب انك ستصادف فيه مصاباً قال لا تخف عليَّ فقد اعتمدت على الذهاب ولا بد منه وما كان جاك

شبارد ليلفظ كلامًا ويرجع عنه اجاب بوبلو وهل تصحبني معك قال لا بل انتظرني هنا اجاب ان امد انتظاري سيكون طويلاً لاني لا اظنك ترجع يا حضرة القبطان فدفع جاك اليه كيسًا من الدراهم وقال سوف نرى وإذا لم اعد فاحمل هذا الكيس الى ادجورث بيس في كهف ماري لينوار ثم جدّ نحو محل قصده بجنان ثابت لا تروعه النوائب وكان مستشفي بيدلام القديم وقد عفت آثاره لانه عبارة عن بناية عظيمة شاهقة اقيمت سنة ١٦٩٥ على مثال التويلري المعد لسكنى ملوك فرنسا ويقال ان لويس الخامس عشر استاء من ذلك بما حسبه اهانة موجهة اليه فانشأ بدوره بناية على مثال سين جميس مقر ملوك انكلترا واعدها لاقبح المنكرات وقد انفق على بناية بيدلام المذكورة ما ينيف عن سبعة عشر الف ليرا استرلينية وهي تمتد على نحو خمساية واربعين قدمًا ويعلو اجنحتها الاربعة قبب صغيرة في وسطها كرة كبيرة ذهبية ويدخل اليها بممر عريض مرمل ينتهي الى جنينة مظللة بالاشجار الكثيرة المغضة ومصانة من جميع جهاتها بحائط من الحجر ويخرقها طريق متسع يقود الى ابواب حديدية وضع عليها تمثالان عظيمان يمثل الواحد منها الجنون الفاضح والثاني الجنون الميلانخولي

وهي مقسومة من الداخل الى دائرتين منفصلتين عن بعضهما بشبكة حديدية فالدائرة الواحدة منها للنساء والثانية للرجال وفي نصف الدائرة العلوية قاعة كبيرة مختصة بناظر المستشفى وغيره من كبار المامورين ومما نصرح به مع مزيد الاسف ان ذلك الملجاء المختل لحالة المصاب البشري كان مفتوح الابواب على الدوام لدخول جماعة المتفرجين اجواقًا متخذين اشام بلايا الانسان مشهد سرور لاعينهم

فقطع جاك بسرعة الرواق المودي الى دائرة النساء واستعان بالدرهم على معرفة غرفة امه فانسل اليها ومع علمه بما ينتظره هنالك من المشاهد المريعة المؤلمة شعر لدى دخوله باحتياجه الى القوة للثبات فان امه المسكينة كانت متربصة في قرنة على فراش من التبن مغطاة الاكتاف بخرقة بالية وليس لها من الكساء غير ثوب ممزق وهي مهدولة الجسم عارية الفخذين والذراعين محلوقة الراس مربوطة الى الحائط بسلسلة حديدية تنتهي في زنار من الحديد ملفوف على وسطها بما يمكنها من التمشي في سجنها الى الحد لا تتعداه ولدى مشاهدة ابنها احدقت به نظرًا لامعًا حادًا بما يفوق حد الاعتدال واستنار وجهها العبوس بالتبسم وقالت بصوت مضطرب انت ملاك مرسل من السماء اجاب لا بل شيطان رجيم حيث كنت سببًا في كل هذا البلاء فقالت لا . . لا . . انت ملاك وابني كان يشبهك ولكنه مات منذ زمن . . منذ زمن طويل . فصاح جاك ليتني مت حقيقة ولم اكحل اعيني بهذا المشهد المريع قالت ان فان كاليبروك تنبأ لي بان ابني يموت شنقًا ولكن هل لك علم بما كان مني وقتئذٍ ثم ارسلت ضحكة شديدة مخيفة جمد لها دم جاك في عروقه وعادت فقالت

خنقتهُ . . هنا . . على صدري لاخلصهُ من العار والآن انا معتوهة . . مجنونة فصاح جاك ايا الهي

فسكتت السيدة شبارد برهةً ثم تكلمت اخيرًا فقالت اسمع لي هذا الحلم الذي شاهدتهُ في الليل الماضي . فاني وجدت في تيربين وكانت الناس تحدق بالمشنقة من كل الجوانب ثم ظهر في ساحة الاعدام رجل . . وكان الرجل وادي . . ولدي جاك . . وقد جيء بهِ ليشنق امام اعيني ومن خلفهِ جوناثان ويلد يدل الجلاد عليهِ باصبع يقطر دمًا . . ولكن اه لو تعلم ماذا حصل فان الجلاد قبض في الحال على جوناثان ويلد وشنقهُ بدلاً من جاك فعلت من بين الجمع اصوات الفرح العميم فما قولك بفرحي

فصاح جاك وهو في سكرة اليأس امي . . امي . . لماذا تجاهلين عني ولا تعرفينني اجابت ماذا الذي اسمعهُ فاني اسمع صوتًا قريبًا من صوت ولدي قال لا بل صوت ولدك . . ولدك جاك فرفعت نظرها الى ما فوق راسها وقالت نعم ان السماء مفتوحة الابواب وهو قادم . . قادم اليَّ قال عي لنفسك فانا ابنك امامك قالت لا . . لا . . انت خيالهُ فصاح جاك انا ابنك . . ابنك المنكود الطالع السيء البخت قالت دعني امسك يدي فاصدقك وخطت نحو ولدها وكان جاك قد اضاع قوتهُ فلم يستطع حراكًا وبقي جامدًا مكانهُ يوجه الى امهِ نظرًا مائيوسًا ولما بلغت السيدة شبارد منتهى ما تصل اليهِ سلسلتها مدت اليهِ ذراعيها المهزولين وصاحت تعال اليَّ . . تعال اليَّ . . فجثا جاك على ركبتيهِ بجانبها فلمستهُ وقالت لا . . انت لست بولدي ذاك مات وقد واريتهُ التراب في مقبرة ويلسيدين فصاح جاك اه يا الهي . يا الهي فهي لا تعرفني ثم ضمها بين ذراعيهِ يقبلها وقال امي . . عزيزتي . . حققي فيَّ نظرك فنفرت مرتاعة من بين ذراعي ولدها وصاحت مرتجفة الى الوراء . الى الوراء . . لا تمسني بيدك دعني براحة وسكون . . ما عدت اتكلم عن جاك ولا عن جوناثان لا . . لا . . تومل مني ان انبش قبريهما باظافري . . . لا تجردني من ثيابي . . . دع لي غطائي . . برد . . ما هذا الليل المخيف . . كفى تصب ماء على راسي . . كفى . . كفى . . فان اعمالك تزيد في اوجاعي ففزع جاك سن الندم . وصاح بالبلاء فركضت مذعورة الى قرنة سجنها وقالت لا تضربني بربك لا توجعني دعني في سلام واخذت ترفع بيديها التبن وتضعهُ على راسها كانها تختفي من وجه اعدائها

فقال جاك في نفسهِ اذا بقيت طويلاً هنا جننت من فظاعة المشهد وكانت الارملة قد اختبأت لخوفها في التبن فرفعت راسها بعد هنيهة بحرس من وراء خبائها وقالت هل ذهبن

اجاب جاك عمن تسالين قالت عن حارساتي اجاب وهل يسئن معاملتك فوضعت اصبعها على فمها تريد اسكاتهُ وقالت اصمت . . اصمت واقترب الي لاطلعك على كل شيء فتقدم نحوها قالت اقترب ايضًا . . . اقترب ايضًا فان مرادي ان اخبرك بما يفعلنهُ معي فاسمع واقفل الباب

ثم جردت راسها من الغطاء وقالت انظر فقد كان لي شعر طويل جميل فقصصته لي وتركني بدون شعر كما ترى . . . ولكن اخبرني لما جئت الى هذا المكان قال لاراكِ يا امي قالت لما تناديني بهذا الاسم ولما تدعوني بامك اجاب لانك ام حقيقية لي فاحدقت نظرها بجاك وصاحت ماذا . . انت ولدي قال نعم انا ولدك وقد جئتك حزينًا نادمًا ثم رفع راسه نحو السماء وقال اشكرك يارب لانها عرفتني اخيرًا فانقضت الارملة على ولدها تضمه الى صدرها وتقبله بتشوق والدموع طافحة في عينيها وهي تصيح ولدي جاك . . حبيبي جاك عدني بانك لاتتركني بعد الان اجاب بصوت متقطع بالتنهدات مطلقًا . . ابدًا وما اتى على لفظ هاتين الكلمتين الا فتح الباب واتحدر اثنان الى الغرفة وكان احدهما جوناتان وبلد والثاني كيلت ارنولد فانتصب جاك للحال مرتاعًا فقال له جوناتان جئنا في الوقت المناسب فسلم نفسك لانك اسيري جاب انكما لاتستطيعان امساكي حيًا وتهيأ للدفاع فاحاطته امه بذراعيها تظلله بها وقالت الان اصبحت في مأمن من غدر اخصامك فاستغنم جوناتان ورفيقه فرصة تقيد جاك عن العمل باحاطة امه به وانقضا عليه فجرداه من سلاحه وقيداه بالسلاسل وانحنى جوناتان امام الارملة يشكرها خدامتها بان سهلت لها القبض على ولدها بدون حاجة الى مزيد عناء وفهمت السيدة شبارد المراد من كلام جوناتان فاندفعت عليه هائجة مزبدة وارسلت اظافرها الطويلة الى خديه تقع فيهما مسا لكًا فصاح جوناتان ارجعي الى الوراء . . الى الوراء ايتها الشقية . . ثم اغلق يده وضربها بها بمنتهى قوته على راسها فسقطت الى الارض صريعة لا تعي على شيء فصاح جاك ان هذه الضربة ستكلفك فقد حياتك ياخائن فنظر جوناتان الى فريسته متبسمًا وقال هيا الى نيفكات

سجن نيفكات القديم

في بدء الجيل الثاني عشر زيد على ابواب لوندرا الاربعة المحاطة بالقلاع والتحصينات باب خامس سمي بنيفكات اي الباب الجديد وهو ملاصق لبناية رحبة استعملت سجنًا للوندرا مدة ثلاثمائة سنة تهدمت في منتهاها فجدد بناءها منفذو وصية السير ريشارد وايتنكتن حاكم لوندرا الشهير وكان الباب المذكور عظيمًا عجيبًا فاطلق اسمه على جميع البنايات التي انشئت بعد ذلك في الاراضي التابعة له وقد شيده هنري السادس تقدمة لاهالي لوندرا على خدماتهم الصادقة ومنذ ذلك الحين اصبح بابًا عامًا للمدينة ولكنه ذهب سنة ١٦٦٦ فريسة للنار مع ما يجاوره واقيم على خراباته سجن جديد بجدران شاهقة ثخينة ونوافذ ضيقة علوية من مثل نوافذ الاسوار وقنطرة عظيمة بباب حديدي ينقبض له صدر الناظر وكان مكتوبًا على الباب فيما فوق راس الحراس الكلمات الاتية وهي «ادخل صاغرًا كلص»

وكانت العربات تمر الى داخل السجن بباب متسع عريض مبني يجاوره مدخل ضيق للرجالة

والباب الاول كبيرًا متسعًا بما يقرب شبهًا من قوس النصر ويزدان من الخارج بثلاثة صفوف من الاعمدة يخللها تماثيل في جملتها تمثال الحرية وعلى اقدامه هر وقد نصب رمزًا عن الموسس السابق وهو السير ريشارد واتنكتن

وكان على يمين المدخل شبكة حديدية تشرف على المسجونين من المديونين وهم مصفر والوجوه بما يرتاع له الفواد اشمئزازًا وقد فشا فيهم مرض وبائي يعرف عندهم بحمى السجون وفعل فيهم فعلاً ذريعًا فكانت تخرج المركبات في اثناء الليل مشحونة بجثث الموتى الى حيث توارى التراب بدون احتفال دفني بما الجأ الحكومة اخيرًا الى انشاء آلة لتطهير الهواء وضعت على اعالي بناية نيفكات وجاءت بالنتيجة الحسنى حيث وقت السجن من مخالب هذا الوباء وينقسم سجن نيفكات الى ثلاث دوائر عظيمة فالواحدة للتجار والثانية للعموم والثالثة للشرفاء وتختص الدائرة الاولى وهي في الجهة الجنوبية من السجن مع محلات اخرى مشيدة فيما فوق قبة المدخل بمن يدفع من المسجونين بدعاوي الدين الرسم المضروب اما الدائرة العمومية وتولف القسم الاكبر فمشتركة بين المديونين والجانين بدون فاصل بينهم بما ينشأ عنه في الغالب الاخلال في اداب العدد الكثير منهم ومما يزيد الدائرة المذكورة قبحًا في اعين سجنائها قيامها على سرادق تحت الارض تنبعث منها روائح كريهة وكانت الدائرة الثالثة ممتازة عن سواها ومعدة للمسجونين من امراء الحكومة وغيرهم ممن يدفع للسجان ضريبة ظالمة غير عادية تختلف من خمساية الى الفين ليرا انكليزية بحسب درجة وثروة الطالب ولم تكن هذه المظالم لتقتصر على الاغنياء من المسجونين فقط بل تتعدى الى غيرهم من الفقراء ايضًا فكل سجين لا يدفع للسجان الخراج الذي يضربه عليه يلقى في سجن المحكوم عليهم بالمواد الجنائية العظيمة مع اللصوص والقتلة عرضة لتعدياتهم يسومونه سوء العذاب باعمالهم

ولما كانت نظامات السجن فيما مضى لا تحرم على السجناء شرب المسكرات القوية فتح في نيفكات حانتان الواحدة بقرب دائرة الحراس والثانية في قاعة الطعام من الدائرة العمومية وكلتاهما تبيعان من السجناء انواع المسكرات الدنية المضرة بموازين كاذبة واثمان باهظة وكانت الاقذار والاوساخ المفسدة للهواء منتشرة في جميع محلات السجن ولا سيما محل مناولة الطعام فهو بحكم مغارة مستنقعة مسقوفة بقبة متسعة واطئة بحيث لا يتجاوز اعلاها ارض الشارع العام وتخيم فيها ظلمة كثيفة دائمة لا يقوى على محوها ما يضاء فيها من الاخشاب وفي احدى جهاتها صف من البراميل يقابلها في الجهة الثانية موائد تحيط بها مقاعد تزدحم عليها السجناء ذكورًا واناثًا من جانين ومديونين فيأكلون ويشربون ويلعبون ويدخنون بما يبذلون من الدراهم ويعلو هذه القاعة غرفة رحبة يصعد اليها من الحانة بسلم عريض من الحجر في منتهاها شعرية من الحديد يكلم السجناء من خلالها من يأتي لزيارتهم من الاصحاب والاقارب الذين لا يرغبون في مخالطتهم حيث لا يمنع من الدخول الى

داخل السجن من يدفع للسجان قيمة من الدراهم وكانت السرقة سارية في نيفكات على قدم النشاط فمن سجان يسرق سجين ومن سجين يسرق مثلهُ وهلم جرّاً

وبجانب مدخل السجن قاعتان فسيحتان تعرف الواحدة بقاعة الحجر وهي مختصة بالمديونين من التجار والثانية بقاعة الصوان وهي التي تفك فيها قيود المحكوم عليهم بالموت قبل الذهاب الى ساحة القضا وتروض بها جماعة السجناء فترام فيها اجواقاً عراة بما يشبه الغرقا الخارجين من لجج الماء وفي احدى زواياها غرفة للقيود حوت من جميع انواع السلاسل الحديدية وقد عهد بحراستها الى ثلاثة من السجناء منوط بهم ملاحظة الداخلين والخارجين وفك القيود واقفالها وتوزيع الطعام والمحافظة على النظام وهم ماذونون بان يسطوا بالاسواط والعصي مما ينشأ عنهُ في الغالب مشاجرات عديدة تتفد بعدد الساعات فيستعين الحراس المذكورون على طلب النجدة باجراس يقرعونها فيسارع السجانون الى معاونتهم . وفي تيالي القاعة ممر ضيق يقود الى مطبخ صغير لا يستطيع اشجع الناس ان يدخلهُ بدون ان يداخلهُ الجزع الشديد وهو بمواقد عظيمة تعلوها دسوت مملوءة بالزيت والقطران تدهن بها اجسام المحكوم عليهم بالقتل بجناية الخيانة قبل انفاذ القضاء عليهم ومن فوق هذا المكان المخيف قاعة للمسجونات المديونات من النساء ومن تحتهِ قبو يتنزل منهُ الى حبس سري مظلم مربع لا ترى فيهِ اشعة النهار ويسمى بجورة الحجر وهو مسمى بكليتهِ من الحجر لا اثر فيهِ لمقعد او فراش ويحجر فيهِ على الذين لا يملكون شيئاً يدفعونهُ للسجان استجلاباً لرضاه وتحاذي هذه الجورة القاعة السفلى وقد قال بعض الكتبة في شأنها ان من الصعب تحديد كنهها بما يفهمهُ المطالع الا بافتراض كونها تبعد ٩٠ درجة عن القطب الجنوبي لان ايامها على الدوام ليل حالك ولكنها تتفضل بما لا يذكر على جورة الحجر والسجن فيها المحكوم عليهم بالجزاء المتقدي

وكان يعلو قاعة الصوان قاعة فسيحة تعرف بسجن المديونين وقد فتح فيها بجهة ادخال النور والهواء منافذ متسعة بدون زجاج وخشب بقي المسجونون شر التعرض للامطار والرياح

ولم نذكر الى الان شيئاً عن الدائرة المختصة بالنساء فهي منقسمة الى قاعتين وتعرف الواحدة منهما بقاعة الدلول ولا يعرف لهذا الاسم سبب او منشأ ويصلها بالمدخل الذي مر عليهِ الكلام معبر مظلم مخيف ولها نافذة صغيرة محصنة بالقضبان الحديدية تأتي على الطريق العام فتطلب المسجونات من خلالها صدقة المارة اما القاعة الثانية فتسمى بقاعة السيدات وهي في الطبقة العليا من السجن بدون افرشة فتنام فيها المسجونات المنكودات الطالع على الارض العارية والقاعتان المذكورتان قذرتان بما لا يعبر عنهُ القلم اما اهلية المسجونات فمجردة عن كل احتشام وادب وقد قال احد مورخي نيفكات في كلامهِ عن النساء المحجور عليهن فيهِ اني لاحظت بمزيد الاسف انهن يتكلمن بما يخجل لسماعهِ ادنيا الرجال فضلاً عن فضلائهم

وللمحكوم عليهم بالمواد الجنائية في نيفكات قاعتان الواحدة للذكور والثانية للاناث فالاولى منها على مقربة من دائرة الحراس تتصل بها بممر معتم وهي متسعة بما يبلغ عشرين قدماً طولاً واثنى عشر عرضاً بسقف من الحجر المعقود مغطاة الجدران بما علق عليها من السلاسل والقيود ولها نافذة صغيرة بشعرية من الحديد ترسل الى الداخل نوراً مصفراً ضعيفاً ويعلو على بابها حجرتان ضيقتان تسمى الواحدة بالقصر والثانية بالغرفة الحمراء ويحسن بنا قبل ان نأتي على تمام الكلام عن بناية نيفكات ان نذكر شيئاً عن غرفتين يحجر فيهما على من يسيء التصرف بما يدعو الى الشكوى من اعماله وتعرف الاولى بالمعصرة وهي عبارة عن مكان صغير ضيق في وسطه آلة عظيمة من الخشب يعصر بها كل من يطلب اقراره ويصر على الانكار بما يحلو في الغالب عن وفاة المعصور ولم تلغ آلات العذاب من مثل هذه من بريطانيا الا في اواخر ايام الملك جورج الثالث اما الغرفة الثانية فتسمى بالمعقل ويعقل فيها الوقحا من المحبوسين بسلاسل من الحديد وكانت الكنيسة في الجهة الجنوبية الشرقية من السجن وهي متصلة بجميع الغرف والدوائر بحيث يسار اليها من كل مكان

وقد ذهب الكتاب المتأخرون مذاهباً عديدة لجهة تأثيرات السجون في حيوة الانسان وقرر اكثرهم بان القيام مدة في مثل هذه المحلات يورث المقيم ميلاً الى السرقة فيخرج منها لصاً وهو حكم تنطبق صحته على سجناء سجن نيفكات القديم

وقد هدم السجن المذكور سنة ١٧٧٠ واعيد بناؤه على هيئة جديدة فاكمل سنة ١٨٨٠ بالرغم عن اجتهادات الشعب الذي صرف همه الى احراقه بالنار في اثناء الحرب الاهلية وهو الآن بناية عظيمة مرعية فيها الوسائط الصحية والادبية معاً مجردة عن المظالم القديمة وقد تغيرت فيه حالة المسجونين تماماً وادخلت عليه التحسينات والاصلاحات بما لا يدع سبيلاً للشكوى

فرار جاك شبارد من سجن الجانين

في صباح ١٢ آب من سنة ١٧٢٤ نشر على العموم الحكم الصادر باعدام جاك شبارد بما حرك من الناس الاهتمام فجاء جماهير الى سجن نيفكات للتفرج ولم يعدم اصحاب المحكوم عليه من نجاته املاً لعلمهم ان كثيرين من اصحاب الكلمة والنفوذ تندموا يطلبون له عفواً من اولياء الامر فكان السجن عبارة عن مرسح ازدحمت فيه الاقدام وكثير من المتفرجين دفعوا رسماً باهظاً ودخلوا الى قاعة الحجر وعند المساء انصرف الجمع ولم يبق في السجن الا اثنان وهما الموسيو شوتبولت بواب سجن كليركانويل والموسيو كريفن بواب سجن وستمنستر وكان جاك يعرفهما من يوم حجر عليه عندهما فترحب بهما ودعاهما مع الموسيو اريتون سجان نيفكات ومعاونيه الاثنين اوستين ولانجلاي الى شرب كاسه وكان على مقربة منهم رجل يدعى مارفيل من العمالقة قبيح الخلقة يدخن بغاليون اسود معوج مهنة لا تختلف في الفظاعة عن هيئة وجهه حيث كان منوطاً به انفاذ احكام

القتل والتعذيب وبجانبه امرأة طويلة القامة تسعلت بالانظار بريد سعها وهي السيدة سيرلنك التي اشرنا اليها فيما مضى وكانت قد ترملت من زوجها الرابع وتوصلت بدهائها الى سلب فواد مارفيل الجوهري فتعشقها ورغب في الاقتران منها وكان هو المنفذ لقضاء الاعدام على ازواجها الاربعة بما جعل له حق التقدم على غيره في الاقتران بها وهي محافظة معه على التردد بما لا يصرم له املاً ويكون باعثاً على زيادة ولهه وتضرم نار وجده ومن خلف السيدة سيرلنك عبدها كاليبان بقامة معوجة وانف منتفخ واذان تشبه لاذان الوحوش وراس كبير وجسم طويل وارجل قصيرة واعماله محصورة في اقفال الابواب وخدمة الحراس

وقد المعنا في الفصل السابق الى مكان الحراس ولا نرى بدًّا من العود الى سرد الايضاحات الكافية في شانه فهو دائرة يصعد اليها من الطريق بسلم من الحجر ينتهي عند باب من الحديد المصبوب محصن بالاقفال العظيمة ومن بعده باب اخر صغير لا ينقص عن الاول في المتانة والتحصن مشبك مدى صف من الحراب الحديدية وكان الفرار من البابين المذكورين متعذرًا وهما مفتوحان في اثناء النهار فلا يقفل الباب الصغير الا عند الساعة السادسة اما بقية منافذ واقفال السجن فتقفل جميعًا في الساعة التاسعة وعلى مسافة غير بعيدة من المدخل حاجز من اخشاب السنديان القوية مكلب بالحديد يحول بين الناظر وبين معبر مظلم يقود الى داخل سجن الجانين ومن خلف الحاجز نافذة تعلو خمسة اقدام عن الارض محصنة بقضبان حديدية يكلم منها المسجونا من ياتي لزيارتهم ويتبع عن دفع الضريبة المعينة للدخول عليهم وبجانبها زاوية يخفيها عن العيان بروز الحائط الملاصق لها وهي تولف مدخلاً السجن المذكور وفي منتهى هذه الدائرة تخشيبة تنظر منها جميع المحلات التي مر الكلام عنها ما عدا الزواية المدراة بالحائط والحراس مع ضيوفهم جلوس عليها يتناولون اقداح المدام التي دعاهم اليها جاك شبارد

فصب سجان ويستمنستر كاسًا وقال اني اقسم بشرفي باني لم ارَ في سجني شجاعًا باسلاً مثل جاك شبارد . اجاب اريتون صدقت فان جاك هو الان زهرة نيفكات وقد تلي عليه الحكم الصادر باعدامه فلم يرهب له بل بقي ثابتًا مسرورًا كعادته واؤكد لكم ولربما لا تصدقوني باني متكدر لما سيكون من اعدامه فقد تأتى لنا عنه النفع الكثير فاكتسبنا به في هذا النهار مبلغ ستين ليرا استرلينية دفعت له منها قيمة خمس ليرات فوزعها على الفقرا من المسجونين وهم يشربون الان بصحته في الحانة

فرفع سجان كليركانويل كاسه وقال ان جاك شبارد كريم القلب واني اشرب بسر اطلاق سراحه القريب . اجاب مارفيل ان عنيت بكلامك اطلاق سراحه الاخير في تيربرن فاني اشترك معك قلبًا وعملاً في هذه الكاس . قالت السيدة سيرلنك اومل بان لا يشاهد جاك بعينيه على الاطلاق هذا المحل المشوم ولو كنت من اصحاب الكلمة والنفوذ لما سمحت بان يشنق مثل هذا الباسل

لان قتلة احتقار مشين وجميع نساء نيفكات يذهبن مذهبي فلا يصادقن على شنق مثل هذا الشاب الجميل ثم التفتت نحو مارفيل عاشقها وصاحت عليك بان تقطع كل امل من الاقتران مني اذا لاسمح الله شنق الشيطان جاك شبارد فعمد العاشق الى الجواب ولكن اريتون سجان نيفكات قاطع حديثه وقال بصوت عال املئوا اقداحكم ايها الاسياد واسمعوا لي خبرًا اقصه عليكم في شان جاك شبارد وهو وعد صدر منه الى الموسيو كيبون الذي سبق له ان تعرف بجيبو في كنيسة ويلهسدين فان هذا الموسيو كان في جملة الزائرين لسجن نيفكات في هذا النهار وعند خروجه خاطب جاك على سبيل المزاح بقوله اني ادعوك في هذا المساء الى مناولة الطعام معي في بيتي فاجابه جاك قبلت دعوتك ويمكنك ان تتكل على كلامي وتنتظرني فلا بد من مناولة الطعام عندك

قال شونبولت سجان كليركانو يل ان كان ما تقوله صحيحًا فاني انصح لك ان تسهر على حراسته لان جاك شبارد لا ينكث بوعده

وعند ذلك ظهر في الباب امرأتان ملتفتان بردائين منسوجين من الحرير الناعم وهما ادجورث بيس وبول ماجوت فقال اريتون لا يسعنا ان ندخلهما الى سجنه لان جوناثان ويلد حرم علينا ذلك وغاية ما سمح به ان تكلماه من خلال النافذة ثم امر اوستين معاونه ان ينزل لمقابلتهما فانحدر اليهما وقال اتريدان ان تواجها زوجيكما جاك فها اليوم تكلما معه من هذه النافذة ولا تضيعا وقتكما سدى حيث لا يخفاكما قرب فراقه الابدي فعلا صوت ادجورث بيس بالنواح وقالت نعم صدر الحكم وعما قريب نفقده

قالت بول ماجوت وماذا كان منه عندما تلي عليه القضاء اجاب تلقفه بثبات يليق باعظم الابطال

قالت فعل المنتظر من شجاع مثله ثم دفعت الى اوستين دينارًا وقالت اذهب واشرب بصحته واتجهت مع رفيقتها نحو نافذة السجن لمشاهدة جاك وكان كليبان قد ذهب بامر السجان ليحل عنا له ويدعوه الى مواجهة امرأته وفي اثناء ذلك تجرد الامرأتان من ثوبيهما الطويلين العريضين ورميا بهما الى القرنة المحاذية للزاوية الخفاة خلف الحائط فظهر من اعتدال قامتهما ما استجلب اليهما انتباه اوستين فقال هل يامر سيدي اريتون بان انا ناظر هذه المواجهة فبادرت السيدة سبيرلنك الى قنينة من النبيذ وضعتها على المائدة امام الحراس وقالت لا حاجة للمناظرة فاني اكفيكما من هنا مونة هذه المهمة فيها الى الاقداح وكان جاك قد حضر الى النافذة بثياب النوم فقال يخاطب الامرأتين هل تمكنتما من ابعاد جوناثان ويلد

اجابت ادجورث بيس نعم فاننا اشغلناه عنك اليوم ولا خوف عليك منه

قال حسنًا فعلتما فقفا الان بوجهي واكثرا من النحيب والعويل لا اتمكن من اكمال نشر هذا

القضيب الحديدي فانه لا يلبث ان ينكسر لاني عالجته مدة يومين

فاطاع الامرأتان الامر وعلا من بينهما العويل والبكا والنحيب بما صمت له الاذان فانتهرها احد المعاونين وقال اذا لم تسكتا اخرجتكما خارجاً وطردتكما من السجن فوبخته السيدة سيرلنك على قساوته وقالت ان الامرأة لا تقوى على فراق رجلها المراد شنقه بدون ان تذرف دموع اليأس الغزيرة فاني فقدت اربعة رجال شنقاً ثم ارسلت تنهداً وقالت من لم يذق لم يدرِ فاجابها مارفيل لا تحزني يا حبيبتي فساكون لك خلف خير ان شاء الله عن ازواجك

و بينما كان جاك مشتغلاً في نشر القضيب وقد اشرف على النهاية كسر المنشار في يده فعض على لسانه غيظاً وقال كسر المنشار عند الحاجة اليه

قالت ماجوت الا تقوى على كسر هذا القضيب المنشور بيدك اجاب بصوت الحزين لربما لا استطيع ذلك قالت لا باس فلنجرب وقبضت للحال على قضيب الحديد تدفعه بعزم الى داخل الحبس وجاك شارد يعاونها بمنتهى قوته فكسر اخيراً وسمع لانكساره صوت حول اليهم الانظار فصاح اوستين ما هذا الصوت

اجاب جاك صوت قيودي الثقيلة فاكتفى منه الحراس بهذا الجواب وانصبوا على شرب المدام فقال عجلي بقطعة من الصوف لاتدارك بها قيودي فلا يسمع صوتها فبادرته يس بالمطلوب ففعل وقال اعطني يدك وعاونيني على الانسلال من هذه النافذة التي فتحناها فعاونته الامرأتان وبعد مخاوف كثيرة خرج منها واسل في الحال الى الزاوية المخفاة والسيدة سيرلنك تساعده على العمل بما تبذل من العناية لتحويل انظار الحراس عنه وكان خروج جاك من الابواب على مرأى من حراسه مستحيلاً فتغافلت ادجورت يس الحضور وذهبت بدون ان تراها احد وعمد جاك الى الحيلة فالتف بردائها واخفى راسه بقبعتها وكان اوستين قد لمح شيأ لا يندرج السلم فقال ذهبت واحدة من الامرأتين فعارضته السيدة سيرلنك وقالت لم يذهب احد فاقبل عليها مارفيل وقال كذبت فقد شاهدت وعلمت كل شيء . اجابت اصمت واياك وخيانتي قال لا اصمت ما لم تعديني بالاقتران مني فوعدته باجابة طلبه واذ ذاك دقت الساعة السادسة فامر السجان معاونه اوستين بان يقفل الباب الصغير ولظاهر جاك ورفيقته بانهما يودعان رجلاً في السجن وانصرفا فبادر مارفيل والسيدة سيرلنك الى النافذة يسندان اليها ظهريهما بما يخفي عن الحراس القضيب المكسور

وما بلغ جاك باب الدائرة الخارجي الا سمع وقع اقدام فظن بوقوع خيانة تعود به الى الاسر ووقف جامداً مطرقاً واذا اوستين يتبعه وهو يظنه ادجورت يس وقال وعدتني بقبلة وبرج من مالك ان تفي بوعدك فحالت بول ماجوت بين الاثنين وقالت الا تستعيض بي عنها فتقبلني بدلاً منها فاني ولحال لطمته على راسه فوقع على بعد خطوات كثيرة الى الوراء وكان السجان

ملاحظاً لهذه المداعبة فاستلقى على ظهره ضحكاً وصاح به ان اقفل الباب يا اوستين فاقفله وعاد ساكتاً الى مائدة المدام . اما جاك ورفيقته فانتفعا بما نشأ بعد ذلك من الضوضاء ونجيا بنفسيهما

وتذكر اريتون بعد برهة بان جاك شبارد ما زال محلول العقال فصاح بكاليبان ان اذهب واعقله في الحال ورغبت السيدة سبيرلنك بان تؤخر امد الاكتشاف على ما حصل من الفرار فدعت بكاليبان اليها وقالت اذهب اولاً واتنا بقنينة من الروم من غرفة المؤنة ثم اخذت تبحث على المفتاح في جيوبها ولا تهتدي اليه بما اطال زمان الانتظار فصاح السجان لا حاجة لنا بالروم فان جوناثان ويلد لا يلبث ان يحضر وقد شدد علينا بوجوب الحرس على جاك شبارد وما اتم كلمته الا ظهر جوناثان ويلد من خلال الباب فبادر السجان الى استقباله ويدخوله الى الدائرة انتصب الجميع واقفاً وكان وجهه العبوس ينذر بالتهديد وقد تجلت عليه لوائح الغضب والانتقام

فقال اريتون لم تأتنا بيو بلو يا سيدي حسب وعدك

اجاب . لا . . فقد ظهر فساد التعليمات التي اعطيت لي في شأنه وتحقق لديَّ بان الذي سعى في ايصالها اليَّ تعمد غشي . والان هل من جديد عندكم

قال ما من جديد خلاف مجيء امرأتي جاك لمشاهدته وانصرافها منذ قليل

فالتفت جوناثان في الحال نحو نافذة السجن وصاح بصوت مريع ماذا ارى . قضيب مقتلع نجا السجين

فاضطرب السجان وقال انك تفترض مستحيلاً يا سيدي

اجاب . لا بل ممكناً وحاصلاً واكيداً وعليك بالفحص فتتأكد كلامي فانطلق كاليبان الى داخل الحبس ثم عاد وهو يصيح نعم يا سيدي فرونجا وقد بحثت عنه ولم اجده

فصاح جوناثان وهاج الغيظ بخنقه اني اشك في صحة هذا الخبر . . فكيف يمر على ضوء النهار امام اعينكم جميعاً . . فقد اصاب يا اريتون من قال باستحالة هذا الفرار لان سجن نيفكات حصين متين لا يختلف في حسن حراسته اثنان . فانت الذي سهلت فراره يا اريتون

اجاب السجان خائناً ولكن يا سيدي

قال نعم انت الذي ساعدته على النجاة واذا لم تجده فلا تطمع بحيوة يمتد امدها الى اكثر من ثمانية ايام وانت تعلم ان تهديدي لا يذهب ادراج الرياح وكلامي لا يقتصر عليك بل يعم رفيقيك اوستين ولانجلاي

فصاح الحارسان ولكن يا سيدي

قال كفى فقد سمعتما ارادتي . . وانت يا مارفيل مذنب ايضاً

اجاب مارفيل انا

قال وحرمة شرفي اذا لم يقبض على جاك شبارد في هذا الاسبوع قدمت من الحضور خلفًا له يشرب كاسه آثره

اجاب مارفيل انما اثق يا سيدي . . . فبا لت عليه السيدة سيبرلنك وقالت اياك والاقرار فانكث بوعدي لك ولاحظ جوناثان اهتمامها فقال انك مديونة لي بمركزك فاذا تحقق لديّ اشتراكك في هذه الجريمة نلت مني جزاء اعمالك

اجابت ولكني لا امتنع وقتئذ من اداء الشهادة اذا كلفني اليها القبطان درايل

فعظم غضبه وقال هل بلغ من قدرك ان توعديني بالشر ولكنه عاد فقبض على زمام نفسه وقال وهو يخاطب اربنون اي متى ذهبت النساء من هنا

اجاب منذ خمس دقائق

قال فلينطلق بعضكم الى فندق النقود ويتفرق الاخرون في جميع جهات المدينة باحثين عليه في كل صوب ومن يقبض عليه له مني مائة ليرا استرلينية جائزة ثم خرج من الدائرة يتبعه اربنون ولانجلاي

فصاح شوتبولت ان مائة ليرا استرلينية جائزة كبرى لا تحتقر ولكن هل تظنه يا وستين صادقًا بوعده . اجاب نعم فهو لا يتاخر دقيقة عن دفع المبلغ لمن ياتيه بجاك شبارد فذهب شوتبولت وهو يقول في نفسه اذا صح فكري وانجز جاك وعده بان تناول العشاء في هذا المساء عند الموسيو كيبون قبضت عليه في هذا الليل واحرزت قبل صباح غد المبلغ بتمامه

زيارة جديدة في دوليس هيل

فلندع جاك شبارد جادًا في اتمام خطة فراره ونتنقل بالمطالع الى قصر دوليس هيل وهو مسكن المستر ود حيث اقبلت ويتغريد تفتح بابًا لغرفة تلقي على المشي وافتربت بسكون من فراش تضطجع عليه امرأة ينذر اصفرارها واهزالها بما تعانيه من الاوجاع فتاملتها مليًا وقالت فليتمجد اسم الرب فقد نجع بها الدواء ونامت اخيرًا ولجمال اثار جلية في وجهها ولكن وا اسفي ان مثل هذا الاصفرار لا يومل بجانبه شفاء

وبالحقيقة ان ظلام الموت كان مخيمًا عليها وهي ساكنة الحركة لا يدل على ما لها من رمق الحيوة الا دقات قلبها الخفية فتنهدت وينغريد وقالت يا لله ما اسوأ حظ هذه المريضة المسكينة «السيدة شارد» فاني عند ما افكر بما تقاسيه في يقظتها من الالام اود لو نبقى على الدوام في غفلة الراحة ومن عجائب الله الغريبة ما تاتي لها عن ضربة جوناثان و بلد من رجوع عقلها اليها بعد ان كادت تبلغ بها ابواب قبرها وعند ذلك تحركت المريضة وفتحت عينيها الكبيرتين وارسلت تنهدًا عميقًا ثم وضعت يدها على جبهتها . وقالت اين انا

اجابت ويتغريد بين اصحابك واحبابك يا عزيزتي فاجهدت المريضة نفسها على التبسم وقالت انا هنا بجانب حبيبتي ويتغريد . . ولا اسفي كيف اخشى على الدوام من العود الى المكان المخيف الذي تركته

قالت الصبية لا تخفي لان ابي وعد بان لا يتخلى عنك بعد الان

اجابت بحرارة كم انا مديونة لك ولابيك بالجميل فلولاكما لما رجع اليّ عقلي وصحتي فالرب العلي يحسن عني مجازاتكما ثم جلست بغتة في فراشها وقالت ما الخبر عن ولدي .اجابت الفتاة عما قليل تصلنا اخباره لان نيس ذهب لهذه الغاية الى لوندرا ونحن بانتظار رجوعه من دقيقة الى اخرى ثم اعارت انتباهها الى الخارج وقالت حضر نيس وهذا صوت مسير جواده

فصاحت السيدة شبارد تحنن عليّ يا الهي

وبعد مرور دقيقة من الزمان كانت في اعين الارملة بمقام جيل من الاجيال دخل المستر ود ونيس درايل الى الغرفة وكان الثاني لا يزال متأثرًا من الجراح التي اصابته في الجنينة من اعدائه فالقت اليه السيدة شبارد نظرًا ثابتًا وقالت تكلم يا ولدي . .الموت او الحيوة

اجاب بصوت حزين قطع الامل واضمحل الرجاء

فصاح ود اشفق عليها يا الهي وغطت ويتغريد وجهها في احضان معشوقها لتخفي دموعها اما الارملة فلم تلفظ كلمة ولكنها اصيبت بدهشة الموت فوقعت على فراشها خائرة القوى بدون حركة ولكنها عادت فانتصبت فجأة على اقدامها وعينها ثابتة تقدح شرارًا وقالت في اي يوم يحتمل ولدي الام الموت

اجاب نيس يوم الجمعة .قالت ما بقي لولدي اذًا في قيد الحيوة الا ثلاثة ايام . . ثلاثة ايام معدودة مريعة وكان منظرها وجمود عينيها ينذران بامكانية عود الجنون اليها فبكى لحالها المستر ود واما هي فاكملت حديثها وقالت ثلاثة ايام فقط . .ثلاثة ايام وكل شيء ينتهي . . . فهاقد نصبت المشنقة وهي معدة للعمل امام اعيني ثم صاحت باعلى صوتها واعترتها رجفة عصابية شديدة فرفعت يديها تغطي بها اعينها كانها تحجب عنها مناظر جهنمية فقال ود لا تيأسي يا جوكلين . .لا تيأسي يا حبيبتي فارسلت ضحكة شديدة فعلت في قلوب الحضور فعل الخنجر الحاد وقالت لا تيأسي . . لا تيأسي . . ومن ترى يعزيني على ولدي . .فقد بكيت كثيرًا حتى عميت عيوني وتالمت كثيرًا حتى تمزقت احشائي وقلبي وساعدم ولدي ايضًا فيقتل امامي وماذا يبقى لي من بعده خلاف اليأس والجنون ثم مسكت بيدها المرتجفة المستر ود من ذراعه وغيرت لهجة صوتها فقالت هل تعدني يا ود بان تنفذ وصيتي .اجاب نعم اعدك واقوم بوعدي قمري .قالت عدني بان تدفني مع ابني في قبر واحد تحت شجرة السرو في مقبرة وبلسدين .اجاب لبيك .قالت اني اشكر لك احسانك وفي

هذا المساء اريد ان اشاهد ولدي

قال نيمس لم تعد مشاهدته اليوم في الامكان فانتظري الى الغد فارافقك اليه

قالت . غدا يفوت الوقت وقلبي ينبهني الى ذلك فاذا لم اره في هذا الليل لا اراهُ الى الابد واريد ان اباركهُ قبل موتي والله لا يبخل عليَّ بقوة استعين بها على الوصول اليه ثم التفتت الى من حولها وقالت دعوني يا اصحابي وحدي لاني في حاجة الى الوحدة لاصلي عن نفس ابني فسارع الحضور الى الخروج واغلقوا عليها الباب من الخارج بالمفتاح ولما انفردت في وحدتها جثت على ركبتيها وانكبت على صلوة حارة ذهبت بحواسها وافكارها عن الوجود فلم تشعر بالاصوت بجانبها معروف منها حتى المعرفة ينادي اماه فانتبهت وفي الحال صاحت بصوت الفرح المقرون بالمصائب وسقطت بين ذراعي ولدها جاك مغياً عليها فضمها جاك الى صدره متنهدا وقال امي . . عزيزتي اني لست اهلاً لان اقابل منك بمثل هذا الفرح العظيم فعادت السيدة شبارد الى روعها وقالت جاك . . جاك . . اين الاعداء يطاردونك . . فالهرب . . الهرب . . الفرار . . الفرار . . دعني اعانقك العناق الاخير واذهب

اجاب . قبل ان افارقك اريد ان اسمع من فمك كلمة الصفح فاغفري لي يا امي وسامحيني

قالت بالله يا جاك لا تعود الى مكالمتي بهذه الالفاظ فان قلب امك ممتلىء بحبك بما لا يساع معهُ حقداً عليك ثم مسكتها رعشة الخوف ومدت يديها نحو النافذة التي دخل منها جاك واهملت اقفالها كانها تريد ان تدفع عنها شراً منقضاً عليهما . وصاحت جوناتان . . جوناتان

فالتفت جاك واذا جوناتان امامه في النافذة فصاح خيانة . . خيانة عظيمة . . . . وليس لي سلاح ادافع به . . وما من مفر من وجه عدوي وصاحت السيدة شبارد بصوت عالٍ النجدة . . النجدة

فوثب جوناتان الى داخل الغرفة وقال ان كانت حياة ابنك عزيزة لديك فاصمتي لان صراخك لا يفيده بل ربما زاد في بلائهِ وكل من جاء ملزوم بان يساعدني على ايقافهِ فوقع من كلامهِ على جاك وامهِ ثبات الخمول وبقيا صا يتطلعان بجمود اليه وقد ترأى لاعينهما طويلاً قديراً بما يشبه عفريتاً رجيماً وكان فصلاً عن سلاحهِ العادي قضيباً ضخماً من الحديد معلقاً بسلسلة من المعدن في مفصل يدهِ و بعد سكوت قصير قال على لك ان تتبعني بدون مقاومة فلا تلجئني الى استعمال القوة

اجاب تعرف ذلك اذا سولت لك نفسك ان ترفع يداً على جاك شبارد

قال ولكن رجالي على مسمع صوت مني . وانا مسلح . وانت بدون سلاح

اجاب انك صادق في كلامك ولكني لا اسلم نفسي حياً فرمت السيدة شبارد بنفسها على

قدمي جوناتان وقالت اشفق على ولدي وارحم دموعي فانهضها جاك وقال لا اريد من هذا الخائن رحمة . . ومن كان مثلي لا يخشاه ولا يرهبه فرفع جوناتان قضيب الحديد الحمما فوق راسه ولكن ارادته تغلبت على حنقه فعدل عن العمل وصاح هل تفكر يا جاهل ان ليس في وسعي ان اقبض عليك لو لم يكن لدي من الاسباب ما يحملني على الرفق بك

اجاب ان السبب الوحيد لرفقك هو خوفك من بامي

فصاح خوفي . . . الفظ هذه الكلمة مرة ثانية واثبت امامي ان كنت شجاعاً

فارسلت الارملة الى ابنها نظرة الشدة وقالت لا تغيظه يا ولدي فلربما تكون نوأياه حسنة

فالتفت جوناتان اليها وقال انك اعقل بكثير من ولدك

فصاحت السيدة شبارد خلصة . . خلصة يا جوناتان . . فاسامحك واشكرك واباركك . قال لي شرط واحد اقترحه عليك فاذا قبلت به نجا ابنك اجابت الارملة وما هو شرطك قال ان تذهبي معي بدلاً منه فصاحت خذني . . خذني فاني طوع يديك ورمت بنفسها نحوه

فمسكها جاك وقال لا تقتربي منه ولا تصدقيه فمن تحت رماد هذا الكلام نار تتاجج بالشر

اجابت وهي تقاوم للتخلص من ولدها . دعني اسير بصحبته

قال جوناتان اتبعيني . . اتبعيني يا جاكولين ولا تسمعي له فاني اقسم لك باني اخلص حياتة واكون له نصيراً وصديقاً اذا قبلت بالاقتران مني بحيث تكونين امراة شرعية لي

فصاح جاك اه من اللص الشقي وحولت الام المسكينة نظرها نحو ابنها وقالت وعد يا ولدي بخلاصك وايد وعده باليمين

اجاب اصغي لكلامي يا امي واعلمي بانه لم يتقدم اليك بهذا الطلب الا لتأكده بانك الوارثة الشرعية لعائلة السير مونتاكيت ولا يحول بينك وبين هذا الارث الا وجود اثنين وهما تيمس درايل والسير رولاند فاذا فقدا عادت الثروة بكليتها لك او بالحري له ايضاً اذا كان قرينك فهل فهمت الان

قالت لا اريد ان افهم غير خلاصك يا ولدي

قال جوناتان اصبت ولكنك ستربحين انت ايضاً نصيبك من هذه الثروة

اجاب كذبت لانك لا تجهل تجردي عن حق الارث بعد ان حكم عليَّ بالاعدام . فاني احتقر تطلباتك وامي لا تتنازل الى حد ان تقترن منك

فصاح تتنازل . . وهل تزعم اني ارضى بالتاهل بامرأة مجنونة كامك لو لم يكن لي منها كسب مزيد . فصاحت الارملة صدق . . صدق . . فاني لا احسن الا له خذني . . خذني . . فتقدم جوناتان نحوها ولحال عارضه جاك وصاح بصوت غضوب . ارجع الى الوراء واحذر من ان

فجسها بيدك . وانت يا امي عودي الى منزلك ولا تبيعي نفسك من هذا الظالم
. قالت اني ابيع نفسي وجسدي في سبيل نجاتك

فتح جوناتان ذراعيه وقال تعالي اليّ فارتاعت لمنظره وصاحت خلصني يا ولدي وكان جوناتان قد قبض على الارملة يجرها نحو النافذة وهي تصيح مستغيثة فانقض عليه جاك وشد على عنقه ولكنه تخلص منه اخيرًا وضربه بالقضيب الحديدي فوقع على الارض صريعًا ثم ارسل صفيرًا عنيفًا طويلاً ولما لم يجبه احد صاح خيانة . . خيانة . . ولكني لا اذهب خاسرًا وبادر الى الارملة يجرها وهي تستغيث واذ فتح الباب ودخل تيمس والمسترود يتبعهما رجال مسلحون فهجم تيمس على خصمه والسيف في يده فاتخذ له جوناتان من جسد الارملة المسكينة مترسًا منيعًا اعانه على النجاة من سيوف مطارديه وصاح اليّ يا كيلت . . اليّ يا ارنولد

قال تيمس لا تتعب نفسك بالصراخ لان رجالك في قبضة يديّ فسلم نفسك

اجاب ابدًا

فوجه المسترود فرده نحو جوناتان وقال . اترك هذه المسكينة كفى تعذيبها فرمى بالارملة وكان مغميًا عليها الى تيمس وقال خذها ثم انسل من النافذة واختفى

فصاح تيمس برجاله اتبعوه . . اتبعوه . . ولا تمكنوه من الفرار فسارع الجميع الى اطاعة الامر وكان جاك قد عاد الى وعيه فاقترب منه تيمس وقال جاك . . جاك ان الوقت ثمين فاسرع بالفرار ان استطعت وجوادي على الباب وفي سرجه فردان فاركبه وسر على بركات الله

قال جاك لديّ افادات مهمة اريد ان اعلمك بها

اجاب . ان الوقت لا يسمح الان بالافادة فعجل بالفرار

قال عدني بان توافيني عند نصف الليل الى ويكستريت امام منزلنا القديم لنسعى في اخفاق مساعي اعدائك

اجاب ساوافيك في الوقت المعين فاتكل عليّ

قال اودعك والملتقى نصف الليل ثم قبل امه وامتطى جواد تيمس وانطلق مسرعًا نحو لوندرا

جب الشيطان

عمد جوناتان بعد ان فاز بنفسه ونجا من مطارديه الى البحث عن معاونيه وكان قد اوقفهم بقرب المنزل ولما لم يجدهم سار الى حيث ترك عربته فراها منقلبة الى الارض والسائق ممدد بجانبها وقد عهد بحراستها من قبل تيمس درايل الى رجليت فتقدم نحوها والسيف في يده باخافها فوليا الادبار من امامه وكان معاوناه مشدودي الوثاق في العربة ففك قيودها وامر السائق بان يعجل في المسير فسارت الخيل تعدو بهم طفاحًا الى لوندرا حيث بعث

بمعاونيه للبحث عن جاك شبارد واتجه نحو سجن نيفكات وبدخوله الى دائرة الحراس دقت الساعة التاسعة وكان السجان مهتماً في اخراج الناس الذين تواردت الى السجن بما بلغها عن فرار جاك شبارد واذيع الخبر بين جموع الناس باعلانات نشرتها الحكومة باحرف كبيرة ولصقتها على جميع جدار المدينة وصورتها

ان كل من يوقف جاك شبارد او يودي الى الحكومة الاعلامات الوافية بايقافه يكافى على ذلك بمائة ليرة استرلينية تدفع له من يد سجان نيفكات

وبينما كان جوناثان يحادث اوستين وقد اخفى عنه خبر مواجهته لجاك دخل اريثون السجان وقال ان جميع ابحاثنا على الثار ذهبت ضياعاً فقد زرنا جميع المحلات التي يومل وجوده فيها عبثاً

قال اوستين ان الموسيو شوتبولت يدعي بانه قادر على ايقافه ولكنه يرغب في ان يتاكد صدق وعدك بدفع المائة ليرا قبل المباشرة في العمل

فصاح جوناثان وهل سبق لي ان نكثت بوعدي فقل لشوتبولت وغيره باني مستعد لان ادفع المائة ليرا مضاعفة لمن ياتيني بجاك شبارد قبل صباح غد . . فهمت

اجاب نعم فهمت

قال مائتين ليرا استرلينية ادفعها لمن يقبض على جاك قبل صباح غد مقرونة بشكر جوناثان ويلد فاعلم بذلك جميع اصحابك ورفقائك وخرج . فصاح اريثون وربي ان الجائزة كافية وافية لايوسف بجانبها على التعب فمائتا ليرا من جوناثان ويلد يضاف اليها مائة ليرا من الحكومة ليست بعوض قليل للمخاطرة بالقبض على جاك شبارد وانا احق بها من شوتبولت ثم امر اوستين بان يضاعف الحراس وينوب منابه في ملاحظة السجن وذهب فبقي اوستين وحده يندب سوء حظه اذ لم تسمح له الظروف بالمسير كغيره من رفقائه وراء هذه الجائزة الثمينة

وذهب جوناثان بعد خروجه من نيفكات الى منزله حيث امر البواب بان ينطلق خلف جاك شبارد مع غيره من الباحثين بما حمله على الارتياب في نوايا سيده حيث لم تسبق له العادة بذلك ولما خلا المنزل بجوناثان صعد الى قاعة الاستقبال وجلس على كرسي عرضة للتاملات العميقة وبعد برهة انتصب نعيين تنبعث منهما اشعة الشر بما يظهر منه انه عقد عزماً شريراً دفع اليه بعوامل الياس وقال وهو يمشي بخطوات سريعة في ارض القاعة . نعم . . اعتمدت . . واعتمادي ثابت لايتزعزع . . فلربما لااجد فيما بعد فرصة موافقة للعمل كهذه ثم فتح خزانته فاخرج منها زوجاً من الكفوف وورقة وضعهما بجانبه وعاد فاغلقها بمزيد التحرس وعمد الى فردية وسينه ففحصها بدقة ثم الى قضيبه الحديدي فاعمل فيه النظر وقال هاك السلاح المأمون العاقبة فهو مفضل على غيره

وساستخدمة لاتمام بغيتي و بعد ان انتهى من فحص السلاح تقدم نحو الحائط يضغط باصبعه على لولب فيه ففتح باب خفي ظهر من ورائه جسر ضيق يمتد على هوة عظيمة مستديرة يظهر من فيها المسع انها جب عميق مظلم سماه جوناتان بجب الشيطان و ينتهي الجسر المذكور بدرجات تقود الى باب كان وقتئذٍ مفتوحاً فقطع جوناتان الجسر واقفله واخرج المفتاح من القفل ثم عاد و بوصوله الى منتصف الطريق قرب قنديلة من فم تلك الهوة الجهنمية يتامل عمقها المظلم وكان في اسفلها مياه قليلة مسودة ثم ترك الباب الموصل اليها مفتوحاً ورجع الى قاعة الاستقبال فاخرج لحماً وعرقاً ونبيذاً وبدا يشرب و يأكل و بعد نهاية الطعام سمع صوت قرع الباب فبادر الى فتحه وكان القارع كيلت ارنولد وابرهيم مانديز فاعلماه بانهما لم يتوفقا الى ايجاد جا له شبارد فامر جوناتان كيلت ارنولد بان يسرع الى معاودة البحث وان لا يرجع بدون الغريم وادخل ابرهيم مانديز الى المنزل واقفل الباب من خلفه وقال اني في حاجة اليك لمعاونتي في العمل الصغير الذي اخبرتك عنه في هذين اليومين فاصعد الى فوق حيث اعددت لك عرقاً جيداً ثم سار واياه الى القاعة وهنا لك ناوله قدحاً كبيراً من المدام فازدرده دفعة واحدة ومدح من جودة المشروب فقال جوناتان ان هذه القنينة هي لك تشربها بعد نهاية المهمة

اجاب . واي مهمة تريد ياسيدي . قال مهمة روفلاند فاني بانتظار حضوره في كل دقيقة . . فعندما تدخلة عليّ اختفي وراء الرداء واحذر من ان تبدي حركة تكشف عن مكان وجودك قبل ان الفظ الكلمات الاتية وهي . . . امامك ياحضرة السير سفر طويل . . . وهذه العبارة هي علامة العمل بيننا . قال مانديز احسنت ياسيدي لان سفره بعدها سيكون طويلاً شاقاً . واذ قرع الباب

فصاح جوناتان ها هو قد حضر فاسرع وادخله اليّ واياك لا تظهر من هيئتك ما يحمل على الارتياب قال لاتخف وحمل القنديل وخرج وبقي جوناتان وحده فارسل نظراً عاماً الى جميع جهات القاعة وهيأ كرسياً ادار ظهرها نحو الباب لجلوس ضيفه الجديد ووضع القنديل على المائدة بما جعل مدخل القاعة مظلماً ثم جلس مكانه ينتظر قدوم السير روفلاند واذا به قد دخل يلتف برداء مسع وجلس على الكرسي المعدة له وكان ابرهيم مانديز قد وضع القنديل بقرب مدخل الجب واقفل بتحرس باب القاعة وانزوى مختفياً وراء الباب المذكور بما اوهم السير روفلاند انه خرج فخلع رداءه والقى على المائدة كيساً ملآناً بالذهب فرح جوناتان في الحال الى فتحه وعده ثم دفع اليه رزمة من اوراق البنك فتاملها وقال ان اعمالك تؤيد شرفك ياحضرة السير فقد وفيتني المبلغ الذي اتفقنا عليه بتمامه قال روفلاند نعم فاكرم عليّ بالوصل

اجاب ما من لزوم له ومع ذلك فاني لا ابخل عليك به ما دمت ترغب في الحصول عليه

وكتب على ورقة ماصورته

وصلني من السير روفلاند مبلغ خمسة عشر الف ليرا استرلينية تحريراً في ٢١ اب سنة ١٧٢٤ كاتبة جوناتان و يلد

وقال هل يكفيك ذلك

اجاب يكفي وهذه المعاملة في اخر المعاملات بيننا

قال اومل ان لايكون كذلك

اجاب السير روفلاند بل هكذا يكون ومن الان اودعك وداعاً اخيراً حيث ما عدت تراني في لوندرا . وقد دفعت لك هذا المبلغ العظيم عن غير استحقاق منك لانك لم تفِ الى الان بشيء من تعهداتك . واعتمدت على السفر الى فرنسا حيث امضي فيها الباقي من حياتي اما من جهة ابن اختي فقد اتخذت الاحتياطات الوافية لارجاعه الى حقوقه بعد موتي

اجاب جوناتان وقد ظهرت عليه اثار القلق اومل باحضرة السير ان لايكون فيما اتخذت من الاحتياطات شيء مس لي قال ما دمت حياً لااتخذ شيئاً وانما لايمكني ان اجيبك عما سيأتي عليك بعد وفاتي

فصاح جوناتان مضطرباً ياللبلاء ان هذا العمل قد غير كنه المسألة ثم التفت بالسير روفلاند وقال اي متي اعترفت بخطاياك ياحضرة السير اجاب بخشونة لا يعنيك . قال اني لا اثق بكهنة استامنتهم على سرك فاخبرني اي متى حصل منك ذلك

اجاب قبل مجيئي لمواجهتك فارسل صوتاً على غير انتباه منه ونهض واقفاً متردداً في افكاره يعلوه اصفرار الاضطراب فقال روفلاند ان اشغالي تدعوني الى التعجيل في مبارحة منزلك وانما اريد قبل ذهابي ان تمدني بالمعرفة عن اصل تيمس درايل. اجاب لبيك فقد تنبأت قبل حضورك بما سيكون منك بجهة هذا السوال وهيأت لك الاوراق المتعلقة و خذ اولاً هذه الكفوف وحقق فيها نظراً فانها كانت في يدي ابي تيمس درايل في نفس ليلة مقتله ومن الاكليل الكونتية المرسوم عليها تعلم حقيقة درجة صاحبها في الهيئة الاجتماعية

فارتجف روفلاند وقال يظهر ان الرجل كان شريفاً

اجاب جوناتان وقد دفع اليه ورقة مطوية ان هذا التحرير يطلعك على الحقيقة

فنظر روفلاند اليه وصاح مرتاعاً ماذا ارى . . فاني اعرف هذا الخط . . وهو خط صديق صادق لي قتلته ولم اراعِ حرمة صداقته . . وااسفي ان اختي المسكينة كانت صادقة في كلامها وعلها . . . قاه . يالهي . . اه ياالهي . . . ما اعظم جنايتي

قال جوناتان بشراسة ان ندمك جاء بعد اوانه ياحضرة السير

اجاب روفلاند لا . لم ينت الوقت بعد فلا بد من القيام بالترضية الواجبة عليَّ لابن شقيقتي ومن الان اباشر العمل فارد اليه جميع املاك العائلة وفي هذه الليلة نفسها اسافر الى مانشستر

اجاب جوناثان الاصوب ان تتناول قبل ذهابك شيئًا من المرطبات لان « امامك يا حضرة السير سفر طويل » وللحال انقض ابرهيم مانديز على السير روفلاند من خلفه فقطع راسه بقطعة من الجوخ الطويل وشد باطرافها اليه وفاجاه جوناثان ويتقدم من الامام بقضيبه الحديدي المخيف يضربه بعزم على راسه فتدفقت بذلك ينابيع دمائه فعام الجوخ بالدماء وجوناثان مداوم الضرب بما الجأ الجريح الى دفاع الياس فمزق بيديه الغطاء المحدق براسه بما كشف عن وجه غارق بالدماء وكان المشهد مخيفًا الى حد ان اصفرت له القتلة وتاخروا الى الوراء يروعهم هول منظره فصمد روفلاند وهو في غيبوبة النزع الى سينو وكان ابرهيم مانديز قد جرده من غمده واخفاه ولما لم يجده ارسل تنهدًا عميقًا ولم يلفظ كلمة فصاح جوناثان أجهز عليه وكان قد رفع السير روفلاند يديها المرتجفتين يمسح بها الدماء السائلة على عينيه بما يولف حجابًا كثيفًا فشاهد الباب الموصل الى جب الشيطان مفتوحًا واندفع الى داخله هاربًا

فصاح جوناثان القنديل . القنديل فلباه ابرهيم مانديز بان حمل الضوء وتقدم واياه الى جهة الجب حيث اشتبك ثم قتال عنيف مخيف بين جوناثان وخصمه فان السير روفلاند كان قد قطع الجسر مذعورًا ورمى بنفسه نحو الباب الخارجي عند منتهى السلم الصغير ولما لم يتمكن من فتحه انقلب راجعًا لمقاومة قتلته فانقض على جوناثان وتعارك واياه جسمًا لجسم وكان الجسر يموج تحت اقدامها بما رجح لدى ابرهيم مانديز امكانية سقوطه بالمتقاتلين فلم يجسر على التقدم لنجدة مولاه وبقي جامدًا على عتبة الباب ينظر اليهما خائفًا والقنديل بيده ولم تدم هذه المعاركة المحتدمة بنار الياس زمانًا طويلًا حيث ما لبث جوناثان ان استخلص يده اليمنى من خصمه وضربه بقضيب الحديد ضربة شديدة انفقلت لها راسه ثم رفعه بيديه يعينه على ذلك احتدام الغيظ الى ما فوق درابزون الجسر ورمى به الى الاسفل فتوصل السير المسكين بما يتولد في الانسان من تنبه القوات العصابية عند النزاع الى التمسك بالدرابزون بعزم وصاح وخيال الموت ظاهر في عينيه ارحمني ياسيدي ارحمني

فلم يجبه جوناثان الا بالبحث على سكين يقطع بها قبضتي فريسته ولما لم يجد لجأ الى قضيبه الحديدي فكسر به قصبته اليمنى وسحق سعليه اليسرى فهوى القتيل الى اسفل الجب وسمع لسقوطه في الماء صوت عنيف فصاح جوناثان القنديل القنديل

فحول ابرهيم مانديز باشعة ضوئه الى قاع المكان بما كشف عن السير روفلاند يخبط بدمائه على وجه الماء وهو يجهد القوي عبثًا في طلب تسلق الجدار فصاح الخادم اطلق عليه الرصاص ياسيدي وضع حدًّا لما يعانيه من ضروب العذاب اجاب لا حاجة لذلك فالموت امامه كيفما اتجه ثم سمعا دين

القتيل وكان يتناقص و يضعف من دقيقة الى اخرى الى ان انقطع تماماً فقال جوناتان فضي الامر فلنذهب الى القاعة وتقدما نحو الباب فاذا هو مقفل عليها وكان من المستحيل فتحهُ من الداخل فصاح جوناتان ماذا فعلت يا ابرهيم فقد حجرت علينا الى الابد في هذا السجن الجهنمي

اجاب ابرهيم مرتبكاً ولكنهُ يمكنا النجاة يا سيدي من الباب الثاني

قال انهُ محصن بالقضبان الحديدية فلا يسعنا منهُ نجاة

اجاب علينا اذاً بالاستغاثة

فصاح جوناتان بصوت مخنوق مرتجف ومن يمكنهُ ان يصل الى هنا يا شقي وهل نسيت لما تركنا في القاعة من الذهب والدماء . . . فان جبنك هو منشأ كل هذا البلاء . ولا اعلم ما الذي يوقفني عن الاقتصاص منك فازج بك الى الهاوية

العشا عند الموسيو كيبون

كان الموسيو شوتبولت على اتم الاقتناع بان جاك شبارد لا يتاخر عن ان ينجز بوعده ويتناول العشاء عند الموسيو كيبون بما قوي به امل التوصل الى القبض عليه فسار من نيفكات الى سجنهِ الجديد يهيء معدات العمل وبقي مدة يتردد بين ان يذهب وحده او يستصحب رفيقاً ولكن حب الاستئثار بالمال تغلب اخيراً على الخوف فاعتمد على الانفراد في المهمة والجائزة بحيث لا يكون له شريك فيها فتدجج بالسلاح الى اسنانهِ وتأبط بحزمة من الحبال وانطلق في قضاء مهمتهِ وقبل الذهاب الى ويكستريت مر بسجن نيفكات يتفقد الاخبار فاعلمهُ اوستين بان جوناتان ويلد ضاعف الجائزة والحكومة وعدت بمائة ليرا اخرى بما يولف مجموعه ثلاثمائة ليرا استرلينية تدفع لمن يقبض على جاك شبارد فطار لذلك سروراً وقال لا تنم يا اوستين في هذا الليل اجاب ولماذا قال لانك لا تلبث ان تستفيق بقدوم السجين قال اوستين اني على يقين من عدم نجاحك وان شئت راهنتك على ذلك بعشرين ليرا انكليزية اجاب شوتبولت عقدت المراهنة بيننا فان جئت خاسراً دفعت لك المبلغ والا استوفيته منك فيكون مجموع ما ساقبضهُ غداً ثلاثمائة وعشرين ليرا انكليزية ثم نادى بالسيدة سيرلنك وقال اشهدي على صحة هذا العقد وانصرف فارسلت السيدة سيرلنك كالبهان من خلفهِ وقالت سر في اثره بحيث لا يراك وعد اليَّ بالصحيح من اخباره

واتجه الموسيو شوتبولت بعد مبارحة نيفكات يقصد منزل الموسيو كيبون فاستاجر في طريقهِ مفعناً بحملة اثنان امرهما ان يتبعاه عن بعد و بوصوله الى جوار المنزل اشار اليهما بالوقوف ثم ادخلها الى ممر مظلم وقال انتظراني الى ان ارسل اليكما من يدعوكما اليَّ لاني من ضباط الحكومة ومرادي ان اوقف رجلاً جانياً اعهد به اليكما فتحملانهِ على مقعدكما وتسيران بهِ سريعاً الى نيفكات

قال الرجلان وماذا تدفع لقاء ذلك يا حضرة الضابط اجاب خمس ليرات استرلينية ادفع

لكنامعها الان ليرقون سلفًا

قال فاتكل علينا اذاً ياحضرة الضابط وثق بان اسيرك لايسهل عليه الفرار من مقعدنا كما سهل على جاك شبارد الفرار من نيفكات

اجاب عفاكما الله وتقدم نحو الباب يقرعه ففتح له خادم فسأله عما اذا كان الموسيو في المنزل واذا به اقبل برداء النوم وقال انني امامك مستعد لخدمتك فماذا تريد

اجاب اريد ان ارفع اليك كلمة سرية فهل لك ان تسمعها لي

فامر الموسيو كيبون خادمه بان ينصرف عنهما الى المخزن وقال تكلم الان

اجاب شوتبولت ان جاك شبارد فر من نيفكات

قال دعنا من الهزيان فاني منذ ساعات قليلة نظرته مكبلاً بنحو نصف قنطار من الحديد ومحجوراً عليه في امكن واحصن قاعة من نيفكات . فلا اظن كلامك صحيحًا

قال لا ياسيدي لا لشك في صحة الخبر فهو اكيد ثابت وقد كنت في سجن نيفكات ساعة الفرار ولا بد من حضوره لمناولة العشا عندك حيث وعدك بذلك ثم اطلعه على خطته وما عزم عليه

اجاب كيبون لاباس فاني لا اقاوم في ايقافه وانما لاتكل على مساعدتي في اجراء هذا الايقاف واذا انجز جاك وعده وحضر لمناولة الطعام عندي فيكون من واجباتي ان انجز له بوعدي ايضًا فلا امكنك من القبض عليه قبل نهاية العشاء

قال لامانع من ذلك بشرط ان لاتمكنه من الفرار ثم دخل واياه الى قاعة مدت فيها مائدة العشاء فسأل شوتبولت اين يمكني الاختفاء ياسيدي اجاب تحت المائدة وغطاؤها الطويل يحجبك عن الابصار فلا يراك احد وهو خير مكان للاختباء

قال شوتبولت ولكن ياسيدي ماذا يكون منك اذا استصحب جاك معه بوبلو او غيره من اللصوص اجاب آتي لنصرتك فتتعادل القوتان قال احسنت وانسل الى تحت المائدة

فقال كيبون اذكر ما قلته لك والحذار من ان تظهر قبل نهاية العشاء اي قبل ان اقرع لك بيدي قرعتين على المائدة ثم امره بان يسكن في مكانه ويلازم السكوت حيث مراده ان يدعو الخادمة لقضاء بعض الحاجات وقرع الجرس فحضرت في الحال فتاة جميلة الوجه حسنة الطلعة فقال كيبون زيدي ياراشيل في عدد المعدات واكثري الطعام لاني بانتظار ضيوف ياكلون على مائدتي . اجابت الان . قال نعم وحضري لنا ايضًا عدداً من قناني النبيذ الجيد . اجابت وهل لك ما تريده غير ذلك قال لا حيث لا ارى لزومًا لاستخدام اواني المائدة الفضية . قالت الظاهر ان ضيوفك لايستحقون هذا الاكرام . اجاب لربما ورفع طرف الغطاء فظهر شوتبولت من تحت المائدة وصاحت الفتاة مذعورة ماذا ارى . . رجلاً . . قال شوتبولت طوع امرك ياسيدتي

قال كيبون كفى الان واذهبي لاتمام اوامري فاطاعت وهي في تشوق مزيد للوقوف على الحادث وما لبثت ان رجعت تحمل طعاماً ونبيذاً . فقال كيبون ان الرجل الذي دعوته للعشاء في هذا المساء هو من افراد الناس

قالت اتعني الرجل الجالس تحت المائدة . اجاب لابل غيره . قالت ومن يكون

اجاب . جاك شبارد فصاحت جاك شبارد . . . اللص الشهير . . . اني كنت اظنه مسجوناً في نيفكات . قال نعم ولكنه خرج منه وسيعود اليه بعد العشاء . اجابت له لو تيسر لي معرفته لان الناس تمدح كثيراً من جماله واعتداله يا شوقني الى رؤياه

قال اني آسف لعدم تمكني من اتمام رغائبك وحيث لم يعد لي حاجة بك فالاصوب ان تذهبي الى فراشك . فانعت في الذهاب وقالت انها لاتستطيع نوماً قبل مشاهدة جاك شبارد فانتهرها كيبون وقال لها سيري الى غرفتك واياك والخروج منها بما اجبرها على الانصراف وهي تقول في نفسها لابد من رويا جاك شبارد ولو كلفني ذلك الموت

وبعد نصف ساعة سمع قرع الباب فصاح كيبون حضر . حضر . فاختف جيداً ياشوتبولت ولا تخالف تعليماتي . وكان القارع جاك شبارد فتقدم ملتحفاً برداء مسيع القاة بدخوله على المقعد وكان كعادته متقن اللباس وقد اعار ثيابه في تلك الليلة عناية خصوصية فترديى بسترة من المخمل الاسود مزركشة بالشرائط الفضية وصدرية من الاطلس الابيض مطرزة بالفضة وحذاء من الجلد الاحمر مزدان بازرار من ماس وجرابات من الحرير المذهب وفي وسطه سيف ثمين بقبضة من الفضة وكان منظر ثيابه يزيد في بهاء طلعته وجلال قامته

فاقترب الموسيو كيبون منه وحياه بوقار مزيد فاجابه على تحيته ببرود ثم ارسل نظراً الى المائدة وقال يظهر لي انك بانتظار قدومي

اجاب نعم حيث بلغني خبر فرارك من نيفكات فكنت على يقين دائم من مجيئك

قال قدرتني حق قدري لاني لم انكث الى الان بوعد صدر مني لغيري ولا افرق في ذلك بين عدوي وصديقي وساحافظ على هذا المبدإ الى الابد

اجاب تفضل واجلس لان العشاء بانتظارنا فاتجه نحو الباب وقال اسمح لي بان اتيك باصحابي اولاً ثم عاد ومعه بول ماجوت وادجورت بيس ومن خلفهما بو بلو ملتفاً برداء عريض وبدخوله استند الى الحائط وطفق يضحك شديداً

فراى الموسيو كيبون ان يشير الى شوتبولت بانفاذ مهمته ولكنه فكر بانه لابد من وقوع فرصة انسب من هذه للعمل فاجل الاجراء واحجم عن الظهور ودعا السيدتين بيس وماجوت الى الجلوس اما بو بلو فانحاز الى المائدة بدون ان يكلف صاحب المنزل الى اتقال الدعوة وتناول في الحال

دجاجة يلتهمها ثم صب خمرًا في كاس وقال بصحتك يا خواجه كيبون فلم يجبه على ذلك ولكنه التفت بالسيدة يحس وقال هل تاذنين لي بان اصب لك قدحًا من النبيذ

اجابت بمزيد السرور وكانت قد انتبهت الى خاتم من ماس في اصبعه فقالت ما اجمل هذا الخاتم . فقدمه لها في الحال وقال ابقيه لك تذكارًا مني

وكان جاك مشغلاً عن الطعام بالتفكر

فقال له كيبون ما بالك لا تاكل

اجاب بوبلو ان حضرة القبطان لا ياكل كثيرًا ولكني انوب منابه بما يقيه شر العتاب ثم ضحك وقال هل تذكر يومًا تناولنا فيه العشاء سوية مع جوناتان ويلد في نفس هذا المكان

قال نعم اذكر ولكن الاحوال تغيرت كثيرًا ثم اتجه نحو جاك شبارد وقال كم من الحوادث جرت بعد ذلك الحين يا حضرة القبطان

اجاب . حوادث كثيرة اود لو انها لا تخطر على بالي فان السيدة ود ضربتني كفًا في ذلك المساء وفي نفس هذه القاعة كان من نتائجه ان صرت لصًا شقيًا كما تراني

قال بوبلو ولكنها نالت جزاء ما جنت يدها

اجاب جاك صدقت وانما يا حبذا لو قضى عليَّ وقتئذٍ من يدها كما قضي عليها بعد ذلك من يدك فقد كان ذلك المساء منشأ همومي ومصائبي ففيه قطعت ويتغريد حبال امالي . فانقدت الى مشورة جوناتان ويلد الشريرة بما اوصلني الى هذا المصير

قالت ادجورث بيس وفي تلك الليلة يا حبيبي اسعدني الحظ برؤيا لك

قالت ماجوت وانا ايضًا

فنهض جاك يمشي على قدميه بخطوات سريعة وصاح . يا لها من ذكرى مخيفة ترتعش لها اعضائي فتاثر بوبلو لحالة سيده وقال ما بال حضرة القبطان مضطربًا

فردد جاك قوله ما بالي . . . ما بالي يا بوبلو . . . اني منذ زمن تجلت اثامي المريعة امام اعيني تعلمني بفظاعة وجودي . . فقد كنت منذ تسع سنوات صالحًا . . سعيدًا . . اشتغل في هذا البيت بادارة رجل كريم فاضل سرقته ولم اراع حرمة جميله . . سرقته مرتين يا بوبلو وانت تعلم . . . كان لي صديقًا في طفوليتي ففقدته بعملي . . . وام شفوقة القيتها في لجة اليأس والمصاب فكيف يريحني ضميري

فنهض بوبلو نحو مولاه وقال كفى . . كفى يا حضرة القبطان وان انقلت عليك ذنوبك فالقِ باحمالها عليَّ

فصاح ابعد عني يا شقي ارجع الى الوراء

قال أكثر من شتي وسعي لاني لا ارغب الا في راحتك

فعاد جاك الى السكوت وقال فقدت عقلي وكان كيبون قد تاثر بما رأى وسمع فسألهُ وهل ندامتك حارة صادقة يا جاك

اجاب وبفرض كونها صادقة فماذا يعنيك وما هو وجه نفعك من ندامتي قال كيبون لا شيء يا حضرة القبطان ولكني لا اتمالك اخفاء سروري عندما اسمع باهتدائك الى صراط الحق ثم اخرج علبة سعوط تناول منهـــا نشقة واعادها الى جيبهِ فلمحتها ادجورت يس وصاحت لله ما ابدع هذه العلبة فهل هي من ذهب . قال من خالص الذهب ودفعها اليها فتداولتها الايدي الى ان وصلت الى بو بلو فتأملها ووضعها في جيبهِ وكان جاك شبارد مشاهداً لحركاتهِ فتقدم منهُ وصاح بهِ ارجع العلبة الى صاحبها اجاب ولكن ياسيدي . قال ولكن ماذا . اجاب ان امتناعك عن مهنتك لا يفيد ان تمنع الغير عن معاطاة اعمالهم ايضًا وتوقف دولاب الاشغال

ثم ملأ جاك اقداح المدام وقال فلنشرب يا خواجه كيبون كاس اقتران تيمس دارايل القريب من ويتفريد ود فعض كيبون على شفتهِ حنقًا واعاد القدح الى المائدة ممتنعاً عن شربهِ فاصفر جاك شارد لترددهِ وصاح ماذا هل ترفض كاسًا عرضتها عليك . . قال نعم ارفضها . فاستشاط جاك لذلك غيظًا وحاول الانتقام منهُ واذ فتح الباب ودخلت الخادمة راشيل وهي تنظر بعين الاهتمام الى المدعوين وقالت هل يريد سيدي مني شيئًا قالت ماجوت لربما يريد ملاحقًا فصاح كيبون بغضب لا حاجة لي بك فاخرجي اجابت لا . . لا اخرج . . فقد جئت لمشاهدة جاك شارد ولا اذهب ما لم اكتفِ من مشاهدتهِ حيث قلت لي بانهُ سيعود بعد العشاء الى نيفكات وانا لا اريد ان اضيع مثل هذه الفرصة سدى

فهرع بو بلو اليها يسالها عما اذا كان كيبون قد قال لها ذلك ثم وضع يدهُ بيدها وقال هاكي القبطان شارد وانا قائمقامهُ واسمي القائمقام بو بلو فكيف رايت اجابت حسنًا . ولكن اين الرجل الذي نظرتهُ منذ ساعة تحت المائدة وسمع جاك هذه العبارة فصاح خيانة . . خيانة . . ودفع المائدة بيديهِ الاثنين فهوت بما عليها الى الارض وتكسرت الاواني والقناديل وكادت تخيم الظلمة الكثيفة لولا ضوء ضعيف في يد راشيل وفي الحال انتصب شوتبولت واقفًا ووجه فردهُ نحو جاك وقال سلم نفسك واطلق الرصاص ولكن بو بلو كان قد بادره بضربة على راسهِ فسقط الى الارض وذهبت الرصاصة الى الحائط بدون ان تصيب احدًا ولم تطل مدة العراك لان بو بلو كان اقوى من خصمهِ فتغلب عليهِ وجردهُ من سلاحهِ وقيده بما وجد معهُ من الحبال التي كان قد هيأها للقبض على جاك شبارد

وفي اثناء ذلك اقتربت ادجورت يس من راشيل وتهددتها بالموت اذا حاولت الصياح

او الخروج من الغرفة اما جاك فتقدم نحو كيبون متهددًا وقال لقد خرقت حرمة حقوق الضيافة يا حضرة الخواجا فجئت الى بيتك متجنيًا فظل كلامك ولكنك خنتني

اجاب كيبون باحتقار ان الاستقامة والصدق لا يعامل بهما من كان مثلك جانيًا

قال انك احق مني بما تنسب اليّ من المنكرات لانك خنت من احسن اليك ولحسن حظي تخلصت من غشك لاطلاعي على حقيقتك

قال اني لا افهم مقالك

اجاب سوف تفهم. فاين الاوراق التي اوقعت عليها من السير روفلاند

فصاح كيبون متملصًا .. وما في هذه الاوراق

قال جاك ان نكرانك لا يفيدك شيئًا . ففي الليلة الماضية قد اختليت بالسير روفلاند عند الاب سبنسير فدفع اليك ورقتين وكلفك بان تحمل الواحدة منهما الى محل اعترافه في مانشيستر والثانية الى المستر ود فاتني بهما في الحال

قال ابدًا . مطلقًا . فوجه جاك فردهُ نحو مقتله وصاح فاذًا موتًا تموت في هذه الساعة فاني امهلك دقيقة للتامل لانجيك في نهايتها شيء من رصاصي وتبع ذلك سكوت قصير المدة فوضع جاك اصبعه على زناد فرده وقال مضى الاجل المضروب فصاح كيبون ربك قف قليلاً واخرج من جيبه ورقتين رمى بهما الى الارض وقال هاك نجدهما فالتقطهما جاك في الحال وقال ان هاتين الورقتين يشنان ولادة تمس درابل فيسال بهما ما يقر رايه له من سمو المكانة عند ويتفريد ود ان شاء الله

واثارت العبارة الاخيرة في قلب كيبون نار الحسد فتجدد فيه الميل الى الشر وثار اول عصاة عمد بها الى شج راس خصمهِ لو لم تبادر بول ماجوت الى القبض على يده فاستل جاك سيفهُ وصاح دافع عن نفسك ايها الجبان

قالت ماجوت دع لي يا حضرة القبطان حق الاعتناء بمجازاته لان بيننا حسابًا قديم العهد اريد به فرد جاك السيف الى غمده وقال افعلي وانما لا تنسي واتجه نحو شوتنولت وكانت بول ماجوت قد هيأت عصيها وتسلحت بقضيب ضخم فاقبلت نحو كيبون تهز عصاها وقالت ما رايك الآن

اجاب ابعدي عني ولا تلزميني الى مصارعتك فيقال اني رفعت يدًا على امراة

قالت ارفع يدك عليّ ولا تخشَ لومًا ولطمتهُ بيدها على خديهِ فهجم عليها واشتبك بينهما العراك وهي تهيجهُ وتقعده ولا تنيلهُ منها مرادًا بما انهكت قوته وكان جاك في اثناء ذلك قد تمكن بمساعدة بوبلو من رفع المائدة فوضع عليها ورقًا ودواة وقلمًا ثم حل يدي شوتنولت واجبره على الانحياز اليها وحول فرده نحو راسهِ وقال اكتب لما امليهِ عليك

فلم يجب بشيء ولكنه ارسل انيناً يادرجم عن وفرة مصابو

قال اكتب (اني فزت يا فلمض على جاك شبارد فاصبحت الجائزة من نصيبي فاستعد ولملاقاتو حيث لا يلبث ان يصل اليكم بعد هذه التذكرة بدقايق قليلة) . وبعد نهاية الكتابة قال امض وحرر العنوان باسم الموسيو اوستين معاون سجان نيفكات فعمل وللحال تناول جاك التذكرة وقال من يحمل هذه الورقة الى نيفكات . قالت راشيل في المخزن غلام من خدم الموسيو كيبون لا يرفض انجاز اوامركم فدفع جاك اليها التذكرة وقال سر معها يا بو بلو وحرصة على سرعة انفاذ المهمة فقدم بو بلو يده بوقار الى راشيل وخرج واياها في طلب الخادم .



وحول مديه نحو راسو وقال اكتب ما امليه عليك

وكانت المعركة بين الموسيو كيبون و بول ماجوت قد قاربت النهاية ففازت الامرأة على خصمها بان جردته من سلاحو وارسلت عصاها تأكل من اكتافو وقامت هاك ضربة لحساب السيدة ود . فصاح بصوت مرتجف ارحميني . قالت وهاك ثانية لحساب السيدة ويتغريد وهاك ثالثة لحسابي وكانت الضربة الاخيرة شديدة الى حد ان سقط المضروب من جراها الى الارض

غائبًا عن الوعي فشدت وثاقه وكان بو بلو وراشيل قد عادا الى القاعة

فقال جاك هل انفذتما امري

اجاب بو بلو نعم يا سيدي انفذناه وارسلنا التذكرة حسب طلبكم الى نيفكات وكان جاك قد حرر تذكرة اخرى فحفظها ولف منديلة على وجه شوتبولت بحيث لا تسهل معرفته وارخى قبعته على عينيه ثم اجبره على المسير امامه و بو بلو يسوقه رفسًا برجله الى ان وصلا به الى باب الشارع فطقطق بجرس ونادى بصوت شوتبولت يستدعي حاملي المقعد فسارعا اليه وللحال حمله مع بو بلو اليه واقفل عليه الباب وقال اسرعا الى نيفكات ولا تقفا به الا داخل السجن وما كما تحريرا الى اربعون كيرا للسجانين فسلماه له

اجاب واين حضرة الضابط الذي استاجرنا

قال من العبث ان تنتظراه هنا فهو منهمك في حساب له في المنزل فتقدماه الى نيفكات والتحرير يتضمن كل شيء

فاكتفيا منه بهذا الايضاح وانطلقا باسيرهما مسرعين نحو نيفكات وكانت بول ماجوت وادجورت يس قد تبعتا جاك ورفيقه الى الباب فاقترب بو بلو منهما وقال على م عولتما اجابا على العود الى المائدة لاتمام العشاء فمسك جاك بذراعيهما وقال اسمعاني قليلاً . فقد عزمت على مفارقتكما واربما لا اراكما الى الابد . فامامي سفر طويل ومن يعلم اذا كانت الظروف تسمح لي فيما بعد بالعود الى بريطانيا فاشاهدهما قبل وفاتي

فصاحت بول ماجوت استحلفك بالله يا جاك ان لا تفعل ذلك

قالت ادجورت يس ان بعدك يا حبيبي يجعلني فريسة اليأس فعانقهما وقال استودعكما الله ثم دفع اليهما مفتاحًا وقال اعطيا هذا المفتاح الى باتيست كيتلبي فيسلمكما صندوقًا مملوءًا بالذهب والجوهرات فاقتسما الذهب فيما بينكما اما الجوهرات فاحفظاها مني لكما تذكارًا دائمًا ثم عاد فعانق الامرأتين ثانية وقال استودعكما الله . . .استودعكما الله . . . وابتعد عنهما مسرعًا فعهد بو بلو بدوره الى راشيل فقبلها وودعها وانطلق وراء سيده

ولنعد الى حاملي المقعد فانهما جدا باسيرهما الى ان بلغا سجن نيفكات فقرعاه بقوة وسمع الحراس الصوت لان التذكرة الممضاة من شوتبولت كانت قد وصلتهم ونبهتهم الى قرب قدوم السجين فهرعوا في الحال الى الباب ففتحوه ودخلوا بالمقعد الى دائرة الحراس واحدقوا بالاسير يظنونه اللص المطلوب وهنا يصعب على القلم ايراد حقيقة ما ناب الحضور من الدهشة والاستغراب لدى رؤياهم في المقعد شوتبولت مشدود الوثاق بدلاً من جاك شبارد فعلت من بينهم ضجات الضحك الشديد وانطلقت السنتهم في سرد الافتراضات والتقولات التي تبادرت وقتئذ الى الذهن عن

هذا الحادث الغريب وبادر اوستين الى فلك وثاتو يذكره بما كان بينهما من المراهنة وكان الحاملان قد دفعا الى اريتون التذكرة المعطاة لهما من جاك شبارد ففض ختمها وقراها بصوت عالٍ فاذا مكتوب فيها ما يأتي

كل من يحاول القبض عليّ يصادف حظ شوتبولت من النجاح الامضا

جاك شبارد

ثم تبع ذلك ضوضاء ناشئة عن مطالبة اوستين لشوتبولت بالقيمة التي عقدت عليها بينهما المراهنة وكان الثاني يحاول في الدفع ولكنه انقاد اخيرًا الى الحق وانقد خصمه المبلغ ذهبًا انكليزيًا وهو يعض على شفتيه غيظًا ويتوعد بالانتقام من جاك شبارد وصورت غرابة الحادث لاريتون ان ينقل الخبر الى جوناثان ويلد وكان الوقت بعد نصف الليل فاستصحب معه لانجلاي يحمل امامه قنديلاً واخذ بيده مفتاحًا للباب الخارجي فلا يحمل صاحب المنزل مشقة النزول لادخاله وانطلق نحو مسكن جوناثان ويلد

رجوع جاك شبارد الى الامر

فقطع جاك شبارد بعد مبارحة منزل كنيبون وبو بلو من خلفه يتبعه الممر الصغير الموصل الى هيكل القديس اكلمنضوس حيثما وجد ثمه تيمس درايل في انتظاره وكان قد استعاقه

فقال جئت ياجاك على حين كنت احاول الرحيل لانك وعدتني عندما فارقتك بقرب منزل كنيبون بان تعود اليّ بعد خمس دقائق امتد امدها الى اكثر من نصف ساعة

اجاب جاك ان تاخري عنك كان في سبيل خيرك فقد استحصلت لك على اوراق صادرة من السير روفلاند تؤيد بدون ريب حقوقك فإنها والامل بالله ان تكون لك مفيدة بقدر مشتهاي

فتاثر تيمس لكلام رفيقه وقال اود لو تساعدني الاقدار ان اهيء لك مستقبلاً اخف بلاء واقل شقاء من مستقبلك

اجاب ان ما تودهُ هو رابع المستحيل ياتيمس فقد قضى عليّ الله وما من امل برد القضاء

قال لاتقطع املك من مراحم ربك

اجاب لاقطع الامل وساعدني وداعًا اخيرًا الى جميع احبائي فاني على اهبة الرحيل عن هذه البلاد بحيث لا اعود اراها الى الابد ففي المينا مركب يسافر غدًا الى فرنسا وقد نقلت اليه القليل الباقي لي مما تملكهُ يدي واعتمدت على السفر بصحبته وسيرافقني بو بلو في غربتي فهو صادق امين لايريد ان يتركني وحدي في شدتي

فاقترب بو بلو منهما وقال لا - لا افارقك ما دمت حيًا ولا فرق عندي بين فرنسا وانكلترا

أو لوندرا و باريز بشرط ان اكون بجانب سيدي

فامرهٔ جاك بان يبتعد عنها قليلاً وقال سادعوك الينا عندما نصير في حاجة اليك ثم عاد الى مكالمة رفيقه

فقال تيمس انهٔ لايمكني الآن اصوب رايك وان كان فيو ما يكدرني بفراقك . . والامل ان تعود بعد سنوات الى مشاهدة وطنك واحبائك

اجاب مفرماً . . ابداً . . . فاني سارجع اصحابي من مشاق وجودي بينهم فلا اكدر اعينهم برؤياي ولا اخدش اذانهم بسماع اخباري وساتخذ لي في غربتي اسماً غير اسمي الذي اصبح باحالي واهتمام اعدائي مبغوضاً من جميع الناس واجتهد بان اعيش مستقيماً شهيراً والا فالموت . . . ولكني لا ارجع الى وطني مطلقاً

خامل تيمس برهة وقال اني لا امانعك في قصدك ولكني اخشى على امك من تاثيرات فراقك

فداخل جاك لذلك الاضطراب الشديد واجاب ليتك لم تفاتحني يا تيمس بخبر امي ثم صمت هنيهة وقال ستعلم بان لم يبقَ لابنها غير هذا السبيل الحرج الذي ركبهُ فتصبر على فراقي والله سبحانهُ وتعالى لايغفل عليها بجلد تقوى بهِ على احتمال الشدة . . فاحمل لها عني تحيات وداعي . . . وكن لها يا تيمس ابناً بدلاً من ابنها المسكين الشقي الطالع

فشد تيمس على يد رفيقهِ وقال ثق بي واتكل عليَّ

قال جاك لي خدمة اخرى اكلفك بها وهي ان ترفع وداعي الى ويتخريد ود وتقول لها بانها وان كانت قد قادتني باحتقارها الى هذا المصير الوخيم فصرت بسببها لصاً شقياً جانياً مبغوضاً الاّ ان صورتها المحبوبة المرسومة على الدوام في لوح تصوري منعتني مراراً من ارتكاب الشر وخففت عليَّ وعلى الغير ويلات كثيرة . . . فهل تعدني بان تخبرها بكل ذلك يا تيمس

قال اعدك ولا اتاخر عن وفاء وعدي

اجاب اني اشكر فضلك سلفاً . . والان فلنعد الى مسائلنا . . فان بوبلو تبع السير روفلاند من بعيد وراءهُ داخلاً الى مسكن جوناثان ويلد واظنهٔ يريد بهذه الزيارة بت بعض التسويات مع شريكه في الشر قبل مبارحة انكلترا

فسأل تيمس معجباً وهل من عزم خالي روفلاند ان يسافر من بريطانيا

قال نعم فانهٔ سيتوجه غداً الى فرنسا على نفس المركب الذي اعتمدت على الرحيل بهِ واذا صح فكري وكان من نية السير روفلاند كما يستفاد من الاوراق التي دفعتها اليك ان يصلح ما اساءهُ نحوك فلا يستبعد ان يقاوم جوناثان في هذه الزيارة مقاصده ويحولهُ عن عزمهِ لما لهُ من

الصالح في اعدامك ولكن هذه الاوراق التي يجهل عدونا اهميتها تعيننا في كل حال على نوال المراد ثم تامل مليًا وقال لا باس عندي من مفاجئة السير روفلاند مع جوناثان و بلد في مسكنه فهل لك ان تقدم معي على هذا الهجوم فاعمل نمس الفكرة واجاب ان هذه الخطة كثيرة المخاطر ولكني لااحجم عن اقتحامها وفي هذه الساعة اسير الى مسكن جوناثان مهاجمًا وحدي حيث لا اريد ياجاك ان اعرض بك الى مخاطر جديدة

قال وماذا تهمني المخاطر اذا كان القصد منها خدمتك وفضلاً عن ذلك فانك لاتقدر وحدك على الفوز في ادارة هذا العمل الخطير لان مداخل بيته مجهولة منك ومن الغرور ان تقرع عليه الباب وتنبهه الى قدومك اجاب اصبت فافعل ما يحسن لديك

قال هيا اذًا . . . اتبعني يا بوبلو

ثم سار الثلاثة مسرعين الى ان بلغوا مسكن جوناثان و بلد فعالج جاك بابًا يودي الى داخل الدار مدة ولم ينجح في فتحه لان اقفاله كانت مكينة بما لا ينيل الفاتح اربًا فاعتمد على اقتلاعه واذا بوبلو ينبهه الى الباب السري المودي الى محل خزن البضائع التي تحملها اليه اللصوص وكان خبيرًا به فتقدم منه واستعان باله على خلعه ثم اقفله من خلفه وانحدر مع رفيقه الى ممر تحت الارض انتهى بهم الى قبو صغير في منتهاه باب مقفل من الخارج فبادروا الى خلعه ايضًا وانحدروا منه الى الدار واذا صوت عظيم قرع اذانهم فقال بوبلو دعاني اتقدمكما لاني معروف من الكلاب بما ينبها شر نباحها ثم اقترب منها يلاطفها وفي اثناء ذلك انسل نمس وجاك الى داخل الدار وتسلقا السلم الموصل الى قاعة الاجتماع حيث اسند جاك اذنه على ثقب الباب ولما لم يسمع شيئًا اراد فتحه فوجده مقفلاً بالمفتاح من الداخل فعمد الى آلة اقتلع بها القفل ودخل مع رفقائه الى القاعة وكان الظلام كثيفًا فيها بحيث لايقوى النظر على مشاهدة شيء فقال جاك بصوت منخفض يا للغرابة ان ظواهر الحال تدل على ذهاب السير روفلاند ولكن وجود المفتاح في داخل الباب يجعلني على ارتياب من صحة هذه الظواهر . . . فاستمد الانتباه . قال بوبلو هل يامر حضرة القبطان ان آتيه بقنديل من الدهليز . اجاب اذهب وعد الينا في الحال ثم التفت نحو نمس وقال لا يمكني ان احل شيئًا من خفايا هذه الرموز ولكن قلبي ثائر وضميري ينبهني الى وقوع مصاب جديد وقد ندمت كثيرًا لمجيئي بك الى هذه الهاوية ثم خطا خطوتين فشعر من رجله انها تنزلق في مادة غرائية على الارض فانحنى يختبر بيده تلك المادة وما لبث ان انتصب مذعورًا وارسل صوتًا عنيفًا وصاح وامصيبتاه ان الارض غارقة بالدماء . فقد انفذت في هذه القاعة جناية عظيمة . الضوء . . الضوء واذا بوبلو في باب القاعة يحمل قنديلاً كشف ضوءه عن ارض غارقة بالدماء واوراق منتشرة في جهات القاعة الاربع وامتعة مندثرة في جملتها سيف القتيل ورداؤه وقطعة كبيرة من

الجوخ غارقة بالدماء وممزقة قطعاً

فصاح جاك قتل روفلاند . . . قتل روفلاند . . .

قال تيمس ان الله انتقم لك يا ابي فاعدم قاتلك من يد شريكه في الجناية

قال جاك نعم ان الله انتقم لابيك انما بقي علينا ان ننتقم لخالنا من الجاني ثم لمح على المائدة اوراق البنك والذهب

فصاح ان هذا المال ثمن دم ولكن القاتل لاينجو من ايدينا وسننتظره هنا الى ان يعود وكانت اثار اقدام القتلة الملوثة بالدماء ظاهرة في الجهات الناشفة من ارض القاعة فقال بوبلو هيا الى متابعة هذه الاثار فنصل الى مكان الجاني واذا اوراق مطروحة امامه فصاح هاك يا حضرة القبطان اوراق اخرى . قال اعطنيها فدفعها اليه ولدى تاملها قال ان فيها تحرير مرسل الى امك يابيمس وهو يبتدي بهذه العبارة « يا عزيزتي اليفه»

فرمى تيمس بنفسه على يدي جاك وانتشل منه التحرير وبادر الى تلاوته وقال صدقت . . صدقت فالتحرير صادر من ابي الى امي . . الضوء . . الضوء . . لاني متشوق الى معرفة أبي الحقيقي ومتعزر عليّ قراءة الامضاء

فهم جاك الى تلبيته واذ حال دون المراد حادث غريب لم يكن في الحسبان فان بوبلو كان قد داوم متابعة اثار الاقدام الى قرب الجدار ولما لم يجد هنالك معبراً ارتبك في امره ورفع قنديله فكشف عن اثار اصابع في الحائط ملوثة بالدماء فقال لابد من وجود باب خفي في هذا المكان ولدى اعمال النظر رأى له لولب فضغط عليه ولما انفتح الباب المؤدي الى الجب ولم يكن كلمح البصر الا سقط بوبلو الى الارض متاثراً بضربة شديدة فاجئته من يد جوناثان وبياد وكان قد سمع من الداخل صوت حركة في القاعة فادرك حقيقة الخطر المحدق به واستعد للشر وكمن وراء الباب الى ان فتح فارسل قضيبه الخفيف الى راس اول من وقع نظره عليه وهو بوبلو فكان من ذلك ما كان

ولدى معرفة جوناثان لجاك شبارد كاد يفترسه بنظره وارسل صوتاً لا تماثله الا أصوات الوحوش الكواسر وكان جاك قد بادر ووجه فرده نحو راسه فحول تيمس بيد رفيقه عنه وصاح به لا تقتله فقتل هذا الجاني لا يموت الا في ساحة القضاء شنقاً . نعم ايها الشقي انت اسيري

اجاب جوناثان اخطأت يا جاهل والصحيح انك انت وجاك شبارد المحكوم عليه بالاعدام اسيراي وفي قبضة يدي

فانقض تيمس على خصمه والسيف في يده وصاح سلم نفسك والا قتلت ولكن جوناثان كان على تهيء للدفاع فقابله بضربة شديدة من قضيبه الحديدي اصابت راسه فوقع من جراها

مطروحاً على الارض عند قدميهِ

فصاح جاك يا للخيانة واطلق النار فانحنى جوناتان امامهُ بما انذهب الرصاصة خائبة الى الحائط ثم انقض عليهِ وهو يزمجر غيظاً كالنمر المفترس بما لم يمكنهُ من اعادة اطلاق النار فالتزم جاك بان يحافظ على خطة الدفاع فخلا من طريقهِ واستل سيفهُ وانطبق عليهِ فاشتبك بينهما قتال يأس عنيف وشعر جوناتان بثقل وطأة عدوهِ فصاح بابراهيم مانديزقائلاً التقط هذا السيف من على الارض وآتِ لمعونتي

فاطاع الخادم الامر وانحنى للتسلح بسيف السير روفلاند . وكان جاك موقناً بانهُ لا يقوى على الثبات طويلاً امام اثنين مسلحين فصاح بخصميهِ خسئاً لك من جبان ثم تاخر الى الوراء ووثب بسرعة نحو الباب الموصل الى السلم طلباً للنجاة

فصاح جوناتان هيا الى ملاحقتهِ فلا بد من مسكهِ حياً كان او ميتاً . . . الضوء يا ابراهيم الضوء . . . ثم اندفع خلفهُ مع رفيقهِ ولم يقطع النار نصف الدرجات الا ظهر على عتبة السلم اريتون ولانجلاي مجانا نينكات . فنادى جوناتان صوبكما واياه اقبضا عليهِ فهو جاك شبارد

فصاح جاك بصوت مخيف ارجعا الى الوراء والا قتلتكما

فارتاع اريتون لهذا التهديد وحاول ان يفتح طريقاً للهارب ولكنهُ دفع من رفيقهِ الى التقدم فوقف في طريق جاك وجهاً لوجه وقال الاصوب لك ان تسلم حيث لا تستطيع نجاة من ايدينا فلم يجب بشيء ولكنهُ ارسل نظرةً من فوق السلم يعدل مكان علوهِ من الارض فرأى ان المسافة شاسعة لا يومن بجانبها خطر الموت كسراً

وكان جوناتان قد انحدر الى السلم وهو يصيح اقبضا عليهِ

فالتفت جاك بسرعة تحاكي سرعة التصور نحو خصمهِ واستل سيفهُ وبها لا رسا لو الى قلبهِ

فانقض عليهِ اريتون من خلفهِ بما حال دون تحقيق عزمهِ ثم انطبق عليهِ جوناتان من امامهِ وتوصل الاثنان الى تجريده من سلاحه فقال جوناتان يخاطب السجان جئت في اوانك وطوقت عنقي بجميلك فلا انسى خدمتك الى الابد

فقال جاك استحلفك يا اريتون باسم الانسانية ان تدوس هذا المسكن باحثاً قبل اخراجي منهُ لان جريمة عظيمة ارتكبت فيهِ فاصعد الى قاعة الاستقبال وهناك تشاهد اثار الجناية

قال جوناتان اني اخول اريتون ملء السلطة بالبحث في بيتي اذا رأى محلاً لذلك وبعد سوقك الى نينكات ساعود بهِ الى هنا ليشاهد بعينهِ كذبك ان كان ممن لا يثق بكلامي

قال اريتون اني لا اوخذ بمثل هذه الحيل يا جاك فتعاملني كما عاملت شوتبولت من قبلي ومعاذ الله ان اصدقك واكذب مفتش البوليس السري .

قال بريك اصعد الى قاعة الاستقبال فتجد رجلاً بين حي وميت وهو تيمس درايل ولئن كنت مرتابًا في صحة كلامي فاصعد في معك وضع فردك في اذني واحرق دماغي بالبارود اذا ظهر لك باني كاذب في قولي

اجاب اريتون وماذا يفيد في قتلك بعد تقرير غير خسارة الجائزة التي استحقيتها بالقبض عليك فاحفظ لك يا جاك لا تروج بضاعتك عندي

فصاح جاك وقد قطع امله من اريتون ارجوك بالانجلاي ان تسمع لي وتصعد الى قاعة الاستقبال فقد قتل فيها رجل والآخر سائر على قدم الموت اذا لم تجده بمعونتك فيسقط دمه على راسك . . ماذا . . هل تحول باذنك عني

اجاب ان الوقت لا يسمح لنا بسماع اكاذيبك وهزيانك

قال جوناتان ان الجائزة هي حقك يا اريتون لانك انت الذي اوقفت جاك ولكني اريد ان تتنازل عن ثلثها الى الانجلاي

اجاب امرك . قال فهيا اذًا الى نيفكات لاني سأسير بصحبتكما لاشاهد باعيني تكبيل هذا الشقي بالحديد اما انت يا ابرهيم فقف مكانك على الباب واحذر من ان تدع احدًا يدخل الى مسكني او يخرج منه ثم سيرجاك الى نيفكات متقسمًا على صحة كلامه لجهة ارتكاب جوناتان لجناية عظمى في قاعة الاستقبال بدون ان يصادف سميعًا او مجيبًا وكاد اوستين في نيفكات ان لا يصدق بان المقبوض عليه هو جاك شبارد وبقي جوناتان في السجن الى ان قيد اللصين بالحديد وادخل امامه الى القفص المعد للمحكوم عليهم بالاعدام فاطمئن باله وعاد مسرعًا نحو مسكنه فوجد ابراهيم ماندير ساهرًا على مأموريته فسأله هل حضر احد

اجاب لا يا سيدي فدخل واقفل الباب واشار اليه ان اتبعني لنتخلص من قتلانا وللحال مسكت ابرهيم رجفة قوية وسمع صوت قرع اسنانه بما استلفت اليه انظار جوناتان فقال ما بالك

اجاب ان تاثيرات المشهد المخيف الذي صادفته في جب الشيطان متمكنة مني ثم صعد واياه الى قاعة الاجتماع فوجدا تيمس درايل بدون حركة في مكانه ولدى تفتيشه وجدت جيوبه فارغة او بالحري معراة مما كان فيها فاضطرب جوناتان لذلك وارسل نظرة الى ما حوله باحثًا واذا الباب الخفي الموصل الى مخزن البضائع تحت الارض مفتوحًا ولدى التحري ظهر بان بوبلي كان قد نجا من ذلك الطريق فسحب معه كلما كان في القاعة من الذهب والاوراق وقد جرّد تيمس مما في جيوبه ايضًا لغاية لا تخفى على اولي البصائر

تحمل مفتش البوليس السري قنديلاً وسار في ذلك الطريق الخفي يبحث عن الهارب ولا

يصل الى اثره الى ان شاهد الباب السري الخارجي مفتوحاً فتاكد فرارهُ منة وانقلب الى القاعة فامر تابعة بان يرمي بجثة تمس دراپل الى الجب

اجاب الخادم اني لا اجسر على العود الى ذلك المكان المخيف فارجوك ان تعفيني من هذه المهمة

فصاح بخادمه وما الذي يخيفك ايها الجبان ثم حمل تمس بين ذراعيه وعمد الى القائه في الجب ولكنة عدل اخيراً عن رائه وقال لربما يكون لي في حياته منافع اخرى واشار الى خادمه ان الحق بي ونزل بالجريح الى اسفل السلم السري وسار به من هناك الى حجرة تحت الارض تشبه لاقبح مكان في نيفكات فوضعة فيها واقفل عليه الباب وعاد الى قاعة الاجتماع فامر ابرهيم بان يأتيه بوعاء مملوء بالماء لتنظيف القاعة من الدماء وان يحرق الجوخ بحيث لايبقى اثر يدل على الجريمة وقال اني في حاجة الى الراحة مقدار ساعة من الزمان اجد في نهايتها بطلب بوبلو

معاناة بوبلو لانواع البلاء والعذاب

في صباح اليوم الثاني من القبض على جاك شبارد انتشر خبر ايقافهِ في جميع جهات المدينة فتقاطرت الناس جموعاً عديدة الى سجن نيفكات بامل ان يسمح لم كجاري العادة بالدخول الى حجرة السجين ولكنهم منعوا عن ذلك لان الحكومة كانت قد اصدرت امراً تحرم فيه على الناس مواجهة جاك شبارد بناء على التماس تقدم من جوناتان ويلد في هذا الصدد

وكان يشك في لوندرا بانفاذ حكم الاعدام على جاك بدون اعادة المحاكمة ما كان موضوعاً لمداولة القوم فذهب لهذه الغاية حاكم نيفكات الى واندسور واستاذن عنة في مامورية جوناتان ويلد الذي اتخذ من نيابته فرصة للانتقام بما في الوسع من اسيره فعراهُ من ثيابه الثمينة والبسة اثواباً قذرة ممزقة وزاد في اثقال قيوده ونقلهُ من سجن الجانين الى حجرة الحجر وقد مر الكلام عنها فبقي جاك فيها عرضة للظلمة الكثيفة في وحدة مخيفة يزيد في اكدارها تردد العصيان اوسنين المتتابع عليه بدون ان يلفظ كلمة ولم يكن لهُ ما يأكلهُ خلاف قليل من الخبز الاسود الناشف والماء القذر العكر فكان ينام على الارض بدون فراش يحول بين جسده ومياه الرطوبة النازة منها بما يشبه نعماً او غطاء يقيه شر البرد القارس الذي كاد يجمد دماء في عروقه فشعر بعد مدة بتوار في قوته انتهى به الى المرض فكان يطلب بحرارة من الله ان يقرب منهُ ساعة الاجل بحيث يستريح من اوجاعه بموت سريع

وعاد الموسيو بيت حاكم نيفكات من واندسور يحمل امراً بتوقيف انفاذ الحكم حيث قررت لجنة التحكيم المولفة من السير وليم طمسن والموسيو راي وجوب اثبات كون السجين هو نفس اللص

الذي انفذ عليه القضاء بالاعدام بطريقة شرعية مما كان داعياً لتاجيل الانفاذ الى جلسات المجالس القادمة اما السجين المسكين فكان يتقلب في سجنه الضيق المربع على فراش آلامه لا يعلم بما كتب له من تاجيل القضاء وبعد مرور ثلاثة اسابيع اثقل عليه المرض الى حد ان اقتنع الحصامة بقرب نهاية اجله . ولكن هذه الميتة كانت مما لا يشفي غليل جوناتان ويلد فقرر مع ماموري السجن وجوب الاعتناء بجاك شبارد والاهتمام به بحيث يعود الى صحته او يمد في حياته الى يوم ينفذ عليه القضاء شنقاً فنقل الى جهة من السجن تسمى بالقصر وفي غرفة متسعة قائمة في الجناح الايسر من نيفكات بجدران ثخينة ونوافذ ضيقة محصنة بصفوف من القضبان الحديدية الضخمة وموقدة ممدودة المدخنة وفي قرنتها تخت مرتفع وكان جاك مهزولاً مصفراً ينذر حالة بسوء المصير فجرد من قيوده واعطي ثياباً نظيفة وفراشاً وغطاء واُنيط بالسيدة سيرلنك خدمته فاعارته عناية خصوصية لم يطل معها مرضه فشعر بعد مدة برجوع قوته اليه وتجدد صحته وعلم جوناتان بذلك فعاود اسأته وجرده من فراشه وثيابه ومنع السيدة سيرلنك من عيادته واعاد اليه قيوده الثقيلة ولكن جاك كان قد امتلك صحته وامتلك معها الهمة والنشاط والاقدام وبقي الامر الصادر بمنع الناس من مواجهته مرعياً الى ان قربت ايام محاكمته فسمح لكثيرين بالدخول عليه على شريطة ان تكون المواجهة من مسافة بعيدة وتحت ملاحظة السجان الدقيقة فكان جاك يكاشف زائريه على الدوام باخبار تيمس درايل وامه وعائلة المسترود بدون ان يحصل منهم على جواب وافٍ بالمطلوب لان جوناتان ويلد كان قد شدد على اوستين بعدم ايصال شيء من اخبارهم اليه ومضى شهر كامل على هذا الحال وكان الوقت اوائل تشرين الاول والمجالس على اهبة الالتئام

ففي احدى الليالي بينما كان اوستين يقفل باب السجن الخارجي كعادته اقبل عليه جوناتان ويلد ومعاوناه الاثنان يسوقون امامهم رجلاً مشدود الوثاق فدخلوا به الى دائرة الحراس وكان الرجل المذكور بلو ولدى فك وثاقه للاستعاضة عنه بالقيود الحديدية انقض على جوناتان فرمى به الى الارض وضغط على عنقه بما كاد يخنقه لو لم يبادر الحراس الى تخليصه من يده بعد صعوبات كثيرة وكان قوياً بما لم يمكنهم من تهديده الا بعد جهد شديد اجلي عن فوزه مراراً عديدة واذا اعرنا افادات جانب الثقة يكون قد اخذ اسيراً في نومه فان جوناتان استعان برجاله واتباعه على وضع بعض المنومات في مشروبه بما اتاح لهم القبض عليه ولولا ذلك لما قيد الى نيفكات حياً وكان يدعي بان جوناتان اختلس منه مبلغاً عظيماً من الدراهم وزاد على ذلك قوله انه لا يجيب عن شيء مما يوجه اليه من السؤالات ما لم يرد اليه المبلغ المسروق منه

قال جوناتان كل امر قريب فليوخذ الان الى مخزن المعقل وسوف ترى ما يكون منه بعد شد عقاله وهل يداوم الاصرار على السكوت والانكار فانا لا نحرمه ان شاء الله من مشنقة

قبض بها على رفيقه جاك شبارد

ولدى سماع بو بلو لاسم سيده اعترته رجفة شديدة وصاح ابن هو . . دعوني اراهُ ولا كلمة كلمة واحدة فاتخلى لكم عن جميع الاموال التي اختلستموها مني

فلم يجب جوناتان على ذلك الا بالاشارة الى اتباعه ان يقودوا الاسير من امامه ثم امر اوستين ولريتون بان يصحباه الى القصر وهو مكان الحجر على جاك شبارد فساروا اليه و بدخولهم الى الحجرة وجدوها خالية خاوية فاصابتهم الدهشة واوشك جوناتان ان لا يصدق اعينه فحول نظراً ثابتاً الى الحارسين يستكشف بوخفايا قلوبهما وافكارهما وهما امامه باهتان ينظران الى بعضهما ولا يعلمان بما يجيبان واذ سمعت حركة خفيفة بجانب مدخنة الموقدة ثم خرج منها جاك شبارد يحمل قيودهُ على اكتافه وجلس بدون ان يبدي كلمة او يظهر عليه اثر الجزع والارتياب فصاح جوناتان كيف تمكن هذا الغمر من فك قيوده اني لا انسب ذلك الا الى اهمالك يا اوستين

اجاب الحارس بقلب خافق ثق يا سيدي بان جاك كان منذ ساعة مكبل الايدي والارجل ولم اهمل ملاحظته دقيقة

قال لا اعرف غيرك مسئولاً عن فك هذه القيود فانت مطالب لديّ عن هذا الحادث الغريب . فنهض جاك واقفاً وقال لا ذنب على اوستين بفك قيودي فقد فتحت حلقاتها بهذا المسمار الذي وجدته في قرنة سجني ولو تاخر مجيئكم الى ما بعد عشرة دقائق فقط ولم اصادف في المدخنة قضيباً من الحديد تعذر عليّ اقتلاعهُ لكنت الآن خارج نيفكات محلول الوثاق اجد منتقماً وراء عدوي

قال جوناتان لا انكر عليك جسارتك وفطنتك انما سر يا اوستين الى غرفة القيود وانتِ باقوى السلاسل وامتنها وكبله بها لنرى هل في وسعه ايضاً ان يحاول الفرار مرة ثانية

فبقي جاك ساكتاً ولكنه تبسم اخيراً بما شف عن احتقاره و بغضه وكان اوستين قد عاد بصحبة رجلان يحملان قناطير مقنطرة من الحديد فكبلوا بها جاك شبارد وعند نهاية العمل امرهم جوناتان بان ينصرفوا فلبوه في الحال بان ذهبوا وتركوهُ مختلياً بخصمه فقال وقد نظر اليه نظرة المنتصر الفائز جاك . . جاك . . اسمع لما فعلته وفزت به فان جميع نواياي تحققت وخطة امالي نجحت فلا يمر على هذا النهار شهر من الزمان الا تصبح املاك امرأتي فتحول اليّ جميع ثروة عائلة ترانشفار لان السير رولاند قضى نحبه كما تعلم وتيمس درايل اختفى بحيث لا يرى فيها بعد الى الابد وبو بلو الذي فرّ بالاوراق والذهب من بيتي قد قبضت عليه ايضاً وهو الآن سجين في نيفكات وسيشنق بنفس الحلة التي تهيأت لشنقك ثم رمقه بعين الانتقام و بدون ان ينتظر جوابه خرج من الحجرة واقفل عليه بابها بالمفتاح ولحق بالحراس فقال لهم عليّ مهمة اخرى اريد ان اقضيها في

هذا الليل فاني راغب في مشاهدة بوبلو فاعطوني المفاتيح وضوءا ودعوني ازوره وحدي ثم انحدر الجسلم صغير مستدير انتهى به الى ممشى طويل بصلة بالحجرة الحجور فيها على بوبلو مر ضيق فقطعها وكان السجين نائماً فايقظه صوت صرير الباب فنهض منتصباً لا يبالي باثقال قيوده وصاح بزائره وكان قد عرفه ماذا تريد مني

اجاب اريد ان تطلعني على مكان الذهب واوراق البنك والمراسلات التي اختلستها من مسكني

قال هاك ما تستطيع معرفته في هذا المعنى وهو ان هذا الذهب والاوراق والمراسلات قد اودعتها جميعاً في محل موتمن بحيث لا نقف لها على اثر وهي من نصيب غيرك فينالها في زمن قريب ان شاء الله

اجاب جوناتان وهو يجالد في اظهار السكينة اسمع لي يا بوبلو وثق بوعدي فوحرمة شرفي اذا اعلمتني بمكان هذه الاموال ووجدتها لاطلقن سراحك من هذا السجن واعطينك نصيبك من هذه الغنيمة

قال لا . . وانما لي طلب واحد فاذا قبلت به لا اتأخر عن اتمام رغائبك وهو ان تطلق سراح القبطان شبارد فاذا تم ذلك وتحققته برأي العين دفعت اليك الذهب واوراق البنك والمراسلات وغيرها من الاوراق الكثيرة التي ما زلت للآن تجهل وجودها

قال انك لا محالة مجنون حيث ظننتني مغفلاً الى حد ان ابيع الانتقام من عدو حتمت بوجوب قتله بسر لا البث ان انتزعه من صدرك بالرغم عن عنادك واصرارك ثم خرج غضوباً واقفل الباب بشدة من خلفه

وبعد مرور عشرة ايام على هذه المواجهة قيد بوبلو الى المحاكمة امام المجلس فاصر على عدم الاجابة ما لم ترد اليه الاموال المختلسة منه وقدرها خمسماية ليرا انكليزية وكان جوناتان قد التمس من الحكومة ان تخلي له عن هذا المبلغ لقاء اتعابه وخدماته فصدر الامر بمنحه القيمة المذكورة تشجيعاً له وتنشيطاً لغيره من ماموري الضابطة

ولما يئس المجلس من اجبار بوبلو على المجاوبة امر الكاتب بان يتلو عليه صورة الحكم الذي يطلق انفاذه على كل من يمتنع مثله عن الجواب فكان لتلاوته تأثير عظيم في الحضور اما بوبلو فاظهر جلداً وثباتاً نادري المثال فلم يرتع لما تضمنه من صرامة الجزاء ونحن نورد هنا مفاد الحكم المذكور بما صورته قال

ستعود ايها المتهم الى سجنك الذي خرجت منه حيث تلقى ثمه في حجرة مظلمة تتخذ لك فيها الارض فراشاً والسقف غطاء وتبقى ممدداً على ظهرك مكشوف الوجه عاري الاقدام مصلب الايدي والارجل فيوضع على جسدك من الحجارة والحديد باكثر مما تستطيع احتماله ويعطى لك في اليوم الاول

من سجنك ثلاث كسر من الخبز الناشف اما في اليوم الثاني فيحرم عليك الخبز ولا تمنع من مناولة الماء الزلال ثلاث دفعات في النهار وتدوم معاملتك على هذا النمط الى ان تموت

فتبع تلاوة الحكم سكوت تام في قاعة المحكمة واتجهت الانظار بكليتها نحو المتهم منتظرة منه ان يحوّل عن عزمه ويتكلم اما هو فبقي مصرًّا على امتناعه بما الجأ المجلس الى انفاذ الحكم فقيد الى نيفكات والقي في المعصرة وهي حجرة مربعة بارض وجدران من الحجر وقد نصب في كل من زواياها جسر ضخم يبلغ ارتفاعه السقف وربط في اعلى الجسورة آلة من الخشب ثقيلة الحمل ترفع وتنزل بلولب يدار باليد وضربت في الزوايا اربع حلقات من الحديد تبعد الواحدة عن الاخرى مسافة ثماني خطوات ولدى دخول السجين اليها بوشر بهيأة معدات العذاب وكان مارقيل المامور بانفاذ الحكم عالمًا بما لبوبلو من القوة والعزيمة فرأى من المناسب ان يستدعي كاليبان مع اربعة من الحراس لمساعدته على العمل واقبل يجرده من ثيابه فلم يبدِ مقاومة بل حافظ على السكون والطاعة الى ان اريد تمديده على الارض فافلت من ايديهم وانقض كالنمر الهائج على جوناتان ويلد وكان مستندًا على جدار الباب ينظر اليه من بعيد كمتفرج ولكن الحراس حالوا بينه وبين خصمه فقبضوا عليه وتعاونوا بكاثرتهم عليه فالقوا به الى الارض وكاليبان يشد براسه الى الوراء بما جعل لفمه سبيلاً على اصبعه فعض عليه بما كاد يفصله عن بقية يده قبل ان بادر الحراس الى نجدة رفيقهم وكان مارقيل في اثناء ذلك قد ربط يدي ورجلي بوبلو بقطع من الحبال وشدها الى الحلقات الاربع الحديدية ثم حرك اللولب فنزلت الالة الخشبية الثقيلة بتانٍ الى حيث استقرت على صدره ثم زاد على الالة المذكورة ما ثقله من الحديد مائتا رطل افرنجي ولما لم يفِ هذا الثقل بالغاية زيد عليه نحو من مائة رطل اخرى بما اصعب على بوبلو حركة التنفس ولكنه بالنظر الى قوة تركيبه صبر على احتمال مرارة هذا العذاب نحو ساعة من الزمان فامر جوناتان بان يزاد مائة رطل ايضًا وما مر على هذه الزيادة بضع دقائق الا نشأ عنها تغير عظيم في حالة السجين فنفرت عروق عنقه وجبهته منتفخة مزرقة وخرجت اعينه بارزة من حفرها بما يريع المشاهد ونَدِي جبينه بالعرق وسالت الدماء من فمه واذنه وبين اظافره فصاح ماء . . ماء . .

قال جوناتان هل خضعت واطعت

فلم يكن جوابه الا ان ضرب براسه الى الارض ضربات عنيفة متتابعة يريد قتل نفسه ولاحظ جوناتان قصده فسارع بان وضع تحت راسه ما يحول دون اتمام عزمه وقال هل لك ان تحمل مائة رطل اخرى

اجاب بصوت منخفض ضعيف قف . . قف . . . فصاح اجب في الحال هل قبلت طلبي واعتمدت على الجواب قال نعم فامر جوناتان بان ترفع عنه الاثقال وقال الحمد لله حيث

اشفيناك من مرض السكوت العضال فارسل بوبلوا الى خصمه نظرًا يتضمن بغضًا ابديًا وصاح اني لا ارغب في العيش الا لانتقم منك ياظالم وبينا كان الحراس يرفعون الاحمال عن صدره اغمي عليه

تصوير جاك شبارد

في صباح يوم الخميس الواقع في ١٥ تشرين الاول سنة ١٧٢٤ فتح باب سجن جاك شبارد ودخل عليه اوستين السجان يعلمه بان حاكم السجن سيزوره عما قريب مصحوبًا باربعة من الرجال وانما ليس كغيرهم من الناس الذين يترددون عليه في كل يوم

قال جاك تريد ان المستر ود سيكون في جملة الوافدين

اجاب وهل تظنني احفل بالمستر ود الى حد ان ارفع اليك خبر قرب وفادته قبل قدومه ان في كلامك ما يشبه ان يكون مزاحًا لان الرجال الذين جئت لاعلمك بقرب زيارتهم هم عظام محترمون مهمون

قال وما هي اسماؤهم

اجاب ان الواحد منهم هو السير جيمس تورنهيل مصور تاريخ الذات الملوكية من اشهر صناع العصر وقد رسم بقلم قبة كنيسة القديس بولص وسقف قاعة التاج في قصر الملكة حتى بما ادهش لحسن صناعته العالم وهو الان يقوم باعمال تصويرية بديعة في مستشفى كرينوش قال جاك سمعت عن هذا الرجل . . فمن هم الاخرون اجاب ان الثاني هو رفيق السير جيمس المذكور وهو شاب ماهر في صناعة الحفر والنقش واسمه على ما اظن هوجرث ثم الموسيو كاي الشاعر المشهور مولف رواية الاسراء الجارى تمثيلها الان في دريري وقد حصلت على استصواب واستحسان اميرة ديغال ثم الموسيو فيج معلم استعمال السلاح الشهير قال جاك ان الموسيو فيج هو من اصحابي القدماء وقد درست عليه مدة واتمنى مشاهدته

قال السجان وهل لك علم بما حمل جيمس تورنهيل على زيارتك اجاب لا وانما الطبع حب التفرج على كغيره قال انه لم يحضر الا لغرض يستدعي مجيئه اجاب وما يكون ذلك الغرض قال هو رسم صورتك اجاب صورتي قال باهتمام نعم وذلك بناء على ارادة الذات الملوكية فانها سمعت بما لك من الغارات ورغبت في رؤياك ثم تبسم متهللاً وقال انك سعيد الحظ يا جاك حيث لم ار من قبلك لصًا حصل على مثل هذا الشرف العظيم اجاب صدقت وقد طارصيت غاراتي في الافاق حتى بلغ مسامع الملك على حين ان ما عملته يااوستين الى الان لا يعد بشيء بالنظر الى ما اعمله في الحال وساعمله في الاستقبال

قال اخطأت فقد فعلت كثيرًا ولا اظنك تقوى على الاتيان بمثل ما أتيت به في الماضي فتامل في ذاته وصاح يا للعجالة كيف يوخذ رسمي وأنا في مثل هذه الحالة الدنية وعند ذلك سمعت أصوات في الخارج فتقدم اوستين نحو الباب ثم عاد يتقدمة الموسيو سيت حاكم نيفكات وهو طويل القامة سمينها بصحبة اربعة اشخاص وكان يدعى الاول منهم بالموسيو كاي وهو رجل في السادسة والثلاثين من العمر عظيم القامة معتدلها بوجه اسمر يدل على كرامة خلقه وعين سوداء لامعة تشف عن حدة وذكاء تترجم عنها تبسمات فمه الصغير ومع ما هو معهود فيه من الميل الى التنكيت المفيد كان يتخذ من الاساليب في ايضاح افكاره ما يكسبه محبة اصداقه فكان صديقًا لجميع معاصريه من فطاحل الكتبة بشوش الخلق شريف الطبع ولكن نصيبه من الدهر لم يكن كنصيبه من الاداب والمعارف فكانت ثروته محصورة براسمال قليل خسره بالمضاربات التجارية وما كان قلة وتودد الناس له ليبلغه الراحة التي كان يطمع في نوالها وكان لايمنع عليه الدخول الى القصر الملكي في اية ساعة اراد فتوزع على مراى منه المصالح والنعم الجليلة بدون ان يكون له منها ادنى نصيب ولكن النجاح العظيم الذي حصل عليه برواية باكارس التي تمثلت سنة ١٧٢٩ عاد عليه بالارباح العظيمة

ثم تقدم من بعده السير جيمس تورنهيل وهو وقور الهيئة جميل الطلعة كريم المزايا في نحو الخمسين من العمر بصحبة شاب في السابعة والعشرين يحمل معدات الرسم فوضعها واعتنى بترتيبها وتهيئتها وكان مجردًا عن مظاهر الجمال ولكنه لايخلو من دلائل الذكاء والنجابة واسمه وليم هوجرت وهو بنظر حاد لامع غير مستقر ومن خلفه رجل عظيم الجثة قوي التركيب بوجه متاثر بالجراح تتجلى فيه سمات الحرية والشهامة وراس مستدير بروق للانكليز مشاهدته لما يعتقدون فيه من انه المثل الحقيقي للجنس الانكليزي وهو جيمس فج الشهير معلم السلاح وبدخوله رفع قبعته بيده ومسح بمنديله وجهه المورد بفاعيل الحرارة من العرق وكان قميصه مفتوحًا بما يكشف عن رقبة ضخمة وصدر متسع رحب وتحت ابطه قضيب ثخين وهو من اشهر اهل زمانه في اطلاق النار فلم يخط قط مرماه ولم يسمع عنه انه انجدل يومًا امام خصمه وقد اتخذ له في وثباته طرقًا تخوله نصرًا دائمًا فلا يهجم على خصمه الا نادرًا ولكن هجومه مضمون العقبى مامون النتيجة وخلاصة القول ان الموسيو فج المذكور كان من العظماء المعدودين في انكلترا

ولدى دخول الرجال المذكورين على جاك شبارد انتصب واقفًا ولف يديه المغلولتين على صدره ونظر الى زائريه بعين ثابتة فاشار حاكم نيفكات اليه وقال هاكم اللص المشهور بفراره من السجون وغاراته فصاح كاي متعجبًا ماذا تقول . . . ان هذا الوجه المصفر والجسم المهزول لايمثلان رجلاً من مثل جاك شبارد الشهير فقد كنت اتوقع مشاهدة انسان بستة اقدام واكتاف عريضة

لا تضيق عن اكتاف صاحبنا الموسيو فيج ولا ارى امامي الان الا ولدًا صغيرًا فلربما تكون قد اخطأت عن حجرة السجين باحضرة الحاكم

قال جاك لا ياسيدي ان حضرة الحاكم مصيب فانا هو جاك شبارد

قال هوجرت ان هذا الشاب هو نفس الرجل الذي ظهرت لي صورته في نومي وكنت متوقعًا مشاهدته اليوم ثم قدم معدات التصوير الى السير تورنهيل ووقف امام جاك متاملاً وقد ارسل يده الواحدة الى ذقنه واسند بطرف الثانية على ساعد الاولى وقال ان صورته وهيئته هما طبق المامول فقد جمع قوامه بين المرونة والخفة فهو مجرد عن اللحم ولكنه قوي العصب وفي جميع المباحث التي اجريتها للاكتشاف على اجسام فوق العادة لم ارَ من امثال هذا الشاب ولو كان بين الوف من الناس لعرفته من بين غيره واشرت اليه نظير رجل اقام بالاعمال العظيمة التي نسمع في كل يوم بصدورها عن جاك شبارد

وبينا كان النقاش يحدث رفاقه بذلك استنار وجه جاك بالتبسم

فقال كاي اني لا انازعك في رأيك ولكني انصب السير جيمس حكمًا فيما بيننا فيرى هل ليس من العجب العجاب ان ياتي مثل هذا الشاب وهو لا يبلغ العشرين بمثل ما اتى به من الغارات والاعمال الجيدة

قال جاك بل احدى وعشرين سنة ياسيدي وليس عشرين كما تتوهم وكان السير جيمس تورنهيل قد حضر ليحكم بين المتنازعين في شان جاك فحقق نظره فيه جيدًا وقال اني لا انكر كونه ضعيفًا مهزولاً ولكني من راي صديقي هوجرت لجهة اقتداره على القيام بالاعمال التي اقام بها بل وباعظم منها ايضًا اذا اطال الله في حياته ثم التفت الى الحاكم وقال هل تأمرلي بمقعد للجلوس . اجاب لبيك فأتنا بمقعد يا اوستين وكان الموسيو فيج في كل هذه المدة بقرب الباب ملازمًا السكوت فعندما خرج اوستين في قضاء حاجة سيده دخل الحجرة واقترب من جاك ومد له يده العريضة بحميه وبشد على يده بتودد وقال كيف حالك فاني متكدر لرؤياك في هذه الحالة الناشئة عن احتقارك بشوراتي فان معشوقة واحدة كافية لان تخرب رجلاً فما قولك بمن يقتد له مثلك معشوقتين لعمري ان مستقبله لا يكون اقل شومًا من مستقبلك

فاغتاظ جاك لهذا الحديث وقال هل زرتني لتهينني ياحضرة الخواجا فيج قال لا ومعاذ الله ان اتعمد اهانتك ولكني سمعت بخبر غاراتك فرغبت في رؤيا تلميذي القديم المحلك في اطلاق الرصاص لما بلغني من قرب انفاذ الحكم عليه . ثم وضع في يد جاك عددًا من الدنانير وقال هل انت في حاجة الى شيء . فرد اليه جاك المال وقال اني اشكر معروفك لاني حاصل من فضل ربي على ما يغنيني عن احسانك ويكفي من الاحسان الى الغير ثم تبسم وقال انك ياخواجا في ضلال

مبين حيث ساعبرك قبل ذهابي الى تيربن قيصًا اي اني ساسير اليك في جملة تلاميذك لحضور الصراع العام وكانت استعدادات السير جيمس تورنهيل قد ناهزت النهاية فاستأذن الحاكم رفاقهُ بالانصراف وذهب فقال جيمس اجلس يا جاك اما انتم (يريد الحضور) فارجوكم الانفراد الى الزاوية الثانية من الحجرة فجلس جاك على المقعد وانزوى الموسيو كاي والموسيو فيج الى جانب الحائط اما هوجرت فاتكأ الى زاوية واخرج من جيبهِ جزدانًا وقلمًا من الرصاص وقال ان من قصدي ان ارسم هذا الراس واحفرها على الخشب فيكون ربما ثمينًا يستحق الاعتبار اما السير جيمس تورنهيل فبعد ان فحص تكاو ينهُ ودقق في هيئتهِ بدا في العمل وكان جاك قد اخذ يطلب من المصور في قص سياق اخباره العجيبة بما بث فيهِ روح القصص فظهرت في وجههِ سمات الشجاعة والاقدام وجاء منطبعًا في صورتهِ

وكان جميع الحضور يسمعون باهتمام حديثهُ ولا سيما الموسيو فيج فانهُ استلقى على ظهره ضحكًا لدى وصولهِ الى خبر فراره من نيفكات الاخير وعندما تكلم جاك عن جوناتان ويلد اتخذ وجههُ هيئة غريبة مربعة فصاح السير تورنهيل وقد توقف عن الرسم ارجوك يا جاك ان تغير الموضوع لانهُ مضر في عملي

قال اوستين انا تجنب ذكر اسم هذا الرجل امامهُ لما ينشا عنهُ من تغير في هيئتهِ وانقلابها الى ما يخيف المشاهد. قال كاي لا وجه للاستغراب من ذلك فهو منبع ءالامهِ وكان السير تورنهيل قد وجه الى هوجرت اشارة خصوصية تفيد ان يبذل المستطاع لاستجلاب انتباه السجين فقال هوجرت يخاطب جاك هل لم يعد لحضرة القبطان امل جديد بالفرار. اجاب ان سوالك يا خواجه هوجرت لا يخلو من الغرابة لصدوره منك امام السجان (يريد اوستين) ولكني مع ذلك لا ابخل بايضاح الصحيح من افكاري ولا احرم على الموسيو اوستين نقل الخبر الى سيده جوناتان ويلد وهو انني لم اعدم الى الان املاً من النجاة فصاح فيج احسنت. . احسنت. . قال هوجرت ولكن كيف يتأتى لك ان تنجو بنفسك من هذه الحجرة وانت على ما نرى مكبل باثقل القيود ان مثل هذا العمل لم تسبق عليهِ من احد من الناس فظهر على السجين اثار التبسم بما اضاء وجههُ فصاح السير جيمس تورنهيل فرحًا بما يرى مما يعينهُ على اتقان الرسم الحمد لله. فهذه هي الهيئة التي كنت اترقب ظهورها. فبربك يا جاك لا تتحرك منك ساكنًا وحافظ على شعائرك الحاضرة بما في الامكان ثم رسم بسرعة ما تجلى على وجههِ من الاثار السريعة الزوال

فصاح هوجرت وكان مشتغلاً برسمهِ لقد فزت انا ايضًا باخذ صورة الراس طبق المبتغى فبالله ما اجملها عندما تشرق فيها مظاهر السرور قال اوستين وقد نظر الصورة من فوق اكتاف السير تورنهيل انها ناطقة لا تختلف بشيء عن صاحبها

قال كاي ان جميع غاراتو مرسومة فيها على وجهه . اجاب جيمس متبسماً انكما تبالغان في مدحي ولكني لا انكر كوني تجحت في اتقانها وكان هوجرت قد قدم ورقة رسمه الى جاك وقال ما رايك بهذا الرسم

اجاب يشبهني كثيراً ولكنه لا يخلو من نقص هنا واشار الى مكان دقيق منه

قال هوجرت فمحت ثم خط بقلمه مكان الاشارة وقال كيف رايت الان

اجاب اصلحت من جهة واسأت من اخرى حيث اعطيتني من الصفات ما ليس لي

ففطن هوجرت الى خطائه ومحا الرسم

قال كاي ان من الضروري الواجب ياجاك ان تجمع وقائعك فتكون مجموعاً يفضل بما لا يقدر على تواريخ كزمان والفراش ولا زاربل وغيرهم من اللصوص وتزيد عليها بما ينشأ عنه من الفوائد التهذيبية اجاب جاك ياحبذا لو تجمع تلك الوقائع بقلمك ياحضرة الخواجه كاي قال ان سياق حديثك اوجد في فكراً الا البث ان احققه بالعمل وهو ان اولف رواية مكان وقائعها نيفكات و بطلها لص قدير ولا انسى فيها معشوقتيك ياجاك قال الامل ان لا تنسى ايضاً جوناتان ويلد

اجاب اني لا انساه مطلقاً بل سامثل ذلك الشقي بمزاياه واطباعه ثم التفت يميناً و يساراً اولدى رؤياه لاوسبين قال لقد برح عن بالي انا نرتكب خيانة عظيمة باحتقارنا لجوناتان ويلد في محل ادارته فضحك اوسبين وقال اني لم اسمع شيئاً قال كاي وسادخل الى هذه الرواية جوقاً من مطرباتنا المغنيات بحيث يعلو شان ملعبنا على غيره من الملاعب

قال هوجرت لقد خطر على بالي خاطر متعلق بتاريخ حيوة جاك شبارد وهوان تدخل في عداد المخصصين صانعين نال الواحد منهما بصدقه وعمله واجتهاده المجد والغنا والشرف والسعادة اما الثاني فسارت به شقاوته الى تورين

قال جاك حزيناً انك تخدم بذلك الاداب والحقيقة معاً ياسيدي انما يقتضي لمراعاة جانب الصدق في قص حديثي ان تمثل خبري كحرب عوان موجه ضد نوائب الدهر التي يمثلها جوناتان ويلد

واراد كاي ان يغير الحديث فقال يخاطب هوجرت الم ارك بالامس في المتنزه مع السيدة تورنهيل وابنتها فعلا وجه هوجرت احمرار الخجل وصاح متبرماً انا ثم نظر الى جهة جيمس مستكشفاً فوجده مشغلاً عنه بصورة جاك قال كاي لا يبعد ان اكون مخطياً ياخواجه فقاطعه هوجرت وقال بصوت منخفض بربك دعنا من هذا الحديث اذا رمت ان لا تصرم مني حبال الامل اجابه بنفس الصوت ولو كنت مكانك لا تشلت الصبية قال لا اظنك تفعل ذلك ولكنه انقاد بعد زمن الى هذه

المشورة وجرى بموجبها

وكان الموسيو فيج قد تهيأ للرحيل فقال استودعك الله يا جاك فاني بانتظار قميصك فاتكل عليَّ ولتشجع ثم اعطى السجان دينارين وقال خذ واشرب بهما كاس نجاة جاك شبارد واشكر له فضله قال جاك اذا تمكنت من الفرار سرت الى حضور المصارعة في قاعتك والا فموعدنا في الاجتماع ساحة آكسفورد على طريق تيربن وعند ذلك نهض السير توربهيل وقال لا حاجة للاطالة في ازعاجك فقد رسمت كلما يكن رسمه هنا وساتم صورتك وحدي في بيتي

قال جاك وهل يسمح لي حضرة السير بروياها فدفعها اليه ولدى مشاهدتها تاوه وقال ماذا يكون من امي المسكينة اذا نظرت هذه الصورة . اجاب هوجرت اني قرأت في هذا النهار اعلانًا يتعلق بامك قال وما هو فاخرج من جيبه ورقة مطبوعة دفعها اليه وقال هاك الاعلان المذكور فقراه واذا يتضمن العبارة الاتية

فقدت السيدة شبارد منذ يومين من منزل المسعرود في دوليس هيل وقد عينت جائزة ثمينة تدفع لمن ياتي من اخبارها بما يكشف عن محل وجودها

فصاح جاك ما هذه النكبة يا الهي . ان امي في قبضة الشقي قال هوجرت عن اي تعني قال كاي وربي انه يريد بالشقي جوناثان ويلد فضرب صدره بيديه المغلولتين بالسلاسل وقال نعم هو فان امي الان في قبضة يده وتحت مطلق سلطانه وانا اسير في سجني مقيد الايدي والارجل لااقوى على نجدتها قال اوستين ان جاك يدعي بان جوناثان ويلد هو منشأ جميع مصائبه اجاب السير توربهيل لايبعد ان يكون صادقًا في شكواه

قال هوجرت هل تامر بان اساعدك في هذا الرسم يا حضرة السير اجاب لا حاجة لي بمساعدة احد واشكر فضلك على اهتمامك وكان كاي قد اقترب من جاك فقال ان اشغالاً مهمة تقضي عليَّ بمفارقتك في هذا الصباح ولكني ساعود اليك غدًا إن شاء الله لاستماع تتمة قصة حياتك فيمكنك ان تتكل عليَّ بكلما اقوى به على خدمتك اجاب بصوت حزين غدا يفوت الوقت وينفذ المقدور

ثم ودع الزائرون السجين وانصرفوا وكان هوجرت قد نسي او بالحري تظاهر بنسيان سكينه فلمحها اوستين ونبهه اليها فاخذها ونظر الى جاك نظرة المتاسف على عدم نجاحه في خدمته وذهب فاقفل الباب على جاك وبقي وحده الى ان زاره اوستين في مدى النهار يحمل اليه طعامًا فحص قيوده وسأله عما اذا كان في حاجة الى شيء لانه مشغل عنه في المساء فلا يعود اليه فاجابه بالسلب وهو يبذل المجهود في اخفاء السرور الذي اوجده فيه ما سيكون من غياب السجان عنه في ذلك اليوم وما خرج اوستين الا وانتصب جاك واقفًا وصاح هيا الى عمل عظيم تضعف بجانبه جميع الاعمال

التي اشتهرت بها الى الان

قضيب الحديد

كان من اعمال جاك شبارد بعد انفراده في سجنه ان تخلص من السلاسل التي تغلغل ايديه فكسر حلقاتها ثم عمل بعد ذلك على فك قيود ارجله واستعان بقوته ومهارته على قطع السلسلة التي تربطه بحلقة الجدار ولف اطرافها على جسمه بحيث لا يسمع صوتها ولا تعرقل مسعاه

وتذكر القراء ان جاك كان قد صادف في مدخنة الموقدة قضيباً من الحديد وقف في وجه نجاته قبل دخول جوناتان عليه فانصرفت همه في هذه المرة الى التخلص من هذا العايق فعمد الى ثقب حائط المدخنة يستعين على هذه المهمة بقطعة من الحديد استخلصها من سلسلته وكان الحائط مبنياً بالحجر والقرميد فاقتضى لاخراج الحجر الاول منه مزيد العنا والمشقة لما كان عليه من بداية الصعوبة ومنهاها فالقى به فرحاً الى الارض وزاد النجاح في همته وعزيمته فجدد العمل بنشاط وفي اقل من ساعة فتح في الجدار نافذة كبيرة كشفت عن طرف القضيب فاقتلعه وكان التراب قد غطى ثيابه والتعب اخذ منه ماخذاً عظيماً فوثب الى الارض مسروراً وقال ان متاعبي الحاضرة لا تعادل منافع هذا القضيب وتوهم انه يسمع حركة في قفل الباب فخفق قلبه ولكنه عاد الى تجلده المعتاد فقبض على القضيب الحديد وتهيأ لان يقتل به كل من يدخل عليه في ذلك الحين وبعد انتظار مدة اعار فيها سمعاً صاغياً تاكد بطلان توهمه فعاودته الشجاعة وجلس يطلب راحة لنفسه قبل تجديد العمل

وبالنظر الى ما له من الخبرة التامة في منافذ السجن ومسالكه كان متيقناً بان النجاة لا تتيسر له الا بطريق السطح ولكنه كان بعيداً عنه بما لا يصل به اليه الا باعمال جبارة تقترن بتوفيق الظروف ولكن الفوز كان ممكناً والمصاعب لا تزيد سجيننا الا شجاعة واقداماً

وكان تعدد العوايق وحده كافياً لان يوقف عن العمل اياً كان خلاف جاك شبارد لما بينه وبين قمة السطح من الموانع الكثيرة واخصها التغلب على فتح ستة من اقوى وامتن ابواب نيفكات فضلاً عما يحدق به في نزوله من المخاوف والمخاطر ولكن جاك كان جلوداً مقداماً فلم ييأس من النجاح بل اتخذ له من افكاره مشجعاً فكان يقول ان هذا العمل مع اهميته وصعوبته لا يزيده قدراً على غيره من اللصوص العاديين والذي ضاعف اقدامه تعطشه الى مشاهدة امه والانتقام من جوناتان ويلد فنهض واقفاً وفي يده القضيب الحديدي وتمشى مسرعاً في ارض الغرفة فمر في طريقه على الاتربة التي كومها بيده بجانب الموقدة فتبسم وقال ترى ما يكون من اوستون لدى دخوله غداً ونظره هذه الاكام فوحرمة الحق ان ما اهدمه في ساعة لا يقوى على بنايته في شهر وقبل المباشرة في مهمته خطر على باله ان يسد الباب من الداخل بقضيبه الحديدي بحيث

يعزز ثقة من الخارج ولكنهُ كان في حاجة مزيدة الى استصحاب هذا القضيب معهُ بما حوله عن رايهِ فاعتمد على الاجراء متكلاً على الحظ الذي وفقهُ الى مرغوبهِ في اعمالهِ الماضية وتسلق المدخنة الى ان اصبح محاذيًا للطبقة الثانية من السجن واعاد الثقب بهمة ونشاط مستعينًا بقضيبهِ الحديدي على سرعة الانجاز فتوفق الى فتح نافذة متسعة في الجدار وصاح فرحًا ان كل حجر تعينني الاقدار على اقتلاعه يقربني من امي ويسهل لي الانتقام من عدوي

الغرفة الحمراء

تعرف الغرفة التي اشرفت عليها النافذة التي فتحها جاك شبارد في الحائط بالغرفة الحمراء حيث كانت فيما سلف من الزمان مدهونة الجدران باللون الاحمر ومعدة للحجر على رجال الحكومة ولكنها اهملت منذ ثورة براستون اي منذ سنة ١٧١٦ وبقيت خالية خاوية فرمى جاك شبارد بقضيبهِ الحديدي الى ارضها ثم انسل اليهـــا وبينما كان يمشي فيها اصابت رجلهُ مسمارًا طويلاً فالتقطهُ وما لبث ان استحال الى آلة لمنفعتهِ فهرع الى الباب بعاجلة وكان قفلهُ قويًا فكسر بالقضيب الحديدي عارضة الخشب التي تعلوهُ ثم سحب المسامير واقتلع القفل المذكور بما اجلى عن فتح الباب فخرج منهُ وسار في ممر ضيق انتهى بهِ الى باب فاخذ يبحث بايديهِ عن مكان قفلهِ فوجدهُ من الداخل وتوصل بعد التعب بمسماره وقضيبهِ الى اقتلاعه فانفتح الباب في الحال وظهرت من خلفهِ كنيسة نيفكات

الكنيسة

وكانت الكنيسة المذكورة في الطبقة العلياء من السجن تقسم الجهة الواحدة منها الى ثلاث دوائر عظيمة معدة الى المسجونين من مديونين وجانين وخلافهم اما الجهة الثانية المقابلة فتولف دائرة صغيرة للمسجونات من النساء وفي الوسط صفوف من المقاعد للاغراب والجناة المتازين وتحت المنبر مقعد مستدير لجلوس المحكوم عليهم بالاعدام فوثب جاك في الحال منتصبًا على مقعد من مقاعد الجهة الاولى وكان يفرقها عن غيرها درابزون يبلغ ارتفاعه نحو اثني عشر قدمًا ويعلوه حراب مشعبة من الحديد فخلفهُ غير معتد باخطاره ثم تنقل من مقعد الى اخر الى ان بلغ المقعد المعد للمحكوم عليهم بالاعدام وكان من خلف المنبر باب ينفذ منهُ الى ممر يودي الى سطح السجن وهو محصن من اعلاه بحراب تشبه حراب الدرابزون فلكيلا يعرض بنفسهِ الى خطر جديد مثل الخطر الذي نجا منهُ في المرة الاولى عمد قبل تسلق الباب الى كسر احدى هذه الحراب ثم استصحبها معهُ ونزل في سلم صغير انتهى بهِ الى الممر المذكور فاذا باب متين في نهايتهِ لا يقل بغيره من الابواب التي تقدمتهُ فثبت امامهُ امنًا ولكنهُ اعمل فيهِ اخيرًا حربتهُ الجديدة وبعد معالجة

مديدة تيسر فتحه ولم تكن تلك نهاية المصاعب التي تحول دون النجاة بل ظهر له من بعدها صعوبة اخرى لا يسهل التغلب عليها وهي باب سادس مصفح بالحديد بثلاثة اقفال فتمكن بعد مجاهدة عظيمة يقصر عن القيام بها افحل الرجال من اقتلاع قفلين وبينما كان مشتغلاً في خلع الثالث كسر المسمار في يده والتوى القضيب وكان التعب قد انهكه فكلل العرق البارد جبهته وسقط متكئاً على الحائط غائباً عن الوعي عرضةً لليأس الشديد وتراكمت عليه الهواجس فاسمعته الاوهام وقع خطوات على مقربة منه وصورت له انه سامع لنفس صوت عدوه جوماتان وبلد فارتعشت اعصابه وقبض بيديه الاثنين على القضيب الحديدي واندفع كالمجنون في الممر وعقد العزم على ان لا يبيع حياته من اعدائه رخيصة ولكنه لم يلبث ان تمالك تدريجاً صوابه بما بدد عن افكاره غيوم تلك الاوهام فانبث فيه النشاط واخذ يتامل فيما يجب عمله من الوسائط بحيث يخرج من هذه الخطة فائزاً فارتأى ان يخاطر برجاء الوحيد الباقي وهو قضيب الحديد فارسل طرفه الى ما تحت الباب واتكأ يشد عليه بقوة ومهارة غريبة تمكن بهما من اقتلاع الباب من مركزه فاسكرته خمرة الفرح لما شاهد من انفتاح باب تجاهه يكشف له عن سلم صغير من الحجر

السطح

فتسلق جاك السلم بما اوصله الى ما فوق سطح بناية نيفكات فانتعش ثمة بما صادف من خطرات النسيم الخفي ولكنه كان عالماً بما ينشأ له عن ضياع الوقت من المضار فاهتم اولاً في معرفة مكانه من السجن وكان وقتئذ في جهة من السطح ملاصقة لقبة الباب وقد احدقت بها الجدران المرتفعة وعلى شماله برج بنوافذ ضيقة عليه سلم صغير من الخشب فتسلقه ولم يبلغ الدرجة الاخيرة منه الا دقت الساعة الثامنة بما افاد ان جاك بذل في عمله الشاق الخطر مدة ست ساعات متواليات ومع ان الليل كان قد ارخى وقتئذ سواده لم تكن الظلمة كثيفة الى حد ان لا يميز بين الاشياء القريبة منه فتراءت لجاك قبة كنيسة القديس بولص معلقة في الفضاء بما يشبه غمامة عظيمة سوداء ثم حانت منه التفاتة الى اسفل فداخله الخوف الشديد لما راه من ان زلة واحدة كافية لان تلقي به الى الحضيض فسار يتحرس على طرف الحائط الى ان بلغ جنوبي البرج ثم اتخذ له من نوافذه الصغيرة سلماً اعانه على بلوغ اعلاه فوصل سالماً اليه وهو يشرف على سطح بيت مجاور وكانت مسافة ارتفاعه عن ذلك السطح لا تنقص عن اربعين قدماً ولا يخفى ما في الاقدام على قطع هذه المسافة وثباً من الخطر الذي لا يؤمن بجانبه الموت السريع فرأى جاك ان يختار له من المسالك ما هو اخف خطراً من هذا الطريق ولما لم يجد تطرف بافكاره الى حد ان ينثني راجعاً من حيث اتى ويعود بغطاء فراشه فتسلح بقضيبه الحديدي وسار راجعاً على نفس الطريق التي قطعها بمعاناة الشدايد وانسل الى غرفة سجنه من نافذة المدخنة حيث تابط بغطاء فراشه وانقلب

عائدًا الى مكانهِ فقطع الهر المظلم وعاود التسلق على الجدار الى ان وصل الى اعالي السطح وكان قد ترك الحربة الحديدية التي اقتلعها من باب الكنيسة فغرزها بين حجرين ثم ربط بها الغطاء فكان حبلاً متينًا تمسك بهِ وانحدر الى جهة سطح البيت المجاور فبلغهُ صحيحًا سالمًا وكان باب السطح مفتوحًا فانسل منهُ الى داخل المنزل واقفلهُ من خلفهِ وبعد ان سار في ظلمة كثيفة صادف بابًا اخر يودي الى سلم فانحدر اليهِ واذا صوت من الاسفل يقول من هنا . وما هذه الحركة اجاب صوت اخر لاتجزع فهي حركة الكلب ثم ابتعد الصوت فداوم جاك المسير ونزل سلمين وبينما كان بينهما للنزول الثالث واذ فتح باب وظهر اثنان يحمل احدهما ضوءا فتاخر جاك الى حيث وجد غرفة ففتح بابها وانزوى في زاويتها مختفيًا وراء رداء طويل

فيما حصل لجاك شبارد في منزل الخراط

وما استقر جاك شبارد في الغرفة الا دخل الاثنان الذي صادفهما في الخارج الى مكان وجوده وقد دار بينهما الحديث فلم يتمالك نفسهُ من التعجب والاستغراب لدى علمهِ من صوتهما انهما الموسيو كنيبون والسيدة وينغريد

وكان مفاد اقوال كنيبون اظهار مزيد سروره لحضوره في هذا المساء الى زيارة الموسيو ويرد صاحب المنزل وتشرفهِ برؤياها مع ابيها عنده

فاجابت السيدة وينغريد تطلب اليهِ ان يوجز حديثهُ بما في الامكان وقالت ان كان لديك ما يهمني معرفتهُ فعجل في ايضاحهِ لانك قلت لي الان بانك ترغب في ان تلقي اليَّ سرًّا يتعلق بتيمس درايل ولهذه الغاية تركت ابي مع الموسيو ويرد في الاسفل وحضرت معك الى هذا المكان فما هو هذا الخبر السري الذي تريد ان تقصهُ عليَّ

فهز كنيبون براسهِ وقال هو خبر محزن ولكن لا بد من اطلاعك عليهِ فوا اسفي

اجابت كفى تحرك مني السكنات فاخبرني بواقعة الحال وثق باني احتمل البلية بالصبر انما الحذار ان تكدر شعائري بخبر مختلق . فماذا تعلم عن تيمس درايل واين هو الان

قال عودي الى روعك واستنجدي بكل قوتك ان شئت ان اتكلم صدقًا ولا اخفي عنك شيئًا .اجابت تكلم بحقك فاني على ما وعدتك متهيئة لان اتناول الخبر بالصبر والجلد

قال ما دمت ترغبين فيهِ فاستعدي للوقوف على مصيبة عظيمة حلت بكم وانتم لا تعلمون

فصاحت استحلفك بالله ان تتكلم

قال هاك الخبر الصحيح وانما هل انت على استعداد له

قالت نعم . . نعم . . قال ماطلتك يا كنيبون تفعل في احشاي فعل السيف الحاد فكفى بالله وتكلم

اجاب ان تيمس درايل - تيمس درايل الذي محبيبة كاعبك قتل
فصاحت ويتفريد . . قتل . .
قال نعم . . قتله جاك شبارد وبوبلو
اجابت ويتفريد لا . . لا . . لا اصدقك مطلقاً . . . وجاك شبارد لا يرتكب مثل هذه الخيانة فهل جاك من وراء الخباء محاماة ويتفريد عنه
فقال كتيبون لديّ البراهين الكافية على صحة كلامي وقد ارتكب الجانيان فعل القتل عقيب ان اختلساني
اجابت ان قلبي ينبهني الى انك غير مصيب في تهمتك
قال لا بل مصيب وعلى ثقتي اصابتي - وكانت ويتفريد قد حولت وجهها عنه تريد الذهاب فاقترب منها وقال لها اسمحي لي قبل الافتراق بكلمة واحدة ايتها الحبيبة الكريمة فاني كنت اقهر النفس في مدى حياة تيمس درايل على عدم ايضاح شعائرها نحوك اما الان وقد قضى الغريم أفلا تسمحين لي بالتكلم عن اعتباري وحبي
اجابت ان توجيهك الي مثل هذا الكلام الان لا اعده الا احتقاراً لي وحطة لشاني
قال ان تولعي بك وجنوني بظرفك يصفحان بي لديك عن كل ذنب اقترفه فاني عاشق لجلالك عابد لجمالك ولو كانت امك في قيد الحيوة
فقاطعت كلامه وقالت . . يا خواجا . . فصاح ان سعادتي وشقاوتي بين يديك وطوع شفتيك ثم القى بنفسه على اقدامها وقبض على يدها يقبلها بتلهف فصاحت الفتاة اتركني فقد علمت الان الغاية من كذبك وارجافك بموت تيمس درايل دعني وشاني اخرج من هذا المقام فلم يكن جواب كتيبون على ذلك الا ان نهض من مكانه مسرعاً واقفل الباب بالمفتاح منعاً لفرار الفتاة فصاحت مرتاعة ويلك ماذا الذي فعلته
قال اني لا اريد باقفال الباب الا منعك من الخروج قبل ان احصل منك على كلمة القبول
اجابت . ابداً . . دعني اخرج . . والا ناديت ابي
قال وماذا تفيدك المناداة وانت في قبضة يدي
فصاحت ويلك من جاني . . النجدة . . النجدة
قال ان صوت صراخك لا يسمع من الاسفل فلا تطمعي بما لا ينال وللحال وثب جاك الى وسط الغرفة وصاح ارجع الى الوراء ايها الخائن وكان ظهوره غير منتظر من الاثنين فارسلت الفتاة صوتاً مؤثراً وتأخر كتيبون مذعوراً الى الحائط فقال جاك لقد اتهمتني ايها الشقي بقتل تيمس

درايل كذباً فارجع بكلامك وفز بنفسك

وشاهد كيبون اصفرار جاك شبارد الناشئ عما قاساه من المتاعب فطمع به وقال لا بل بالعكس فاني اوكد كونك القاتل فصاح جاك كذبت وضربه بقضيبه الحديدي على راسه فسقط منطرحاً عند قدميه فنادت الفتاة مرتجفة قتلته اجاب لا ويفرض انه قتل فقد نال ما يستحقه ثم تقدم نحوها وقال الامل ان لاتكوني قد وثقت بما قيل لك من خبر قتلي لتيس درايل اجابت لا . . فكن مطمئن البال انما اخبرني الان كيف كان مجيئك الى هذا المكان قال اني قادم من نيفكات فقد هربت منه ووفق لي الله سبيل النجاة فنزلت على هذا المنزل واني اشكر الصدف التي جمعتني بك هنا ومكنتني من خدمتك فتنازلي الى مجاوبتي على كلمة واحدة قبل ذهابك وهي هل بلغك شيء عن تيس درايل بعد ايقافي اجابت لا فان ابي لم يهمل واسطة الا اجراها للاكتشاف على خبره وقد ذهب باحثاً عليه الى (استون هال) ايضاً مقر السير روفلاند ولكن العناية والعناية ذهبت سدى فتنهد جاك بحزن وقال ان السير روفلاند قتل . . وقبل صباح غد لا بد من الاكتشاف على اخبار تيس درايل وليقدرني الله على اظهار الخفي من امره ولو بخسارة حياتي . . والان افيدي ما الخبر عن امي

قالت من يوم قبض عليك واختفى تيس درايل وهي مريضة وقد زاد مرضها الى حد ان قطعنا الامل من حياتها ثم فقدت شعورها ولكنها عادت فاوجدت فينا الامل بشفائها وفي يوم الثلاثاء الماضي تركتها في القاعة نائمة بعد قلق طويل ولدى رجوعي اليها لم اجدها

فصاح جاك غائباً عن الوجود بفاعيل الالم . اه يا امي

قالت وقد اجرينا البحث المدقق للوقوف على الصحيح من خبرها بدون جدوى وما زلنا نجهل الى الان مكان وجودها وما تلى عليها فصاح جاك انها في قبضة جوناثان ويلد ولا بد من خلاصها ولو بالتعرض الى الهلاك

قالت ويتغريد وقد سهي عن بالي ان اخبرك بان بعد ايقافك بايام قلائل جاء رجل الى ابي ووعده بان يعطيه لتيس درايل مبلغاً عظيماً من المال مع اوراق مهمة بشرط ان يتعهد له باطلاق سراحك من السجن

اجاب جاك ان هذا الرجل هو لامحالة بوبلو

فقالت ويتغريد ولدى معرفة ابي الرجل المذكور اطلق عليه الرصاص ومع انه اصيب به كما يستدل من اثار الدم التي ظهرت من خلفه قوي على الفرار والنجاة

اجاب جاك لو استطاع ابوك ان يقبض على زمام غضبه العادل ولم يقابل الرجل بالعدوان لنال منه نفعاً عظيماً لتيس درايل وقدم لابنه خدمة جليلة فصاحت الفتاة وهل في وسع ابي ان يصفح عن

قائل والدتي وبصبر على مقابلته قال ان اباك معذور في عمله فلا يؤخذ عليه

ثم قص عليها ما حصل له مع تيمس درايل في منزل جوناثان ويلد ولدى وصوله الى ما كان من جرح رفيقه ووقوعه في قبضة الشقي صاحت متألمة واغمي عليها فتداركها جاك يسندها بذراعيه واذا صوت المسترود وكان قد عالج الباب ولم يقوَ على فتحه فصاح غضوباً ما بال الباب مقفل من الداخل . . ماذا تفعلان . . افتحا . . افتحا في الحال . . اجاب جاك بصوت الموسيو كيبون وهل انت وحدك

اجاب ولما هذا السوءال فقد قلت لكما افتحا وكفى

فمدد جاك ويتغريد بحرس على الصعيد ثم طفأ الضوء وفتح الباب واختبا خلفه فدخل المسترود يحاول ضوءا والحال بادرهُ جاك بان اطفاهُ له بفمه وخرج مسرعاً يتدرج السلم ولدى بلوغه اسفل الدار شعر بخطوات الموسيو يرد صاحب المنزل وكان قد سمع صياح المسترود وخرج في اكتشاف خبره فحاد جاك عن طريقه وانسل الى المخزن حيث وثب من نافذته الى الشارع ونجا من سعيه بعد ان اقام باعمال عجيبة لم يسمع بصدورها عن احد قبله

مصائب

في مساء اليوم الذي فر فيه جاك شبارد من نيفكات عقد جوناثان ويلد مع معاونيه مجلساً في قاعة الاجتماع في منزله وبعد مذاكرة طويلة ذهب الرجلان وبقي جوناثان وحدهُ فحمل قنديلاً بيده ونزل في السلم السري الموصل الى باب الدهليز وبعد ان قطع ممراً ضيقاً انتهى الى باب فلفتحهُ ودخل الى قبو مظلم في زاوية منه امرأة صفراء متألمة ممددة على حصيرة بالية فاقترب منها واخرج من جيبه قنينة وكاساً من الفضة ملاءهُ بمشروب الى ان تدفق ثم قدمه الى الامرأة وقال اشربي هذا الكاس فارسلت اليه نظراً ثابتاً يترجم عن بغضها وحقدها ثم تناولته بلهفة وبعد ان ابتلعت ما فيهِ قالت هل سقيتني سماً قال لا لم اسقك الا مشروباً يقويك على احتمال تجارب هذا الليل حيث لم تحن بعد الساعة التي يجب ان اتخلص بها منك بالموت وكانت الامرأة المذكورة هي السيدة شبارد فصاحت هل عدت الى تجديد مطاليبك الظالمة

اجاب نعم عدت لانفاذ توعداتي وفي هذا المساء تصيرين امرأتي

اجابت الموت قبل ذلك . قال لا بل بعده ان حسن لديك فاني لا امنع عنك المنية بل اساعدك عليها وانما بعد اتمام رغائبي فيجب ان تعيشي الى ان اقترن منك وقد ارسلت في طلب الكاهن فاياك ورفضاً لقبة ارادتي

فصاحت الارملة ارحمني . . ارحمني . . بربك اشفق علي وارحمني

قال وما الموجب لشكواك فلا اجدر بك ان تفرحي وتشكري لي عملي حيث اخترتك من

بين جميع النساء امراة لي فتنهدت وقالت لا . لا . الموت . . الموت . . فلم يعد لي في هذه الدنيا الا بضعة ايام او بالحري بضع ساعات . فاقتلني ولا تجبرني على ارتكاب مثل هذه الجريمة

قال ان قتلك لا ينيلني اربًا ولم انتشلك من منزل المستر ود لاقتلك بل لاقترن منك اجابت ما الذي يحملك على الاساءة اليّ بمثل هذا العمل المعيب قال ان الاسباب التي تحملني على ذلك غير مجهولة منك وقد ذكرت اكثر من مرة امامك ولا مانع من اعادتها الان على مسامعك فاني في بادىء الامر اي في ايام صبوتك كنت ارغب في التاهل منك لجمالك اما الان فلثروتك

فصاحت ومن اين لي الثروة واناالا املك بارة

قال انك الوارثة الشرعية لعائلة ترانشنار الغنية اجابت ولكني لا ارث شيئًا الا بعد وفاة السير روفلاند وتيمس درايل

فقال بصوت مرهب ان السير روفلاند قضى نحبه منذ حين اما تيمس درايل فسابعثه في هذا الليل قبل زواجنا الى مقابلة خاله في دار الاخرة

فرفعت السيدة شبارد اعينها نحو السماء وصاحت الهي . . الهي .

قال مالك وللتبرم والنواح فاصغي لي الان واعلمي بانك كنت موضوعًا لحبي منذ سنين عديدة اي عند ما كنت في ريعان الجمال

اجابت انت احببتني . . انت . . جوناثان وولد

قال نعم احببتك وقد نبهتني هيبتك الى وجوب الفحص عن قصة حياتك ولدي علمي بانك متحللة من لانكشير هرعت الى مانشستر وهناك توصلت بالاختبار الى معرفة كونك ابنة السير مونتاكيت ترانشنار وشقيقة السير روفلاند فاسرعت بالعود الى لوندرا لاقدم لك يدي واقترن منك ولكن الاقدار لم تساعدني على غايتي حيث وجدتك برجوعي مقترنة من صانع نجار يدعى توما شبارد فكتمت هذا السر في صدري واعتمدت على الانتقام فاقسمت على ان اقود زوجك ذليلاً الى المشنقة وازج بك الى هاوية المصاب والحق ابنك اذا رزقت منه ولدًا بابيه

اجابت واآسفي ان يمينك قد تحقق بالعمل

قال نعم اقسمت بكلامي انما غايتي جمعك امرة الان فهل تقبلين بالاقتران مني بدون ان تلجئيني الى ... ... العنف والعسف ... عن ...

... ... الى جوناثان ... ...

... ... على ذلك

اجاب اقسم

فظهرت على الارملة لوائح الارتياب وقالت من كان مثلك شقياً لاتهمه اليمين ولا يمنعه عن ارتكاب الشر فانك لا تلبث ان تنكث بها اذا ترآى لك وجه انتفاع من مخالفتها فقد تحملت الى الان كثيراً من خياناتك ولم تعد لي ثقة بكلامك

اجاب جوناتان ببرود افعلي ما يحسن لديك انما لا تنسي كونك في قبضة يدي وكون حيوة جاك موقوفة على ما يكون من ارادتك

فصاحت الارملة مايوسة اه يا الهي . . ماذا افعل

قال خلصي ابنك لانك قادرة على خلاصه

اجابت جفني به . . دعني اراه واعانقه واثبت لي باعمالك صدق اعتمادك على خلاصه فاكون لك واقسم يميناً باني لا ارجع عن كلامي . قال ولكن . . فقاطعته في كلامه وقالت ولكن ماذا . . ان ترددك يكشف عما تضمره لي من الغش

اجاب لا والله اني لا اضمر لك غشاً وفي الغد تشاهدين ولدك قالت فلنوخر اذا عقد الزواج الى الغد اجاب انك تروميں مستحيلاً فقد تهيات المعدات ولا يمكني تاجيل الزواج على الاطلاق وفي هذا الليل تكونين لي اجابت بثبات ان جميع عذابات الوجود لا تنيلك مني اربا قبل اطلاق سراح ولدي فاتجه نحو الباب وقال اني ساعود اليك بعد ساعة مصحوباً بالكاهن ثم وجه الى الارملة المسكينة نظرة الوعيد وخرج من القبو واقفل عليها الباب من الخارج فسقطت السيدة شبارد محلولة العزائم على حصيرها وقالت سانجو بعد ساعة من ظلمك الى الابد

مواجهة جاك شبارد الاخيرة لامه

بعد ان نجا جاك شبارد من منزل الخراط انطلق مسرعاً نحو مسكن جوناتان ويلد وقصد الباب السري الموذي الى الدائرة السفلى وعمد الى معالجته فوجده مفتوحاً فدخل في الحال ونزل السلم الموصل الى القبو وما بلغ اسفله الا سمع حركة تبعها صوت مسير انسان فبادر الى الاختباء في زاوية المكان واذا كيامت ارنولد يحمل قنديلاً فهياً قضيبة الحديد ليوقع به ولكنه شاهد في هيئته مادعاه الى تقلب القانون في مهمته فعدل عن قصده وعزم على ملاحقته والاكتشاف على خبره فصبر الى ان مر وسار في اثره

وكانت جميع ظواهر وحركات الرجل تشف عما تخفيها من نوايا الشر اذ انه وقف عن مسيره اكثر من مرة مذعوراً يرسل الى ماحوله نظراً قلقاً مضطرباً وحاول العود على الاعقاب ولكنه تشجع اخيراً وداوم التقدم

فقال جاك في نفسه ان هذا الشقي عامد الى ارتكاب جناية فليقدرني الله على منعه من انفاذها وكان سائراً على مقربة منه بحيث يلاحظ جميع حركاته ولا يرى منه ففتح كيامت عدة

ابواب وقطع ممرًّا مظلمًا طويلاً انتهى به عند باب وقف امامهُ مرتصدًا ثم وضع القنديل بجانبهِ واخرج من زناره مفتاحًا فتح به الباب وجرد سيفهُ وانسل الى الداخل ثم تبع دخولهُ صوت يشبه لصوت تيمس درايل فانحدر في الحال جاك الى القبو واذا تيمس المذكور مربوط الايدي والارجل وقد جثا عليهِ كيلت ارنولد ورفع سيفهُ ليرسلهُ الى احشائهِ فانقض جاك بسرعة التصور على الجاني والقاهُ على الارض بضربة من قضيبهِ ثم حل وثاق رفيقهِ في طفوليتهِ واجلسهُ وكان كالسكران فحقق نظرهُ فيهِ وقال من انت . . جاك

قال نعم انا هو وانما اخبرني هل انت تيمس درايل لانك تغيرت كثيرًا ولولا صوتك لما عرفتك

اجاب اني لم افارق هذا المكان المخيف منذ يوم اجتماعنا الاخير ولا اعلم كم مضى عليَّ فيهِ من الزمان؛

قال جاك مضى على تلك الليلة المشومة ستة اسابيع قضيتها سجينًا في نيتكات الى ان وفق الله لي منة النجاة فرارًا في هذه الساعة

فصاح واآسفي كيف مد البلاء في اجل هذه الاسابيع حتى حسبتها دهورًا فهيا ياجاك الى الفرار . . هيا الى النجاة

قال جاك اتبعني انما قبل ذهابي اريد ان افحص هذه الاماكن مستكشفًا عن امي فلربما تكون مثلك اسيرة عند جوناثان الظالم

اجاب نعم فقد زارجوناثان بالامس مكان سجني ولكيما يزيد في حسراتي قال لي ان امك عندهُ محجوز عليها في القبو المجاور

قال جاك تسلح بسلاح هذا الشقي المطروح على اقدامك وسر بنا لخلاص والدتي ففعل تيمس ارادة رفيقهِ ولكنهُ كان ضعيفًا بما لا يمكنهُ من الدفاع في مقام العراك فقال لهُ جاك اتكئ عليَّ ثم حمل القنديل بيده وخرج بهِ الى الممر . . . د ان تقدما بعض خطوات صادفا امامهما بابًا فقرعهُ جاك ومال باذنهِ عليهِ فسمع من داخلهِ صوت انين عميق فصاح ان امي هنا ولكن الباب كان مقفلاً فجرب عليهِ جميع المفاتيح التي وجدها في زنار كيلت ارنولد بدون ان يحصل على الغاية فما التجأ الى الاستنجاد بقضيبهِ الحديدي لخلعهِ وسمعت السيدة شبارد من الداخل صوت حركته في الباب فارسلت صوتًا ناجيًا مرتًا وصاحت ارجع الى الوراء ايها الشقي واياك والدخول عليَّ والا خرقت احشائي بهذا السكين الذي في يدي

فصاح جاك بصوت متقطع بما يدل الاضطراب هذا انا ياامي . . هذا ولدك جاك

فاجابت الارملة لا . . لا . . . كذب . كذب . . وصوتك لا يشبه صوتهُ فارجع عني

الى الوراء . . الى الوراء

فصاح ما العمل يا الهي . امي . . عودي الى روعك واصغي الى صوت ابنك

قالت لا تطمع مني بالوقوع في هذا الفخ الذي تحاول نصبه لي فقد قطعت بعزمي ومن المستحيل ان تحصل علي واما في قيد الحيوة

فصاح تيمس اني اسمع صوت مسير اقدام فعجل يا جاك واقتلع الباب قبل ان تدركنا الاعداء

قال جاك اني قادم اليك يا امي فلا تجزعي ثم دفع الباب بعزم واعار صفيا فسمع صوتا مخنوقا تبعه سقوط جسم ثقيل على الارض فارسل بعصيو الحديدي على الباب ضربة شديدة اقتلعته من الجدار وصاح ويلي قتلتها واندفع الى الداخل فوجد الامراة الحزينة ممددة على الارض وفي يدها سكين يقطر دما فارتمى عليها غارقا بدموعه وصاح اه يا امي فنظرت اليه النظرة الاخيرة وقالت بصوت المتزج جاك . . . هل هذا انت

اجاب نعم انا . . انا الذي قتلتك بشقاوتي فسامحيني بربك . . سامحيني . قالت فليباركك الرب ثم مسكتها رعدة عصبية استولت على جميع اعضائها وبعد ثوان قليلة سارت روحها نحو خالقها فركع جاك عند اقدامها وصاح اسمح لي يا الهي بان اصادف حظ امي في الحال من الملاك فلا احتمل مرارة فراقها

وانتظر تيمس الى ان عاد جاك من غيبوبة الحزن الشديد فاقترب منه وقال انك لا تستطيع ان تبقى طويلاً هنا وامك لم تعد في حاجة اليك فصاح جاك بصوت مضطرب مخيف سوف انتقم لها من اعدائها قال تيمس فلنبتعد الان من هذا المكان الخطر ونصحب معنا جثة والدتك فنواريها التراب ونقوم بالواجبات الاخيرة نحوها اجاب اصبت فاحمل القنديل وسر امامي ثم رفع جسد امه بين ذراعيه وسار من خلف رفيقه الى ان وصلا الى نهاية الممر فسمعا صوت جوناتان ويلد فصاح جاك اطفيء القنديل وعرج الى جهة الشمال . . عجل . . عجل

وبعد دقائق قليلة اصبحا خارج المسكن قال تيمس الى اين نذهب اجاب جاك لا اعلم وصدف مرور عربة فاستدعى تيمس السائق وقال لجاك اعطني هذه الجثة فانها الى دوليس هيل عند المستر ود اجاب افعل ما الامر اليك ثم ادخلا الجثة الى العربة فتغيبها الظلمة عن اعين السائق وبعد ان استوى تيمس بجانبها قال وعلى م عولت انت يا جاك اجاب لا تكرثي واما اصبر على هذه الامانة المقدسة التي عهدت بها اليك قال تيمس في هذا المعنى وادلب على اجا[illegible] جاك لي ذلك ان [illegible] [illegible] عن [illegible] ثم [illegible] واغلق الباب فانطلقت العربة [illegible]

فبال انسان محتجب بالظلام خرج من وراء [illegible] [illegible]

حضور جاك شارد لجنازة امه

في صباح بعد غد ذلك اليوم سار جاك بثياب الحداد وكان قد نجا بما يشبه ان يكون الاعجوبة من ايدي مطارديه الى قرية ويلسدين لحضور جنازة امه وبقي مدة من النهار مختفيًا في المقبرة الى ان قرعت الاجراس تنذر بالابتداء في الصلوة على جسد القتيلة وشاهد عن بعد محفل المشيعين يتقدمهم المستر ود وتيمس درايل فانسل الى الكنيسة وجثا على مقربة من النعش وبعد ان انتهت الصلوة سار وراء الجثة الى المقبرة وهناك تراكمت عليه الاحزان بما اضاعه عن الوجود والتفه في الياس فركع على حفرة المدفن بينما كان الكاهن يتلو الصلوة الاخيرة وبدا يعدد امه ويندبها بصوت متقطع بالتنهدات ثم ودعها بما تتفطر له القلوب فتاثر الحاضرون لكلامه وعلت من بينهم اصوات النشيق والبكاء وتحولت نحوه الابصار مشفقة عليه متاسفة لحاله واذا بيد كالحديد وضعت على كتفه وصوت جوناتان ويلد يردد قوله انت اسيري فنهض جاك مدهوشًا وقبل ان يتمكن من الاستعداد للدفاع قبض كيلت ارنولد وكان مختفيًا وراء جوناتان على يديه اليمنى فصاح هل تجسرون ايها الاشقياء ان تجسوا بوجودكم قبر الضحية التي دستوا جثتها باقدامكم فلم يجبه جوناتان بشيء ولكنه امر اتباعه بان يسوقوه امامهم وكان تيمس قد استل سيفه واراد الانقضاض على جوناتان فحوله المستر ود عن عزمه وساء قسمًا كبيرًا من الحضور ما كان من جوناتان نحو جاك فلاحت عليهم امارات الغيظ الشديد وكانت ظواهر الحال تدل على وشك وقوع الخصام وانتشار العدوان فصاح جوناتان غلّلوا يديه بالسلاسل لنرى من يستطيع ان يقاوم في اماذ مذكرتي . . فانا جوناتان ويلد وقد جئت لاوقف هذا الرجل باسم الملك

فسمعت من بين الجمع اصوات التذمر والاحتقار وقال جاك بصوت حزين دعني ارى التراب يواري جثتها وافعل بي بعد ذلك ما تشتهي فصاح جوناتان لا اريد قال ود نحن نأخذه بهذه المرحمة فردد قوله لا . . لا . . ثم مر باسيره بين الجمع وهو يحدق به من جميع الجهات متجبرًا متوعدًا فصاح جاك امي . . امي الحرية ودافع تخلصًا من اعدائه وتمنعًا عن مفارقة مدفن امه ولكنه اضطر بعنف من جوناتان ورفاقه على المسير فجرصاغرًا الى عربة كانت على باب المقبرة بانتظاره والتي في انجشوة بالرغم عن مقاومة كثيرين دفعوا الى المعارضة بما شاهدوه من قساوة مفتش البوليس السري وتحجر فؤاده

ثم صعد جوناتان بدوره الى العربة وصاح بالسائق الى نيقكات وبعد ذلك ترددت اصوات التهديد من جميع الجهات ورجمت العربة وهي تجد مسرعة بمن فيها بحجارة كثيرة تساقطت عليها كالامطار وبينما كان جاك سائرًا على هذه الحال الى نيقكات ارسلت جثة امه المسكينة الى قبرها وتوارت في بطن الارض عن العيان

انتقام بوبلو من جوناتان وبلد

ولدى وصول جاك الى نيفكات ادخل الى حجرة الجانين وانيطت حراستة بجميع السجانين على اختلاف درجاتهم ولم يكن في تلك الحجرة وقتئذ خلاف سجين واحد وهو بوبلو ولدى رؤياه لجاك شبارد اصابته رعشة قوية وصاح مأيوساً واأسفي هل ما زالت الكلاب تجد في طلبك ياحضرة القبطان فوالله لو لم يقبض عليك لخرجت من سجني واجتمعت بك في هذا المساء فلم يجب جاك بشيء ولم يحول الى بوبلو نظراً اما جوناتان فكان يحدق به شذراً وعند نهاية حديثه قال فلتفحص قيود هذا الشقي فهرع اثنان من الحراس لاتمام الامر وبعد التفقد والتدقيق ظهر ان احدى حلقات قيوده منشورة فصاح جوناتان فليفتش ويكبل بقيود متينة وانما يجب ان نهتم بجاك شبارد اولاً ثم ندعهما سوية بحراسة اناس امناء لا يبارحونهم دقيقة وبما ان جاك وبوبلو من الاصدقاء المخلصين فسنرفعهما على شجرة واحدة في يوم واحد ان شاء الله

فنظر اليه بوبلو متوعداً وقال ان ذلك اليوم الذي تشتهيه لا تراهُ بعينك على الاطلاق فعاد جوناتان الى كلامه وقال يخاطب السجانين ويجب لمنع امكانية فرارهما وقطع كل امل منهما بذلك ان تضاعف سلاسلهما وتثقل قيودهما

قال جاك اسمع لي وافهم كلامي فان الله قد اعانني على الفرار مرتين من هذا السجن ولم يعيقني عن النجاة شيء فثقل قيودك لا يوخرني عن انفاذ عزمي ولا يمنعني من الفرار مرة ثالثة

فصاح بوبلو احسنت ياحضرة القبطان فسوف نريهم العجائب بما يجلو عن شنق هذا الخائن جوناتان الذي ملأ المشانق بالابرياء

قال جوناتان صه ايها الكلب الدني ثم قبض يده ولطم بها بوبلو بعزم على وجهه فتدفقت الدماء من انفه واذ ذاك انتصب مهتاجاً كالضواري وهجم على عدوه فاعانته حركته على كسر حلقة قيده المشور وقبل ان يقوى احد من الحضور على دفعه اخذ جوناتان من عنقه وكانت قوتهُ الغريبة قد تضاعفت بما داخلهُ من الغضب وحب التشفي والانتقام فتمكن بالرغم عن مقاومة خصمه من ان يقبض باليد الواحدة على راسه مدحورة الى الوراء ويخرج بالثانية سكيناً من جيبه فتحهُ باسنانه وارسلهُ مرتين الى عنقه بما كان يفصل راسهُ عن جثته لو لم تتوصل الحراس اخيراً الى تخليص الجريح من ايديه فصاح بوبلو لقد جاء دوركم ايها الانذال وتحول بعزيمة نحوهم يطاردهم ويطاعنهم غير معتد بكثرتهم فاثخن بعضهم بالجراح الخطرة ثم نادى بجاك الفرار ياحضرة القبطان الفرار

وكان جاك باهتاً ماخوذاً مما شاهد من اعمال بوبلو ولكنهُ انتبه اخيراً الى ان الفرصة مناسبة للنجاة واراد الانتفاع بها فدفع بمسالة حراسه عنهُ واندفع هارباً نحو الباب وكان بوبلو قد وافاه

اليو بعد ان اقام بعراك مجيد ثبت فيو امدا طويلاً امام اعدائو الكثيرين واوشك جاك ان يهجم بنفسو لو لم يبادر رئيس السجانين وكان في دائرة الحراس الى اقفال باب المدخل عليو فقاتل بوبلو عن سيده قتال الابطال وتمكن اخيرًا من فتح باب اسره ولكن الاقدام كانت قد ازدحمت عليهما باكثر عديده وقد احدقت كلها بجاك بما سد عليو طريقة فادرك صعوبة مركزه وصاح ببوبلو الهرب . . الهرب ان استطعت . . فاني امرك بالنجاة فالقى بوبلو على سيده المنكود الحظ نظرًا يشف عما في القلب من الاوجاع والاحزان ورأى استحالة خلاصو فطلب الباب الخارج ونجا بذاتو على حين كانت الحراس مشتغلة بتكبيل جاك شبار بالقيود ولما انتهت من عملها تقدمت نحو جوناتان ويلدو كان في حالة قريبة من النزع فرفع نظرًا تعلوه غشاوة الموت وقال بصوت مختنق ضعيف هل نجا

قال اريستون السجان عمن تعني . . عن بوبلو اجاب لا بل عن جاك . قال لا لم تمكنه من النجاة وهو الان في السجن مشدود الوثاق فابدا تبسمًا عميقًا ولفظ حديثًا يستفاد منه انه يشعر من نفسو بانه لايموت قبل ان يكحل اعينه بشهد شنقو ثم غمضت حدقتاه وغاب عن الوجود فصاح اوستين مات جوناتان . . مات جوناتان . . وسمع جاك كلام السجان فترنم حبورًا وصاح الان شفي فوادي حيث انتقم لامي من الجاني فلله درك يابوبلو من صديق ودود

حوادث جديدة في دوليس هيل

في مساء ذلك اليوم بينما كان تيمس درابل والمستروود وابنته وبتغريد مجتمعين في قاعة الاستقبال من دوليس هيل وقد انفرد الشيخ الكبير في تاملاتو نغرق في بحر من هواجسو واخذ الاثنان الاخران يتبادلان اخبار الصباح المكدرة لجهة دفن الارملة المسكينة وسوق جاك الى السجن واذ دخل خادم المنزل يخبر تيمس بوجود رجل على الباب يستدعي مواجهتة ليدفع اليو امانة فخرج تيمس اليو بالرغم عن ارادة المستروود والحاحات السيدة وبتغريد اللذين مانعا كثيرًا في خروجو ولدى بلوغو اسفل الدار رأى رجلاً مغطى الوجه بمنديل سميك فحسب منه ووضع يده على حسامو متهيئًا للدفاع عند الاقتضاء فقال الرجل لاتخف شيئًا ياسيدي فانا بوبلو وقد جئت لاقدم لك خدمة عظيمة فهاك اوراقًا تؤيد حقوقك في ارث عائلة ترانشار وحضرة القبطان قد عرض بحياتو الى الاخطار للاستيلاء عليها . . وهاك ايضًا تحارير وجدت في منزل جوناتان ويلد عقيب مقتل السير روثلاند ثم قدم له كيسًا مملوءًا بالذهب مع رزمة من اوراق البنك وقال هاك ايضًا مبلغ خمسة عشر الف ليرا انكليزية فصاح تيمس متعجبًا ومن اين اتصلت اليك جميع هذه الاشياء قال انتشلها في اثنا الليلة المشومة التي وقعت فيها اسيرًا في قبضة جوناتان من قاعة الاستقبال وودعتها محلا موتمنًا امامن خصوص ذلك الشقي فقد اصبحت في مامن من شره

قال وماذا تعني بذلك

اجاب اعني اني وقيت منذ النضالات الثقيلة شر الخلوث بدماء النجس فحززت رقبته بسكيني وفي مدة حياتي لم اشعر بفرح يعادل فرحي بهلاك هذا الظالم من يدي

قال وهل من الممكن ان اصدقك

اجاب ان الخبر اكيد صادق ولكني اسف لعدم تمكني من تخليص سيدي القبطان قال وهل تراني قادراً على عمل شيء في سبيل خلاصه لاسعى به اجاب لا اعلم ولكني مداوم السهر ليلا ونهارا قرب نيفكات عسى تسهل الظروف مساعدته على النجاة فصاح تيس اني مستعد لان اضحي ثروتي وجميع امالي لخلاصه

قال بوبلو ان كنت بالحقيقة مخلصاً في وده فاعطني فقط هذا الكيس المملو بالذهب وهو لا يحوي على اكثر من الف ليرا استرلينية استعين بها على تخليصه في اثناء مسيره الى تيربن اذا اخفق ما سابذل من المساعي قبل ذلك الحين

اجاب خذه . . خذه . . وخذ روحي معه فقط خلص جاك

قال ان شئت ان تخدم حضرة القبطان وتنفعه فعدني بشيء واحد اطلبه منك باسمه

اجاب تكلم واطلب ما تريد فاليك

فتنهد وقال فلنفرض ان اعمالي حبطت وقيد القبطان الى تيربين وانفذ القضاء فهل من الممكن ان تنتظرني بعربة على مقربة من ساحة الاعدام اي في نهاية الطريق المعروف بادجوار دو يد

اجاب اعدك بذلك

قال وهل تقسم لي على صدق وعدك

اجاب اقسم

قال كفى وذهب فاسرع تيس نحو المسترود ويتفريد يخبرها بما حصل عليه من النعم العظيمة وبادر الى ما اعطاه بوبلو من الاوراق يطالعها فوجد فيما بينها تحريراً كان قد باشر تلاوته في الليلة المخيفة التي اسر فيها في منزل جوناتان ويلد ومنع من تكملته بما جد هنالك من الحوادث التي مر سياقها فعاود قراءته ولما وصل الى منتهاه سقط التحرير من يده الى الارض فالتقطته ويتفريد ولدى تلاوته صاحت . . ماذا ارى . . انت الماركيز دي شاتيلون

قال المسترود من تريدين بكلامك وعن اي مركيز دي شاتيلون تتكلمين

اجابت اتكلم عن هذا الشاب الذي تبنيته منذ طفوليته قال تيس نعم فاني ابن شرعي للمركيز دي شاتيلون وابنك ستصبح عما قريب ماركيزة وهذا التحرير المرسل بخط يد والدي الى والدتي يتضمن اظهار حبه الشديد وصداقته للسير روفلاند خالي ولكنه يحرم عليها اعلامه

باقترانهما من بعضهما لاسباب لم يأتِ على ذكرها في كتابهِ

فصاح المستر ود باللظلم فقد قتل السير روفلاند صديقهُ وصهرهُ ولكنهُ اوخذبا بجنت يداه اما جوناتان ويلد شريكهُ فلا يلبث ان يجازى على ذنوبهِ عاجلاً كان او اجلاً

قال الشاب ان جوناتان ويلد قتل ايضاً من يد بوبلوفلم يعد لي ما اخشاه من هذا العدو الالد واملي منك ان لا توجل بعد الان سعادتي فقاطعتهُ ويغريد وقالت اني اعفيك من وعدٍ ثيل وعدتهُ لان ابنة نجار مثلي لا تصلح لان تكون امراة لمن كان يلقب ابوهُ بسيردي فرانس فضم الفتى خطيبتهُ الى صدرهِ وقال ان كان الشرف والمجد يحولان دون تقربي منك فلا اسف عليهما ومن الان امتنع عن التصريح بمركزي ومقامي والمطالبة بحقوقي لاجلك فصاحت الفتاة تشكرهُ على كرامة اخلاقهِ مختنقة بالدموع

وبعد ذلك بايام قرعت اجراس كنيسة ويلسدين وكان النهار خريفاً مسرّاً فتقاطرت اهالي القرية بثياب العيد الى ساحة الكنيسة حيث اقبلت عربتان تحمل الاولى تيمس درايل او بالحري المركيز دي شاتيلون والثانية الحارمع امتهِ وكانت الفتاة مزينة بثياب العرس يتدفق وجهها بالنور والبهاء وبعد ان احتفل بصلوة الزيجة سار العروسان في الحال الى مادشستر اما اهالي القرية فتوافدوا افواجاً على دوليس هيل حيث اعد لهم المستر ود وليمة فاخرة

ويستمنستر هال

وفي جاك شبارد مدة بعد نجوهِ الاخير ساكن البال هادىء الروح لا يظهر ضجراً الى ان جدّ عليهِ ما اثار خاطره وكدر شعائرهُ وهو خبر صحة عدوهِ جوناتان وتقدمهُ الى الشفاء فان امال ذلك الشقي بقرب مشهد الانتقام من جاك اجرت في جسدهِ بالرغم عن عظم جراحهِ ينابيع الحياة والعافية ولما تمالك من القوة ما يستعين بهِ على المسير قصد بفكات ليشفي غليل فؤاده برويا مصاب عدوهِ وسعهُ اهانة واساة تحملها بالصبر الجميل

وفي ٢١ تشرين الثاني اي بعد ان مر على جاك في نيوكات شهر ذاق بهِ العذاب اشكالاً والمرارة الواناً جر الى ويستمنستر هال لتجري محاكمتهُ فيهِ وكان جاك قد بلغ شهرة عظيمة عند عموم الشعب على اختلاف طبقاتهِ فتوافدت الناس افواجاً متفرجة في ذلك النهار بما سد الشوارع المتسعة دون مسيرهِ غير راضية عن اعمال الحكومة ودسائس جوناتان ويلد

وبعد محاكمة قصيرة صدر الحكم باعدامهِ وتعين يوم الاثنين المقبل لانفاذ القضاء والحق بالحكم عبارة استدعت انتباه الجمهور الحاضر وهي ان المجلس الاعلى يضع اوراق المحكوم عليهِ تحت مدار العفو اذا ارتضى بان يصرح باسماء رفقائهِ الذين كانوا يساعدونهُ على الفرار من السجون

فاجاب جاك بسكون وثبات ان يد الله المدبرة هي وحدها التي ساعدتني على النجاة من

ايدي الظالمين على ان هذا الجواب لم صادف من حكامه تائبًا صارمًا وبعد تلاوة الحكم شاهد جالك في جملة الوقوف خارج المجلس عدوه جونااثان ويلد وكانت الاقدام قد ازدحمت بما يمثل يوم النشور وقد تحمست الجموع بما انذر بالخطر فحطمت العربة المعدة لنقل السجين كسرًا ورفعت الاصوات من جميع الجهات تنادي بوجوب اسقاط وكلاء الضابطة وهلاك جوناثان ويلد وهجم على رجال البوليس جماعة من الناس مدججين بالسلاح وفي مقدمتهم رجل احمر الوجه قوي التركيب واوشكوا ان يخلصوا جالك من بين ايديهم لو لم تات فرقة من الحراس لنجدة رجال الحكومة وتبدد المهاجمين بعد قتال دموي وقد امتاز جوناثان مع ضعفه الناشيء عن جراحه ببسالة الدفاع في ذلك النهار وعرف من بين المهاجمين بوبلو فبذل المستطاع للقبض عليه بدون نجاح وبعد قتال متتابع ودفاع متواصل تمكنت الضابطة من الدخول بجالك الى سجنه بين ضجات المتذمرين ورنين سيوف المهاجمين

وفي مساء ذلك النهار اضرمت النار في منزل جوناثان ويلد فاحرق بما فيه وكاد يذهب مفتش البوليس الشقي مطعما للنار لو لم يتوصل الى النجاة بطريق الدهليز الموصل الى نيفكات

من نيفكات الى تيربن

وكان الزمان المعد لانفاذ القضاء يقترب من يوم الى اخر والسجين ملازم السكون بما يدل على اضرابه عن خطة الفرار الى غيرها وما كان جوناثان ويلد ليرتاح له بال بما يشاهده من الصبر والسكينة في عدوه . وكانت تجمعات الناس المتواصلة تحت جدران السجن موجبة لقلقه وتحسبه وفي ليل اليوم الذي تعين به انفاذ القضاء اتخذت التجمعات المذكورة هيئة جدية جديدة تترجم عما يستكن في الضمائر من شعائر العدوان بما دعا الى مضاعفة قوة الحراس في نيفكات وقضى جوناثان ويلد جميع تلك الليلة في المخابرة مع حاكم السجن عما يقتضي اتخاذه في الغد من الاحتياطات لضمانة انفاذ الفاجعة المعزوم عليها في تربن وكان من رايه ان تزاد قوة البوليس زيادة كافية وتوزع في جميع النقط المهمة الخطيرة فرقات معتبرة من الجيش كما لو كان المراد اعدام احد رجال المملكة المهمين وكان الزمن وقتئذ نشرين الثاني وقد تلبدت الغيوم في الفضاء وانخفض الهواء وقرس البرد ولكن رغبة الناس في مشاهدة تلك الحفلة المحزنة هونت عليهم هذه المصاعب فتقاطروا جماهير قبل انفلاق الفجر تزدحم بهم الطرقات التي سيمر عليها الجاني لا يبالون بالبرد ولا يعتدون بالامطار وفي نحو الساعة التاسعة فتحت ابواب السجن وظهر المحكوم عليه بالموت يتقدمه جيش عديد من الضابطة والبوليس ومع تكبله بالسلاسل الثقيلة كان وقوفه معتدلًا ووجهه المصفر لا ينذر بالخوف بل تلوح عليه بالعكس لوائح الثبات والشجاعة فصعد ومن عن

ايدي الظالمين على ان هذا الجواب لم صادف من حكامه تأنيباً صارماً وبعد تلاوة الحكم شاهد جالك في جملة الوقوف خارج المجلس عدوه جوناثان ويلد وكانت الاقدام قد ازدحمت بما يمثل يوم النشور وقد تحمست الجموع بما انذر بالخطر فحطمت العربة المعدة لنقل السجين كسراً ورفعت الاصوات من جميع الجهات تنادي بوجوب اسقاط وكلاء الضابطة وهلاك جوناثان ويلد وهجم على رجال البوليس جماعة من الناس مدججين بالسلاح وفي مقدمتهم رجل احمر الوجه قوي التركيب واوشكوا ان يخلصوا جالك من بين ايديهم لولم تأت فرقة من الحرامر لنجدة رجال الحكومة وتبدد المهاجمين بعد قتال دموي وقد امتاز جوناثان مع ضعفه الناشيء عن جراحه ببسالة الدفاع في ذلك النهار وعرف من بين المهاجمين بوبلو فبذل المستطاع للقبض عليه بدون نجاح و بعد قتال متتابع ودفاع متواصل تمكنت الضابطة من الدخول بجالك الى سجنه بين ضجات المتذمرين ورنين سيوف المهاجمين

وفي مساء ذلك النهار اضرمت النار في منزل جوناثان ويلد فاحترق بما فيه وكاد يذهب مفتش البوليس الشقي مطعماً للنار لو لم يتوصل الى النجاة بطريق الدهليز الموصل الى نيفكات

من نيفكات الى تيربن

وكان الزمان المعد لانفاذ القضاء يقترب من يوم الى اخر والسجين ملازم السكون بما يدل على اضرابه عن خطة الفرار الى غيرها وما كان جوناثان ويلد ليرتاح له بال بما يشاهده من الصبر والسكينة في عدوه. وكانت تجمعات الناس المتواصلة تحت جدران السجن موجبة لقلقه وتحسه وفي ليل اليوم الذي تعين به انفاذ القضاء اتخذت التجمعات المذكورة هيئة جدية جديدة تترجم عما يستكن في الضمائر من شعائر العدوان بما دعا الى مضاعفة قوة الحراس في نيفكات وقضي جوناثان ويلد جميع تلك الليلة في المخابرة مع حاكم السجن عما يقتضي اتخاذه في الغد من الاحتياطات لضمانة انفاذ الفاجعة المعزوم عليها في تيربن وكان من رايه ان تزاد قوة البوليس زيادة كافية وتوزع في جميع النقط المهمة الخطيرة قوات معتبرة من الجيش كما لو كان المراد اعدام احد رجال المملكة المهمين وكان الزمن وقتئذ تشرين الثاني وقد تلبدت الغيوم في الفضاء وانخفض الهواء وقرس البرد ولكن رغبة الناس في مشاهدة تلك الحفلة المحزنة هونت عليهم هذه المصاعب فتقاطروا جماهير قبل انفلاق الفجر تزدحم بهم الطرقات التي سيمر عليها الجاني لا يبالون بالبرد ولا يعتدون بالامطار وفي نحو الساعة التاسعة فتحت ابواب السجن وظهر المحكوم عليه بالموت يتقدمه جيش عديد من الضابطة والبوليس ومع تكبله بالسلاسل الثقيلة كان وقوفه معتدلاً ووجهه المصفر لا ينذر بالخوف بل تلوح عليه بالعكس لوائح الثبات والشجاعة فصعد ومن عن

بيدو كاهن السجن الى العجلة المعينة له وكان موضوعاً على مقدمها النعش المعد لجثته بعد اعدامه
وبعد ثوان قليلة بدات الحفلة بالمسير بين ضجيج الجماهير التي كانت تتوعد جوناثان وبلد بالموت وتكثر من سبواهاته وهو راكب على جواد عال في طليعة الجميع لا يعير تلك التظاهرات العدوانية الا جانب الاستخفاف والاحتقار مدجج بالسلاح الى اسنانه ومتهيء لكل حادث يطرؤه من وراء الخفاء
ولدى وصول الحفلة على هذه الصورة الى جانب هيكل الرب وقفت عن المسير وتقدم خادم الهيكل الى منتصف الشعبة المحاذية للكنيسة وانفجر يا على العادة المالوفة من قدم الزمان الكلمات الاتية بصوت عظيم فقال
يا ايتها الانفس الصالحة صلي الى الرب من اجل هذا الخاطي المسكين السائر الى الموت ثم التفت نحو الجاني وقال اي انت يامن حكم عليك بالاعدام اندم على ما فرط من خطاياك بدموع حارة واطلب المغفرة من الرب لكيما تنال نفسك الراحة بالام وموت سيدنا يسوع المسيح الجالس عن يمين الله ثم انهى الكلام بقوله . . فليحنن عليك الرب
وعند ذلك عادت الحفلة الى التقدم وفي تسيرها تطويها بين جماهير الجموع الملتجة في الشوارع بما يشبه بحوراً ولدى وصولها الى مقربة من هيكل القديس اندراوس وكان جرسه يدق دقات الحزن شاهد جاك مشوقتيه على درجات الكنيسة فارسلت ادجوريت بيس صوتاً موثراً واغمي عليها اما بول ماجوت فكانت اثبت من رفيقتها على احتمال الشدة فاشارت اليه مودعة بما يترجم على اسفها وحزنها الشديدين وفي اثناء ذلك جد من الطوارىء الخطيرة ما اوقف مسير الحفلة فان شرذمة من شاكي السلاح كانت قد تجمعت في شارع فيالدلان واقامت من بلاط ارضه حواجز وحصونا بها سد الطريق الموصل الى تيربرن في وجه الحفلة فالتزم الحراس الى استعمال القوة وتبادل بين الفئتين اطلاق الرصاص وكادت تجلي الموقعة عن انتصار المدافعين عن الحواجز لو لم تنجد الحراس بفرقة من نوع الكريناوية بها قواها على تبديد شمل الاعداء ورفع الموانع من طريق مرور الحفلة فعاودت المسير وهي عرضة للاشناط الخفف وبعد معاناة المصاعب وصلت الى سان جيلاس حيث جرت العادة بان يجبر كل من يساق الى تيربرن بالوقوف امام حانة هناك تسمى بالاكليل ليتناول منها كاسة الاخير فوقفت العجلة والحراس امامها وعند ذلك انقلب المشهد من حالة الحزن الى الفرح بما يمثل عوائد ومبادي ذلك الجيل فاخذ الجميع من ضباط وبوليس وانفار بمعاطاة الاقداح بين اصوات الضحك وضجات السرور
وكان مارفيل منفذ القضاء جالساً على مقعد العجلة الامامي وفي يده قدح من البيرة بصربة تسهل فخرج صاحب الحانة وتقدم من جاك يحمل اليه وعاء متسعاً من الخشب طافحاً بالمسكر وقدمه

له فتناوله منه ورفع عينيه نحو السطح وكان مزدحماً بالسيدات المتفرجات فاستأذنهن بشرب كاسهن ثم قرب الوعاء من شفتيه وإذا جوناثان ويلد امامه فتوقف في الحال عن الشرب وصاح جوناثان . . جوناثان اني اتخلى لك عن هذا الكاس واودعه لك امانة عند صاحب هذه الحانة فتشربه بدورك في اثناء مسيرك الى تيربن ثم رد الوعاء بما فيه الى صاحبه

فتبسم جوناثان وقال ان اباك لفظ مثل هذا القول قبلك وانت تعلم ماذا كانت النتيجة

اجاب جاك لا يمر على هذا اليوم منذ شهور الا وتجبر على تجرع هذا الكاس المر

ثم جددت الحفلة المسير وبعد ان قطعت سان جيلاس بطولو تقدمت نحو ساحة اكسفورد وكانت تعرف حينئذ بساحة تيربن فانتشرت الجموع بعدد الرمال في الخلاء مسرعة تطلب محل انفاذ القضاء وانفصلت عن الجمع شرذمة من الناس مدججة بالسلاح وتقدمت نحو ساحة الاعدام وكان مسراها وما هو ظاهر في اعينها من علامات الوعيد يدعو الى الخوف المزيد فصدرت الاوامر الى جوناثان ويلد بان يقف لها بالمرصاد مع فرقة من الخيالة بحيث يترقب حركاتها ويبادرها بالقوة عند اللزوم

الخاتمة

وكانت الحفلة على اهبة الوصول الى تيربن حيث يرتفع على مجرى من رؤوس الناس شيء اسود مشؤوم وهو المشنقة ولم يرها جاك شبارد لانه كان محولاً بوجهه نحو مؤخرة العجلة ولكنه تحقق كونها امامه بما سمع من اصوات تشفق الجمهور فلم يتغير لذلك شيء من شعائره بل بقي ثابتاً مستكناً واظهر انتباهاً مزيداً لما كان يتلى بجانبه من الصلوة . ولكنه ارتعش بغتة وانتصب واقفاً مضطرباً لدى نظره المتردد على رابة عالية يشير اليه باشارات الوداع وقد صاح والدموع طافحة في عينيه فليغفر لك الرب ويباركك ايها الشاب المنكود الطالع ثم ردد قوله فليباركك الرب . . فليباركك الرب . . . فمد له الشاب يديه الاثنتين مودعاً وفي وجهه من سمات الحب والامتنان شيء كثير ثم ارسل نظره يبحث فيما حوله عن تيمس درايل ولما لم يجد له اثراً شعر بانقباض خفيف في قلبه واجهد نفسه على ترك جميع الافكار الدنيوية فانكب على تلاوة صلوة حارة اشغلت جميع افكاره وحواسه عن العالم وحصل عند ذلك سكون تام يشبه لسكون الجو بعد حدوث الزوبعة وكانت العجلة قد وصلت بالمحكوم عليه الى ما تحت المشنقة وقد احدق بها الخيالة والمشاة من الجيش مع انفار الضابطة والبوليس بما يؤلف حوله حلقة متسعة لا يسمح لاحد من المتفرجين بتخطيها وبقي جاك الى هذه الساعة الاخيرة متدرعاً بالصبر والثبات المجيدين وعندما ارسل الغطاء على وجهه صاح من فؤاد متأجج بجمر الشوق . اني ذاهب اليك يا امي . وعند ذلك وضعت الحبلة في عنقه وسارت العجلة فسار جاك شبارد بدوره الى الابدية وما خطت العجلة خطوة واحدة الى الامام الا شق حلقة

الجند رجل حبشي اللون واندفع كما البرق الخاطف على المشنقة وقبل ان يتمكن احد من دفعه او ايقافه قطع الحبلة المشؤومة بسكين في يده وكان الرجل المذكور بوبلو ولكن مساعدته جاءت بعد اوانها لان جوناتان ويلد كان قد امر باطلاق النار على جاك شبارد فاخترق الرصاص جثته قبل بلوغها الارض

واندفع خلف بوبلو فرقة من جبابرة الرجال مزودة متحمسة فنقلوا جثة جاك بين قتال وعراك على رؤوس الوف من الناس الى مسافة بعيدة عن محل القضاء واذ ذاك سمعت اصوات الاستحسان والاستصواب بما يحكي دمدمة الرعود القاصفة بين الصفوف ثم كر المهاجمون على جوناتان ويلد وهم يقاتلون قتال اليأس مندافعين عن نفسه دفاع الابطال ولكنه جرح اخيرًا وكاد يقضي عليه بين اقدام المهاجمين لو لم يأت الجيش الفور ويبادر الى نجدته ويخلصه من غضب احد او الجندم ولكن الله لم يسهل له النجاة من الهلاك في تلك الموقعة الا ليميته بعد ستة شهور ميتة العار على نفس المشنقة التي شنق بها عدوه

وبينما كان القتال محتدمًا بين الشعب والقوات العسكرية حمل بوبلو جثة جاك شبارد وسار الى المكان الذي عينه لتيمس درايل في اثناء مواجهته الاخيرة فوجد هنالك عربة بانتظاره ورجلا بلباس ثمين يحرض الناس على الانخراط في سلك القتال ولدى وضع الجثة في العربة صعد اليها الرجل المذكور واشار الى السائق بالمسير فانطلقت الخيل طفاحًا بما يسبق لمعان البرق

وبعد نحو نصف ساعة اوقفت العربة وجرى فحص جثة جاك شبارد من اطباء ماهرين فثبت ان الحبلة قطعت قبل حصول الموت وان القتيل توفي متاثرًا برصاصة اخترقت قلبه وهكذا كانت نهاية حياة جاك شبارد وهو في شرخ شبابه

وفي ليل ذلك النهار حفرت في مقبرة ويلسدين بجانب مدفن السيدة شبارد حفرة توارت فيها جثة الشاب القتيل ولم يكن حاضرًا اثناء ذلك غير الكاهن والمصلي مع رجلين اثنين احدهما شيخ جليل والثاني شاب جميل وعند نهاية العمل انصرفا بتمهل والحزن لا يدعهما على المسير

ثم وضع على ذلك القبر صليب من الخشب بدون اسم يدل على ما فيه الى ان خطت عليه يد مشفوقة بعد سنوات عديدة هذا الاسم البسيط وهو «جاك شبارد»

مقتل جوناتان ويلد

[illegible] المؤلف على ايضاح [illegible] ولكن [illegible] الى ذلك [illegible] العار [illegible] بعد ستة شهور [illegible]

في [illegible]

احدثت فرقة من الجند [illegible] جوناتان ويلد [illegible] على عدم خروج احد [illegible]

مسكناً محاذياً لمسكنه القديم الذي بادته النار وداست فرقة ثانية المنزل مأمورة بالقبض عليه والحجز على جميع اوراقه وموجوداته وكان جوناتان نائماً فلم يشعر الا وسيوف الجند تظلله في فراشه وصوت يناديه قم . . قم وسلم نفسك لاني مامور بايقافك من الملك . . فادرك وهو في دهشة النوم سر الخطر المحدق به ووثب كالمجنون يطلب سلاحه ولكن المهاجمين كانوا قد استولوا عليه قبل ايقاظه فلم يجده ووقف باهتاً مضطرباً لا يجد سبيلاً للدفاع والخلاص فانقض عليه الجند وبعد ان اجريت وثاقه ساقته امامها بثياب النوم حافياً مكشوف الراس الى نيفكات حيث اودع بامر وبلبول ناظر الضابطة جورة الحجز وكبل بالقيود الثقيلة لانه كان متهماً بارتكاب جنايات عديدة

وفي اليوم التالي شاع خبر ايقافه في المدينة وطار بعكر البشرى على السنة الناس لان الافكار كانت قد انتبهت اخيراً الى شروره وشعرت بثقل وطئته على البلاد فتوافدت الاهالي الى السجن فرحة بما تراه من مصابه وكان الجميع يهددونه ويتوعدونه ويكبرون بصقوا على وجهه والبعض من طائفة يدهم لطاموه على خده واكثروا من سبه واحتقاره وكان الباعث على انتباه اولياء الحل والعقد الى ارتكاب ذلك الجاني هو تيس درايل او الحري المركيز دي شاتيلون فانه كان قد اثبت في تلك المدة حقوقه في ارث ابيه وامه واستولى على ثروة العائلتين وتقرب من الملك لما كان لابيه من عظمة الشان والاعتبار المزيد في بريطانيا فشكا له اعمال جوناتان وبلد وايد شكواه بما لديه من الاوراق والادلة ثم قص عليه خبره وما كان منه نحو السيدة شارد ووالد هاجاك وخالة روقلامد وكيف قتلهم جميعاً بدون شفقة وساعد على قتل ابيه المركيز بما اثار في الملك عاصفة الغيظ فاستدعى موزرائه اليه وفي حضرتهم وبلبول ناظر الضابطة وحال ابرام اوراق الدعوى وطلب اليهم تحقيقها ومجازاة الجاني بما يستحق وبعد الفحص والتروي المسهب ترجحت لديهم التهمة وظهر من ورائها غيرها من الفظائع التي لا تحد فصدرت الارادة بالقبض عليه وسوقه الى محكمات كيامورها مع متابعة التحقيق الى ان تجلي الحقيقة برمتها

وفي السابع عشر من الشهر نشرت على اهالي بوندرة الاعلان الآتية صورته

لقد قبض على جوناتان وبلد مفتش البوليس السري لما ترجح وثبت لدى حكومة الملك من انه الجاني لخراب عائلة السير مونتوكيت تراتيه او بولانك اسايها والمساعد على قتل المركيز دي شاتيلون الشهير وقد ظهر لدى الفحص انه مرتكب جنايات اخرى عديدة فاقتضى اذاعة هذا الاعلان لتعلم الناس انها في مامن من غدره وتقدر على ايصال تشكياتها وما لديها من المعلومات في شانه الى الحكومة وهي تعد من الان بالعفو عن جميع شركائه في الجناية الذين يرفعون اليها اخباره قبل افتضاح امرها وانتهاك سترها

وفي صباح اليوم التالي ضاقت سراي الحكومة بمن وفد عليها من الشاكين والشهود وجر جوناتان الى دار المحاكمة مكبلاً بالسلاسل في عربة مقفلة وذلك لما شوهد على وجوه الناس المزدحمة في الشوارع من ظواهر التحمس والغيظ ضده بما لا يؤمن معها الاعتداء على حياته وفي طريقه اطلق عليه عيارات كثيرة نارية اصابت العربة ولم تضر الجاني وكان الخوف ظاهراً في وجهه والجنايات المريعة التي ارتكبها في حياته مسطرة على جبهته فتليت امامه اوراق الدعاوى المصدرة ضده فمن بنات افتض بكارتهن وقتلهن ومن امهات اثكلهن اولادهن ومن اطفال يتمهم من ابائهم وامهاتهم ومن عائلات بادها عن اخرها ومن اغنياء افقرهم ومن فقراء اذلهم ومن لصوص شاركهم في سرقاتهم وقتلهم وكان عند تلاوة كل ورقة يرتعش كما لو كان العمل حاصلاً في الحال على مشهد منه ثم تقدمت الشهود تسرد امامه تفاصيل الجنايات وتؤيدها بالحجج الراهنة وفي جملتهم السيدة سيرادك وابرهيم ماندبز وكيات ارنولد وبابتست كبتلي والمستر ود والموسيو كيمون وغيرهم ولدى وصول ابرهيم ماندبز الى خبر مقتل المستر روفلاند وسقوطه في الجب صاح نعم انا القاتل . . نعم انا الجاني فاقتني ابنها الجحيم فالك واشلهي بشروري

وبعد استيفاء التقارير اصدر المجلس عليه الحكم بالاعدام شنقاً وعين يوم الخميس القادم لانفاذ القضاء بين ضجيج استصواب الجموع المتفرجة ولدى استماع جوناتان لنص الحكم فارقته شجاعته ولم تسنده ارجله فسقط بعنف الى الارض وارتبط لسانه فلم يستطع كلاماً فحمل الى غرفة الجانين وكانت بانتظاره في الاسفل وفي اثناء سيره اطلق عليه رجل من بين الجموع فرداً فاصابت الرصاصة يده وكان الضارب توماو ولكنه اختفى في الحال فسيق جوناتان جريحاً الى نيكات حيث طرح في سجنه مجرداً عن قوته بما استولى عليه من الجبن والخوف دارتي على ظهره ينتظر من ساعة الى اخرى حلول الاجل

وفي صباح اليوم المعين لانفاذ القضاء خرجت لوندرا باسرها لتفرح اعينها بمشاهدة دماء من اجرى دماء ابنائها بحوراً فازدحمت الشوارع بالاقدام من نيكات الى تيبرن والجميع متهللون بما سيكون من هلاك الظالم وكانت جميع المنازل مزدانة بالغار علامة الانتصار ونظمت الاغاني تلحنها البنات والغلمان في الشوارع بما يفيد ان ذلك اليوم هو يوم تحريرها كلها من نير الاستبداد ونجاتها من ايدي القتلة واللصوص وكتب على كثير من الجدران بالزهور عبارات عديدة مثل ان هلاك الجاني رحمة من الرب وغير ذلك مما لا يخرج عن هذا المعنى

وفي الساعة الثامنة صباحاً خرج جوناتان على عجلة مثقلاً بالقيود والجند تحيط به من كل ناحية خشية على حياته ان تذهب فريسة لنيران الكثيرين من اعدائه قبل بلوغ محل القصاص وانفاذ الحكم بما يليق بمية الشنار وكان ضعيفاً مهزولاً مصفراً بما يشبه الموتى وقد استلقى على ظهره

في المعركة فاقداً للعزيمة لا يستطيع جلوساً والجند تدفعه الى وجوب الانتصاب وكذا باسنة الحراب وهو لا يجيب على ذلك الا باصوات الالم المتتابعة بالا يختلف عن صوت الخنزير المفترس وكانت الناس من بعيد تنظر اليه شذراً وتصر على اسنانها انتقاماً ومع مزيد حرص الجند على عدم ايصال الاذية اليه في الطريق كانت العبارات النارية تطلق عليه من وقت الى اخر من ايدي اخصامه الذين هجموا عليه من كل صوب هجوم الياس غير مبالين بما امامهم من القوات والحواجز واصابت الجاني رصاصات عديدة فاثخنته بالجراح بما زاد في شدته وبلائه وكان بوبلو في جملة من اطلق عليه النار لرغبته في الانتقام لسيده بيده ولمح جوناتان وهو في سكرة المصاب عدوه الحبشي يحاول خطف روحه من بين حراسه فارسل صوتاً خفيفاً وغاب عن الوجود

وبعد هنيهة بلغ الجاني حالة الاكليل فقدم له صاحبها خمراً في نفس الوعاء الذي قدمه الى جاك شارد من قبل نحو ستة شهور ففطن جوناتان الى ما جار وتشد بينه وبين ذلك الشاب المسكين من الحديث فانحرف بوجهه عن الوعاء مرتجفاً وصاح ويلي كيف صدقت نبوته في تعرض علي كاسه وسرت على عجلته الى حيث احتمل مرارة العذاب واسفي اني لا اذكر لي حسنة تعزيني على مصابي او تشجعني على مقابلة وجه ربي . ثم سارت الحملة الى ان بلغت بوساحة تيربرن فعلت اصوات الشعب بالتهليل والتكبير وسمع جوناتان ذلك فتاكد قربه من المشنقة ونظر الى يمينه فاذا بتيمس درايل او المركيز دي شاتيلون في جملة المتفرجين مع وزراء الدولة وامراء المملكة فمسكته رعشة عصابية شديدة اشرفت به على الموت واريد ايقافه لوضع الحبالة في عنقه فلم تقو ارجله على حمله بما الجأ الى رفعه على رؤوس البنادق ثم ارخي فسقط جسده يترجح في مشنقته ومرت روحه الى الجحيم الاسفل وكان بوبلو على رابية عالية مشرفة على ذلك المشهد فصاح من فؤاد امانته الذكرى واحياه السرور جاك . جاك فلتنتعش عظامك يا جاك شارد في قبرك لان عيني قد ابصرتا هلاك عدوك ثم تبدد ذلك الصوت بين ضجات الفرح التي صدرت بعدئذ من جماهير الحضور بما يحاكي هدير الامواج وبقية جثة الشقي معلقة في الفضاء الى ان مزقتها الايدي كل ممزق وكان مكتوباً على صدره باحرف غليظة هذه العبارة وهي

(صرف العدل الى الظالم فقتله)